

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ«الدور المتقاة»، من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم والبصيرة وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا، والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراض واللباس، والمواعظ والرفائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه موضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين. والمؤلف - وفقه الله -

بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلّى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٤٢٧/٤/١٢ هـ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله - .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

أشكركم على هديتكم كتاب (الدور المتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابهِ ومناسب في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف .

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل

وكتب

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّنه مؤلفه خمسين ومئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعة والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيمة، فهي جامعة ومختصرة، مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدور المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: توحيد، وعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتفسير، وحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

وكتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

الدرر المنتقاء
من الكلمات الملقاة

ح أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي، أمين بن عبد الله
الدرر المتتقا من الكلمات الملقاة. / أمين بن عبد الله الشقاوي -
ط٣..- الرياض، ١٤٢٦هـ
٨٠٨ ص؛ ٢٤×١٧ سم.

ردمك: ١ - ٧٢٩ - ٤٩ - ٩٩٦٠
(ثلاثة أجزاء في مجلد واحد)
١ - الوعظ والإرشاد أ - العنوان

١٤٢٦/٦١٥٤

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٦١٥٤
ردمك: ١ - ٧٢٩ - ٤٩ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلا لمن أراد طباعته وتوزيعه مجاناً
بعد موافقة المؤلف الخطية - الطبعة الثالثة
جوال رقم ٥٠٤٤٢٠٥٦٠

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة

(١٥٠) درساً يومياً

للدعاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُقَدِّمَةُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كُلفتُ من قِبَلِ إدارة شؤون الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، بإلقاء كلمات وعظية في مساجد مدينة الرياض، وفي أثناء تنقلي بمساجد المدينة أشار عليَّ بعض الفضلاء من أئمة المساجد بكتابة ما يُلقى من هذه الكلمات؛ لكي يستفيد منها أئمة المساجد وطلبة العلم، وعامة الناس. فاستخرت الله ﷻ، ثم شرعت في كتابتها لعل الله أن ينفع بها.

والجزء الأول من كتاب الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، جمعتُ فيه ثلاثين كلمة متنوعة، وقد طُبِعَ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ، ثم بدا لي أن أضيف عليه أربعين كلمة أخرى، فطُبِعَ الكتاب الطبعة الثانية (الجزء الأول والثاني) في مجلد واحد عام ١٤٢٣هـ.

وفي عام ١٤٢٦هـ طُبِعَ الكتاب للمرة الثالثة، بإضافة ثمانين كلمة (الجزء الأول والثاني والثالث) في مجلد واحد، فأصبح المجموع (مائة وخمسون كلمة).

وقد بذلت جهدي ألا أورد فيها من الأحاديث إلا ما صُحِّح، والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الكلمة الأولى

الإخلاص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الأصول المهمة في دين الإسلام تحقيق الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات، قال بعضهم: الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجازٍ سواه^(١)، والإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصاً لِمُ دِينِي﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك]. قال الفضيل: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة^(٢).

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٢/ ١٢٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).

فِيهِ كِبَرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ [الشورى].

قال أبو العالية: «وصاهم بالإخلاص في عبادته»، والإخلاص أعظم أعمال القلوب.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من الأعمال التي ميزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»^(١).

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: أولاً: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢).

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٣).

ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

(١) بدائع الفوائد (٣/٣٣٠) نقلاً عن كتاب الإخلاص والشرك الأصغر ص ٥.

(٢) صحيح البخاري (٢/٢٦٧) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (٣/١٣٤٣) برقم (١٧١٨).

(٣) صحيح البخاري (١٣١١) برقم (١)، وصحيح مسلم (٣/١٥١٥) برقم (١٩٠٧).

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ
لَحْدًا ﴿١٠﴾ ﴿[الكهف].

والإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [غافر].

وفقدان الإخلاص سبب لرد العمل. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها، قال: فما عملت فيها، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يُقال جريء، فقد قيل: ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلُ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُتفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه، ثم ألقي في النار»^(١) ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ثَوَّفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾ [عود].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر،

(١) صحيح مسلم (٣/١٥١٤) برقم (١٩٠٥).

(٢) صحيح ابن حبان (٢/١٣٨) رقم (٤٠٨).

والرجل يقاتل لثرى مكانه فمن في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له» فأعادها ثلاث مرات ويقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له» ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه»^(٢).

قال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين. وفي رواية عنه: والإخلاص أن يعافيك الله منها^(٣).

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب^(٤).

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تتقلب عليّ.

وقال أحدهم: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء. وقال بعض السلف: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله، نجا وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب؛ فإن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٣٠٩/٢) برقم (٢٨١٠)، وصحيح مسلم (١٥١٢/٣) برقم (١٩٠٤).

(٢) سنن النسائي (٢٥/٦) برقم (٣١٤٠).

(٣) مدارج السالكين (٩٥/٣). (٤) مدارج السالكين (٩٥/٢).

الكلمة الثانية

السبعة الذين يظلمهم الله في ظله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوهَا رِيَكُمْ إِنَّ رَبَّكَ لَزَلَزَلَ السَّاعَةَ شَقٌّ عَظِيمٌ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾ [الحج].

في ذلك اليوم العظيم تدنو الشمس من الخلق حتى تكون منهم

(١) صحيح البخاري (٤٤٠/١) رقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم (٧١٥/٢) برقم (١٠٣١).

قدر ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»^(٢).

في ذلك الموقف العظيم يظل الله في ظله هؤلاء السبعة، فلنتأمل أعمالهم التي أوجبت لهم هذا الجزاء العظيم.

فالأول: الإمام العادل الذي يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص].

ممثلاً أمر ربه له سبحانه إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولّوا»^(٣).

فهذا ثواب من عدل في حكمه وأعطى الحق أهله، فانظر إلى جزاء من جار في حكمه وظلم ولم يعدل.

(١) معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٢١٩٦) رقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٩٧) رقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم (٤/٢١٩٦) رقم (٢٨٦٣).

(٣) صحيح مسلم (٣/١٤٥٨) رقم (١٨٢٧).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الْظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله تعالى مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه، فكأنه بره أو أوبقه إثمه، أولها ملامة وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»^(١).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة»^(٢).

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحببها إليه، وكره إليه الأعمال السيئة وأعانه على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك، وقد حفظه مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، فاستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

لقد علم أنه مسؤول عن شبابه فيم أبلاه، فعمل بوصية نبيه صلى الله عليه وسلم

(١) مسند الإمام أحمد (٢٦٧/٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧١٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٣١/٤) رقم (٧١٥)، وصحيح مسلم (١٢٥/١) رقم (١٤٢) واللفظ لمسلم.

التي أوصى بها حيث يقول: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك»^(١).

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، فلا يكاد إذا خرج من المسجد أن يرتاح لشيء حتى يعود إليه، لأن المساجد بيوت الله، ومن دخلها فقد حلّ ضيفاً على ربه، فلا قلبٌ أطيب ولا نفسٌ أسعدُ من رجلٍ حلّ ضيفاً على ربه في بيته وتحت رعايته.

وهؤلاء عمّار المساجد على الحقيقة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَقُومُ الْمَسْجِدَ اللَّهُ مَنَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة].

فمن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة في الجنة.

(١) مستدرک الحاكم (٣٤١/٤) رقم (٧٨٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٤/١) رقم (١٠٧٧).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٧٦/٦)، وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (٢٩٨/١)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري، وقال إسناده حسن وهو كما قال عليه السلام. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله^(١) في الجنة كلما غدا أو راح»^(٢).

والرابع: رجلان تحابا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَتَذَكَّرُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذَلُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

وفي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب في الله وأبغض في الله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٤).

وهذه إحدى الخصال التي يجد بها العبد حلاوة الإيمان ولذته، فهذان الرجلان لم تجمعهما قرابة ولا رحم ولا مصالح دنيوية، وإنما جمع بينهما حب الله تعالى حتى فرق بينهما الموت وهما على ذلك.

فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله عبداً

(١) نزله: مكاناً ينزله.

(٢) صحيح البخاري (٢٠/١) رقم (٦٦٢)، وصحيح مسلم (٤٦٣/١) رقم (٦٦٩).

(٣) سنن أبي داود (٢٢٠/٤) برقم (٤٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٣٤/٢) برقم (٥٩٦٥).

(٤) صحيح مسلم (٧٤/١) برقم (٥٤).

ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله» فجثى رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟! أنعتهم لنا - يعني صفهم لنا - فسرَّ وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: «هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابُّوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نوراً، وثيابهم نوراً يفرز الناس يوم القيامة، ولا يفرعون؛ وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١).

والخامس: رجل دعت امرأة إلى نفسها، وليست كأي امرأة، بل هي امرأة لها مكانة ومنزلة رفيعة، وقد أعطاه الله من الجمال ما يجعل الفتنة بها أشد، والتعلق بها أعظم فيا الله كيف ينجو من وقع في مثل ذلك الموقف إلا بإيمان عميق وبصيرة نافذة.

قال القاضي عياض: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب، وأعظم الطاعات،

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٣/٥) وشرح السنة للبغوي (٥٠/١٣ - ٥١) برقم (٣٤٦٤)، وقال محققه شعيب، وزهير: وأخرجه أحمد (٣٤١/٥)، و(٣٤٣) وشهر بن حوشب مختلف فيه وله شاهد بنحوه من حديث ابن عمر. أخرجه الحاكم في المستدرک (١٧٠/٤ - ١٧١)، وصححه، وأقره الذهبي وآخر من حديث أبي هريرة عند ابن حبان في صحيحه (٢٥٠٨) وإسناده صحيح.

فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله. وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف»^(١).

قال تعالى في هذا وأمثاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النازعات].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيتها بمائة دينار، فتغيبت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجلها قالت: يا عبد الله أتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمتم عنها، اللهم فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة. ففرج فرجة... الحديث»^(٢).

والسادس: رجل تصدق بصدقة، وما أكثر المتصدقين، وما أعظم أجورهم عند الله، لكن الذي تميز به هذا المتصدق ونال به هذا الأجر العظيم - وهو إضلال الله له -، إخلاصه في صدقته، فقد بلغ به الإخلاص حتى كاد أن يخفيها عن نفسه لو استطاع. وقد مدح الله المتصدقين، فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ثم خص المسرّين فقال: ﴿وَلِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢٢/٣).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري (١١٧/٢) برقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم (٢١٠/٤) برقم (٢٧٤٣).

وعن عبد الله بن جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»^(١).

أما السابيع: فرجل امتلأ قلبه بمحبة الله وخشيته وتعظيمه، فذكر الله بمكان خال لا يراه إلا هو، ذكر عظمته وفضله عليه ورحمته فدمعت عيناه شوقاً إليه، وفي هذا وأمثاله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة].

وعن ابن عباس عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(٢).

وقد كان النبي ﷺ كثير البكاء من خشية الله وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المعجم الصغير للطبراني (٢/٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي (٤/١٧٥) برقم (١٦٣٩)، وقال: حديث ابن عباس حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/٧٥٦) برقم (٤١١٣).

الكلمة الثالثة

التوفيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توفيق الله ﷻ لا غنى للعبد عنه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور].

فمن وفقه الله لتزكية نفسه فقد أفلح وفاز، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى] وأعلى مراتب توفيق الله لعبده أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات].

قال ابن القيم رحمه الله: «يخاطب الله جل وعلا عباده المؤمنين، فيقول: لولا توفيقي لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم، ولكني حببته إليكم وزينته في قلوبكم، وكرهت إليكم ضده الكفر والفسوق»^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٧).

والتوفيق من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله، إذ لا يقدر عليه إلا هو، فمن طلبه من غيره فهو محروم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه الهداية المذكورة في الآية هي التي يسميها العلماء هداية التوفيق، قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن القيم رحمته الله: «أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك»^(١) وبهذا جاء التوجيه النبوي الكريم، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»^(٢).

ومما يغلط فيه كثير من الناس ظنهم أن من رزق مالا، أو منصباً، أو جاهاً، أو غير ذلك من الأمور الدنيوية، أنه قد وُفق، والأمر ليس كما ظنوا، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وقد ذكر الله هذا عن ذلك الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَا أُنْتَلَتْ إِذَا مَا أُنْتَلَتْ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَإِذَا مَا أُنْتَلَتْ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر].

والصواب أن الموفق هو الذي إذا أُعطي منصباً، أو جاهاً،

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٥).

(٢) سنن أبي داود (٣٢٤/٤) رقم (٥٠٩٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٨٨).

استعمله في مرضاة ربه، ونصرة دينه، ونفع إخوانه، وإن رُزِقَ مالا أخذَه من حله وصرفه في طاعة ربه، فإن من حكمة الله تعالى أن يتلي عباده، فالموفق منهم هو الذي إذا أُعطي شكر، والمخذول هو الذي إذا أُعطي طغى وكفر، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ ۚ﴾ ١ أن رآه أَسْتَفْقَ ٢ ﴿٧﴾ [العلق].

وقال الله عن نبيه سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].
وتوفيق الله لعباده يكون على أحوال كثيرة، فمنها أن يعرض الخير على أناس فيردونه حتى ييسر الله له من أراد به الخير من عباده، وقد مكث النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يعرض نفسه على القبائل لينصروه، فلم يستجيبوا له حتى وفق الله الأنصار لذلك، فنالوا الشرف العظيم في الدنيا والآخرة.

ومنها أن يوفق الله العبد في آخر حياته لعمل صالح يموت عليه فيختم الله به أعماله.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعبده، فقعده عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم. وخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار» وفي رواية: «فلما مات، قال: صلوا على صاحبكم»^(١).

ومنها أن يُوفق الله العبد لعمل قليل أجره عند الله كثير، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم، قال: «أسلم ثم قاتل» فأسلم ثم قاتل فقتل،

(١) صحيح البخاري (٤١٦/١) رقم (١٣٥٦)، وأحمد (٢٦٠/٣) والرواية له.

فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليلاً وأجر كثيراً»^(١).

فمن اتقى الله تعالى وملاً الإخلاص قلبه، وعلم الله منه صدق نيته، وأكثر من دعائه، فقد أخذ بمجامع الأسباب الموصلة إلى التوفيق، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٣٠٨/٢) برقم (٢٨٠٨)، وصحيح مسلم (١٥٠٩/٣) رقم (١٩٠٠).

الكلمة الرابعة

حسن الخلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال التي دعا إليها الشرع ورغب فيها حسن الخلق، فهو من أعظم مواهب الله لعباده.

قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليغضض الفاحش البذيء»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم، في أقواله وأعماله، وفي عبادته لربه وتعامله مع عباده.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب؛ والحلم

(١) سنن الترمذي (٣٦٢/٤) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح. وانظر: صحيح الجامع رقم (٥٧٢١) (٥٧٢٦).

عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله وأخضع لهم عدوهم»^(١).

ومن وصايا النبي الكريم ﷺ للصحابيين الجليلين أبي ذر ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهما أنه قال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(٣). اهـ. ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً»^(٤).

قال بعض السلف: حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله ﷻ وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً.

ثانيهما: حسن الخلق مع الناس وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلًا، وكف الأذى قولاً وفعلًا^(٥).

فحري بمن تمسك بهذا أن يصل إلى مراتب العاملين، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٠١).

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٥٥) رقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) سنن الترمذي (٣/٤٦٦) برقم (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) تهذيب السنن لابن القيم شرح سنن أبي داود (١٣/١٣٠).

الصائم القائم^(١).

لقد كان النبي ﷺ أعظم الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟^(٢).

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣) للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح بها أعين عمي وأذان صم وقلوب غلف^(٤).

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: حسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وأن تحتل ما يكون من الناس^(٥).

والمسلم لابد أن تواجهه في حياته مواقف كثيرة، إن لم يستعمل فيها حسن الخلق فإنه سيفشل في مواجهتها.

(١) سنن أبي داود (٢٥٢/٤) برقم (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩١١/٣).

(٢) سنن الترمذي (٣٦٨/٤) برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح البخاري (٩٦/٢) برقم (٢١٢٥).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).

فمن القواعد العامة في هذا المجال أن لا تسرع بالملامة في حق من أساء إليك، أو قصر في حقك، وأن تعامله بحسن الظن والتماس العذر، وعلى العكس من ذلك أن لا تقول قولاً، ولا تفعل فعلاً قد تحتاج فيما بعد للاعتذار منه، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إياك وكل أمر يُعْتَذَرُ مِنْهُ»^(١).

ومن الأمثلة التي استعمل فيها حسن الخلق فكانت نتائجها حميدة، ما روي أن رجلاً لقي علي بن الحسين فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال: مهلاً، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة^(٢) كانت عليه، وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الضياء في المختارة (١٨٨/٦) برقم (٢١٩٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨٩/١) برقم (٣٥٤).

(٢) كساء أسود مربع معلوم.

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٣٨).

الكلمة الخامسة

العجلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها العجلة.

قال الراغب: «العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، حتى قيل: العجلة من الشيطان»^(١).

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ﴾ [القيامة]، وقد كان النبي ﷺ خلقه القرآن، يتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه، لذلك التزم بهذا التوجيه المبارك، فلم يكن يستعجل؛ بل كان يتأنى ويصبر، وإلى هذا أرشد أمته؛ فقال ﷺ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»^(٢).

وقال الله له أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَعَلَ بِهَٰذَا إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحزاب] فكان ﷺ - وهو القدوة المثلى - أولى الخلق التزاماً بهذا الأمر.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٣٣٤).

(٢) مسند أبي يعلى (٧/٢٤٧) برقم (٤٢٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٠٤) برقم (١٧٩٥).

فمن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(١). فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(٢).

أما المسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إليها، وانتهاز الفرص إذا حانت، فإن ذلك محمود وليس بمذموم.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

لأن العجلة المذمومة القطع في الأمور قبل التفكير والمشاورة والاستخارة، ولهذا قال أبو حاتم البستي رحمته الله: «إن العجل يقول قبل أن يعلم، ويجب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعدما يحمد، والعجل تصحبه الندامة، وتعزله السلامة، وكانت

(١) هما جبلا مكة أبو قيس والجبيل الذي يقابله.

(٢) صحيح مسلم (٣/١٤٢٠، ١٤٢١) برقم (١٧٩٥).

العرب تسميها أم الندامات»^(١). اهـ.

قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
ومن الأمثلة على العجلة المذمومة: الاستعجال بالدعاء على
الأهل، والمال والولد عند الغضب، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ
دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مُجُولًا﴾ [الإسراء].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم،
ولا تدعوا على أموالكم، ولا تدعوا على أولادكم، لا توافقوا من الله
ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»^(٢).

ولعل كثيراً مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد
يكون بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من
مذكر؟

ومنها: استعجال المرء إجابة دعائه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي
فلم يستجب لي»^(٣).

ومنها استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يتمون ركوعها
ولا سجودها ولا يطمثنون فيها، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
رجلاً صلى عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «ارجع فصل فإنك لم
تصل» - ثلاث مرات - في كل مرة يقول له ذلك.

ثم قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل

(١) روضة العقلاء (ص ٢٨٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٣٠٤/٤) برقم (٣٠٠٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٩٥/٤) برقم (٢٧٣٥).

شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، أوصي أولادي وأهلي وأقاربي وجميع المسلمين بتقوى الله ﷻ، وأوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة].

وأوصي بتسديد ما علي من دين - إن كان عليه دين -، وإن أراد أن يقول: وأن يخرج من مالي ثلثه لفلان أو صدقة جارية، وأولادي القُصْر يكون وليهم فلان، يحفظ لهم حقهم من التركة حتى يبلغوا، ثم يوصي بما أراد من وصايا دينية واجتماعية وأن يكون غسله وتجهيزه وما يتبع ذلك على سنة النبي ﷺ، ثم يختم ذلك بالدعاء لنفسه بالمغفرة والرحمة ودخول الجنان.

وعليه توثيق وصيته بشهادة رجلين عدلين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً..»^(١) - الحديث.

ومن واقعنا المعاصر نرى كثيراً من الناس يندمون حين لا ينفعهم الندم، بسبب استعجالهم في أمور كان عليهم أن يتأنوا فيها، فمن ذلك أنه لأقل الأسباب يطلق الرجل زوجته، فتتشتت الأسر، ويضيع الأطفال، وتُهدم البيوت، ويقع من الهم والغم ما الله به عليم، كل ذلك بسبب العجلة فهل من مدكر.

ومنها العجلة في قيادة السيارات، وما نسمعه من الحوادث المروعة التي كانت سبباً لإزهاق نفوس كثيرة، وأمراض خطيرة، وعاهات مزمنة، إنما وقع بسبب العجلة.

ومنها أن يستبطئ الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري (٢٤٧/١) برقم (٧٥٧)، ومسلم (١/٢٩٨) برقم (٣٩٧).

(٢) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٤٢٠) برقم (٢٠٨٥).

الكلمة السادسة

كتابة الوصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الأمور التي ينبغي تذكير المسلمين بها كتابة الوصية وذلك لما في كتابتها من المصالح الدينية والدنيوية، ولتساهل كثير من الناس بها.

فلو قلت لأحدهم: هل كتبت وصيتك؟ لنظر إليك نظرة تعجب واستغراب، هل هو على فراش الموت حتى يكتب وصيته.

ولم يعتبر بما يشاهده ويسمعه كل يوم من الميمات الفجائية التي تأتي بغتة، وقد أخبر ﷺ أن من عقوباته احترام النفوس فجأة، فلا تتمكن من الوصية بشيء تريده، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٥١) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٥٢) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٣) [يس] فكم من ميت مرتهن بدينه. وكم من غني لم ينتفع بماله بعد موته، وكم من حقوق أضيعت، وأمانات لم تؤد إلى أصحابها، كل ذلك سببه التساهل في كتابه الوصية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»^(١).

(١) سنن الترمذي (٣/ ٣٩٠) برقم (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٧٧٩).

الكلمة السابعة

البركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإنه ينبغي للمسلم أن يسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك له في علمه وعمله، وفي وقته وماله، وفي أهله وأولاده، وفي دنياه وآخرته، وأن يحرص على الأسباب التي تستجلب بها البركة.

قال الراغب: «البركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء»^(١). اهـ.

فالبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وإن من أعظم ثمار البركة في الأمور كلها استعمالها في طاعة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ولما كان النبي ﷺ وأصحابه ؓ أعظم الناس قياماً بالتقوى ولوازمها، كانت البركة لهم وبهم أعظم وأعم، ولقد هداهم الله تعالى ومن شاء من صالحى العباد إلى ما فيه الخير كله والبركة كلها، وهو هذا الكتاب العظيم الذي أمر الناس بتعلمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ الْكِتَابَ إِتِّفَقَ فِيهِ الْبَاقُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَمُحَمَّدٌ أَن يَزِيدَ فِي الْكِتَابِ إِلَّا مَا يَشَاءُ وَيُؤْتِيهِمْ فِيهِ الْوَحْيَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم «٤١».

والوصية سنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، فينبغي للمسلم أن يقتدي بهم فيوصي أولاده وقرباته من بعده بتقوى الله ﷻ والتمسك بدينه، ويوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢١) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٣﴾ [البقرة].

والوصية على أحوال: واجبة، ومستحبة، ومحرمة.

فتجب على المسلم إذا كانت عليه حقوق لله تعالى، كالنذر والزكاة، والحج، ونحوها. أو عليه ديون للخلق من أموال وغيرها، أو له ديون على الناس لم يعفهم منها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» قال عبد الله بن عمر: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي^(١).

وتستحب لمن عنده سعة من المال أن يوصي بشيء منه، يُنفق في أعمال البر، ويكون له صدقة جارية بعد موته، وهذه الوصية لها شرطان:

الأول: أن تكون بالثلث فما دون؛ لقول النبي ﷺ لسعد لما أراد أن يوصي «الثلث والثلث كثير»^(٢).

الثاني: أن تكون لغير وارث، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال

(١) صحيح البخاري (٢٨٦/٢) برقم (٢٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٧/٢)، وصحيح مسلم (١٢٥٠/٣) برقم (١٦٢٧).

النبي ﷺ: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»^(١).

وتحرم الوصية بما يخالف الشرع، كأن يوصي أهله بالنيابة عليه، أو بقطع رحمه، أو إلحاق الأذى بالمسلمين، أو الانتقام من فلان، أو الإضرار بورثته، وغير ذلك، فمن فعل شيء من ذلك فإنها لا تصح وصيته ولا تنفذ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

نقل ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ابن عباس وغيره أن الجنف هو الخطأ، ثم قال: وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زاد وارثاً بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصى ببيعه الشيء الفلاني محاباةً، أو أوصى لابن بنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل^(٢).

ومن فوائد الوصية إضافة إلى ما تقدم:

١ - الأجر العظيم لمن كتبها جزاء طاعته لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

٢ - الأجر العظيم فيما يوصي به من النصائح والمواظظ لما يُرجى من الانتفاع بها.

٣ - إبراء ذمته من المخالفات الشرعية والحقوق المالية وغيرها.

٤ - قطع النزاعات المحتملة، وإنهاء الخلافات التي قد تحدث بين ورثته من بعده، وهذا نموذج للوصية:

يقول بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله: هذا ما أوصى به فلان بن فلان وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

(١) سنن الترمذي وهو جزء من حديث (٤/٤٣٤) برقم (٢١٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢١٢ - ٢١٣) مختصراً.

فعن أبي عثمان قال: قال عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه: جاء أبو بكر بضيف له - أو بأضياف له - فأمسى عند النبي ﷺ فلما جاء قالت أمي: احتبست عن ضيفك أو أضيافك - الليلة، قال: أو ما عشيتم؟ فقالت: عرضنا عليه - أو عليهم فأبوا أو - فأبى: فغضب أبو بكر فسبَّ وجدَّع، وحلف لا يطعمه، فاخترأت أنا فقال: يا غنثر، فحلفت المرأة لا تطعمه حتى يطعمه، فحلف الضيف أو الأضياف أن لا يطعمه - أو يطعموه - حتى يطعمه، فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان، فدعا بالطعام، فأكل وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها. فقال: يا أخت بني فراس ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل، فأكلوا وبعث بها إلى النبي ﷺ فذكر أنه أكل منها^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني»^(٢).

وهناك أسباب كثيرة تُستجلب بها البركة.

منها: تقوى الله جل وعلا، فما اتقى الله عبد في أي أمر من أموره إلا بارك الله له فيه بقدر تقواه أو أعظم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف].

ومنها: الدعاء، ولقد علمنا النبي ﷺ الدعاء بطلب البركة في

(١) صحيح البخاري (١١٧/٤) برقم (٦١٤١).

(٢) صحيح البخاري (١٨٢/٤) برقم (٦٤٥١).

أمور كثيرة، فقد علمنا أن ندعو للمتزوج: فنقول بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما بخير^(١)، وعلمنا أن ندعو لمن أطعمنا فنقول: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم^(٢)، وعلمنا أن ندعو بالبركة في طعامنا فنقول: اللهم بارك لنا فيه^(٣).

وكان ﷺ يؤتى بالأطفال فيدعو لهم بالبركة^(٤)، وإذا أتوه بالباكورة من الثمرة دعا فيها بالبركة، فقال: اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مُدُننا، وفي صاعنا، بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان^(٥).

ومنها أن يأخذ المال بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح.

قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع»^(٦).

ويلحق بهذا إنفاق المال في وجوه البر وإخراج زكاته، وبذل حقوقه بإخلاص وطيب نفس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

-
- (١) سنن الترمذي (٤٠٠/٣) برقم (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح.
 - (٢) صحيح مسلم (١٦١٦/٣) رقم (٢٠٤٢).
 - (٣) أبو داود (٣٣٩/٣) برقم (٣٧٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٣٨١).
 - (٤) سنن أبي داود (٣٢٨/٤) رقم (٥١٠٦).
 - (٥) انظر: صحيح مسلم (١٠٠٠/٢) برقم (١٣٧٣).
 - (٦) صحيح البخاري (٤٥٦/١) برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم (٧١٧/٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»^(١).

وفي حديث قدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ: قال: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك^(٢).
ومنها الصدق في المعاملة من بيع وشراء وتجارة وشراكة وغيرها.

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «البَّيْعَان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحِقَّت بركة بيعهما»^(٣).

ومنها: قضاء الأعمال والتجارات في أول النهار فعن صخر الغامدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٤).

قال: فكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية بعثها أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان لا يبعث غلماناً إلا من أول النهار، فكثر ماله حتى كان لا يدري أين يضع ماله.

ومنها: اتباع السنة في الطعام والشراب، وفيه أحاديث نشير إلى بعضها، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه»^(٥).

(١) صحيح مسلم جزء من حديث (٢٠٠١/٤) برقم (٢٥٨٨).

(٢) صحيح مسلم (٦٩٠/٢) برقم (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري (٩٢/٢) رقم (٢١١٠)، صحيح مسلم (١١٦٤/٣) برقم (١٥٣٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١٦/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٧٨/١) برقم (١٣٠٠).

(٥) سنن الترمذي (٢٦٠/٤) برقم (١٨٠٥).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»^(١).

وعن وحشي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله: إنا نأكل ولا نشبع؛ قال: «فلعلكم تأكلون متفرقين»، قالوا: نعم، قال: «فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه، يُبارك لكم فيه»^(٢).

ومنها: أي من أسباب حصول البركة، استخارة المولى جل وعلا في الأمور كلها، مع الإيمان بأن ما يختاره الله لعبده خير مما يختاره لنفسه في العاجل والآجل؛ وكان النبي ﷺ من شدة حرصه عليها يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجله، وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجله وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»^(٣).
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم (١٦٠٦/٣) برقم (٢٠٣٤).

(٢) سنن ابن ماجه (١٠٩٣/٢) برقم (٣٢٨٦) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٧٤).

(٣) صحيح البخاري (٣٨٢/٤) برقم (٧٣٩٠).

الكلمة الثامنة

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فقد رُوي عنه ﷺ أنه قال: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

وهذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وإن كان مشهوراً عند كثير من الناس، وقد ثبت بلفظ آخر من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء قالا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية وقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً، قال: سمعته يقول: «إني لك لن تدع شيئاً لله ﷻ إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه»^(١).

وهذا الحديث العظيم قد اشتمل على ثلاث جمل.

الأولى قوله: لن تدع شيئاً، وهذا لفظ عام يشمل كل شيء يتركه الإنسان ابتغاء وجه الله تعالى.

الثانية: قوله لله ﷻ، هذه الجملة بيّن فيها النبي ﷺ أن الترك لا بد أن يكون ابتغاء مرضاة الله لا خوفاً من سلطان، أو حياء من إنسان، أو عدم القدرة على التمكن منه، أو غير ذلك.

الثالثة: قوله ﷺ أبدله الله خيراً منه، هذه الجملة فيها بيان للجزاء

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠) رواه أحمد بأسانيده ورجالها رجال الصحيح وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٦٢/١) وسنده صحيح على شرط مسلم.

الذي يناله من قام بذلك الشرط، وهو تعويض الله للتارك خيراً وأفضل مما ترك، والعوض من الله قد يكون من جنس المتروك، أو من غير جنسه، ومنه الأنس بالله ﷻ ومحبه وطمأنينة القلب وانسراح الصدر، ويكون في الدنيا والآخرة، كما علم الله المؤمن أن يدعو: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

قال قتادة السدوسي: لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ، إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

وفي حديث أبي هريرة عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: يقول الله: «إذا أراد عبي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوا له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة»^(١).

والأمثلة التي تبين عظيم خلف الله تعالى لعباده كثيرة جداً، منها: ما قصه الله تعالى عن نبي الله سليمان ﷺ في سورة (ص)، وخلاصته: أنه كان محباً للجهاد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حباً شديداً، فاشتغل بها يوماً حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن يصلي، فأمر بها فردت عليه، فضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف إيثاراً لمحبة الله ﷻ، وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم.

فعوضه الله ﷻ خيراً منها الريح التي تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شهرين.

وإليك الآيات فتدبر. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ

(١) صحيح البخاري (٤/٤٠٤) برقم (٧٥٠١).

إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٥﴾ إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَتِ الْخِيَادُ ﴿١٦﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿١٧﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَبْلُغُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِفْكٌ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٠﴾ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢١﴾ [ص].

المثال الثاني: النبي ﷺ وأصحابه لما هاجروا تركوا ديارهم وأموالهم لله تعالى، فعرضهم الله بأن جعلهم قادة الدنيا وحكام الأرض وفتح عليهم خزائن كسرى وقيصر، ومكنهم من رقاب الملوك والجبابة، هذا مع ما يُرجى لهم من نعيم الآخرة، فشكروا، ولم يكفروا، وتواضعوا ولم يتكبروا، وحكموا بالعدل بين الناس، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور].

وتأمل قصة أحد هؤلاء المهاجرين، وهو صهيب الرومي رضي الله عنه، فعن عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة فنشل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً، فقال: «لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف، فتعلمون أنني رجل وقد خلّفت بمكة قيتين فهما لكم.. ونزلت على النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، فلما رآه النبي ﷺ قال: أبا يحيى ربح البيع، قال: وتلا عليه الآية^(١).

(١) مستدرک الحاكم (٣/٤٥٠) ورقم (١٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند من =

المثال الثالث: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عرضت عليه المغريات في أرقى صورها، فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عَلَيْكَ، لأن الله جعله من المُخْلِصِينَ، وأوذي بسبب ذلك فاختر السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فمَلَّكَه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطِي، ونعم المُعْطَى، ونعمت العطية.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِلِينَ ۖ﴾ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُمْ هُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٤﴾ ﴿[يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥١﴾ ﴿[يوسف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة

طول الأمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فلقد ذم الله أقواماً طالت آمالهم فألهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون، فهم يتمنون أن لو مُدَّ لهم فيه ليستدركوا ما فات؛ ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿زُبَيْمًا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الحجر].

وطول الأمل: هو الاستمرار في الحرص على الدنيا ومداومة الانكباب عليها، مع كثرة الإعراض عن الآخرة^(١).

ولقد أخبر النبي ﷺ أن كثيراً من الناس طالت آمالهم حتى جاوزت آجالهم.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: «خط النبي ﷺ خطوطاً فقال هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»^(٢) يعني الأجل.

وإن من عجيب أمر ابن آدم أنه كلما اقترب من أجله طال أمله، وزادت رغبته في الدنيا وحرصه عليها، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، وهم قليل.

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (١١/٤٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٧٦) برقم (٦٤١٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال قلبُ الكبير شاباً في اثنتين، في حب الدنيا وطول الأمل»^(١).

فالأمل لا ينفك عنه أكثر الخلق، ولولا الأمل ما تهنى أحد بعيش أبداً، قال الشاعر:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

قال ابن حجر: وفي الأمل سر لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته^(٢).

فالعاقِل من لم يغره طول الأمل، ولم ينسه ما هو فيه من النعيم ما وعد الله به كل حي، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِجَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

«وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(٣).

زاد الترمذي: «وعد نفسك من أهل القبور فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً»^(٤).

(١) صحيح البخاري (١٧٦/٤) برقم (٦٤٢٠).

(٢) فتح الباري (٢٣٧/١١).

(٣) البخاري (١٧٦/٤) برقم (٦٤١٦).

(٤) سنن الترمذي (٥٦٨/٤) برقم (٢٣٣٣).

قال ابن رجب: وهذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يتخذ هذه الدنيا وطناً ومسكناً، وإنما يكون حاله فيها كأنه على جناح سفر يهيم جهازه للرحيل^(١).

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه، فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا، قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه^(٢).

عن الحسن لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه: بكى وقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فتركنا ما عهد إلينا أن يكون بلغه أحدنا من الدنيا كزاد الراكب قال: ثم نظرنا فيما ترك فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهماً أو بضعة وثلاثون درهماً^(٣).

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته، فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال ابن القيم رحمه الله: «ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أمانى، والوقت ضائع بينهما»^(٤).

ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسويق بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب، لأن رفته وصفاءه إنما يقع بتذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

ولذلك يقول علي رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٧).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وصححه ابن حبان (٢٤٨٠).

(٤) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٤٨٦٥/١٠).

الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فإنه ينسي الآخرة، ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري من قوله: ارتحلت الدنيا مدبرة (١٧٦/٤) برقم (٦٤١٦).

الكلمة العاشرة

فضل القرآن وقراءته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وهوى، أثنى الله عليه في مواضع كثيرة منه؛ ليبين فضله ويوضح للناس مكانته ومنزلته، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَنُتُبٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِمُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [فصلت].

فما من باطل إلا وفي القرآن ما يدمغه، ولا شبهة إلا وفيه بيان بطلانها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرٍ﴾ (٣) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٤) [الأنبياء].

سمّاه الله نوراً وجعله للناس شفاءً. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥) [الشورى].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَذَى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس].

أعجب به الجن لما سمعوه، فأمنوا به واتبعوه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ تَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن].

تكفل الله بحفظه وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»^(١).

ولهذه الفضائل العظيمة لكتاب الله، أمر الله بتلاوته والعمل به وتدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٨ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٢٩﴾ [فاطر].

وأخبر النبي ﷺ بما لقارئ القرآن من الحسنات.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع

(١) صحيح مسلم (٥٥٩/١) برقم (٨١٧).

(٢) سنن الترمذي (١٧٥/٥) برقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه وهو عليه شاق له أجران»^(١).

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن، فيشفع لقارئه ويعلو به في مراتب الجنة على قدر قراءته.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها»^(٣).

وإن من عجيب حال الكثيرين منا تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا لما شبت من كلام الله ﷻ. ولهذا المعنى أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَّادَتْهُمْ إِيمَانُهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [التوبة].

فالآيات بينت حال المؤمنين، وحال المنافقين عند سماع القرآن وتلاوته، فليحذر المسلم أن يكون من ذلك الصنف الخاسر الذي لا يزيده سماع القرآن إلا خساراً.

(١) صحيح البخاري (٣٢١/٣) برقم (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم (٥٥٠/١) برقم (٧٩٨).

(٢) صحيح مسلم (٥٥٣/١) برقم (٨٠٤).

(٣) سنن الترمذي (١٧٧/٥) برقم (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعلى هذا فينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:
أولاً: قراءة القرآن بتدبر وتمعن، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِتُدَّبَّرَ مَبْرَكٌ لِّتَذَكَّرُوا بِآيَاتِهِ وَلِتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

قال عبد الله بن مسعود: «لا تنثروه كنثر الرمل، ولا تهذوه كهذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

ثانياً: مراجعة الحفظ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد ثقلًا من الإبل في عقلها»^(١).

ثالثاً: الخشوع عند تلاوة القرآن: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليّ»، قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل! فقال النبي ﷺ: «نعم»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [٥١] قال: «حسبك الآن» فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان^(٢).

رابعاً: عدم هجر القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان] والهجر يشمل هجر التلاوة، والتدبر والعمل، والتحاكم إليه، كما قال ابن القيم رحمه الله.

فلا بد من العناية بكلام الله ﷻ حفظاً، وتلاوة، وعملاً، حتى يكون المسلم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٣/٣٤٨) برقم (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم (١/٥٤٥) برقم (٧٩١).

(٢) صحيح البخاري (٣/٣٥١) برقم (٥٠٥٠)، ومسلم (١/٥٥١) برقم (٨٠٠).

الكلمة الحادية عشرة

فضل رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَكَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص].

وهذا «الشهر» قد خصه الله ﷻ بخصائص، من أعظمها وأجلها أن الله تعالى أنزل فيه هذا القرآن العظيم هدى للناس وبينات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة].

قال بعض أهل العلم: إن الله تبارك وتعالى عقّب بالفاء السببية التي تفيد التعليل؛ ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر].

ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان، فينبغي للمسلم أن يكثر من قراءة القرآن في هذا الشهر المبارك.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان

أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة^(١).

ومنها أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة في شهر رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة في رمضان»^(٢).

ومنها أن فيه ليلة خير من ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَزِدَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿١﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾﴾ [القدر]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»^(٣).

والمقصود من هذه الخيرية أن العمل الصالح في هذه الليلة أفضل من العمل ألف شهر.

ومنها: استجابة الدعاء فيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله في كل يوم وليلة عتقاء من النار - يعني في رمضان - وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة يدعو بها فيستجاب له»^(٤).

(١) صحيح البخاري (١٦/١) برقم (٦).

وصحيح مسلم (١٨٠٣/٤) برقم (٢٣٠٨).

(٢) سنن الترمذي (٦٧/٣) برقم (٦٨٢).

(٣) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠١).

وصحيح مسلم (٥٢٣/١) برقم (٧٥٩).

(٤) كشف الأستار (٤٥٧/١ - ٤٥٨) برقم (٩٦٢) وصححه الألباني في صحيح =

ومنها: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم يُضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله ﻋﻠﻴﻪ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك»^(١).

ومنها: فضل الاعتمار فيه: عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سنان: ما منعك أن تكوني حججت معنا، قالت: «ناضحان كانا لأبي فلان - زوجها - حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال: فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي»^(٢).

ومنها تكفير الخطايا والسيئات، فعن مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقي عتبة، قال: (آمين) ثم رقي عتبة أخرى فقال: (آمين)، ثم رقي عتبة ثالثة، فقال: (آمين)، ثم قال: أثنائي جبريل، فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، قلت: آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله، قلت آمين، فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين، فقلت آمين»^(٣).

= الترغيب والترهيب (ص ٤١٩).

(١) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠٤).

وصحيح مسلم (٨٠٧/٢) برقم (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري (٥٣٩/١) برقم (١٧٨٢)، ومسلم (٩١٧/٢) برقم (١٢٥٦).

(٣) صحيح ابن حبان (١٤٠/٢) برقم ٤٠٩.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(٢).

ومعنى إيماناً واحتساباً في الحديثين السابقين أي مصداقاً بفرضية الصيام، وراغباً في ثوابه، طيبة نفسه بالصيام، غير كاره لصيامه ولا مستثقل لقيامه، وبعض الناس يصوم ويقوم عادة لأنه رأى الناس يفعلون ذلك، وهذا خطأ، فإنه لا تُنال هذه الأجور العظيمة إلا بإخلاص وابتغاء ثواب الله وجزائه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠١).

وصحيح مسلم (٥٢٣/١) برقم (٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٦٠/٢) برقم (٢٠٠٩).

وصحيح مسلم (٥٢٣/١) برقم (٧٥٩).

ومنها: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد»^(١).

ومنها: صيام الاثنين والخميس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ والخميسِ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٣٦٤/١) برقم (١١٧٨).

وصحيح مسلم (٤٩٩/١) برقم (٧٢١).

(٢) رواه الترمذي (١٢٢/٣) برقم (٧٤٧)، وقال: حديث حسن غريب.

الكلمة الثانية عشرة

فضل الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة وأجلها عند الله تعالى الصيام، فقد رغب فيه الشرع وحث عليه، وجعله أحد أركان الإسلام العظام، وأخبر جل وعلا أنه لا تستغني عنه الأمم؛ لما فيه من تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس، وحملها على الصبر، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقال تعالى بعد ما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً» (١)(٢).

(١) صحيح البخاري (٣١٧/٢) برقم (٢٨٤٠)، ومسلم (٨٠٨/٢) برقم (١١٥٣).

(٢) سبعين خريفاً أي سبعين سنة.

ومن فضائل الصيام أنه وقاية للعبد من عذاب الله يوم القيامة .
 فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الصيام جنة يستجن بها العبد من النار، هو لي وأنا أجزي به»^(١).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة، فقال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» قال: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهراً إلا إذا نزل بهم ضيف^(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة باباً يُقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»^(٣).

ومنها: أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتي الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن منعتي النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان»^(٤).

ومنها: أن الصائم يوقى أجره بغير حساب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٣٩٦) قال المنذري: في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٩/٢): إسناده حسن.

(٢) صحيح ابن حبان (٥/١٧٩ - ١٨٠) برقم (٣٤١٦، ٣٤١٧).

(٣) صحيح البخاري (٢/٢٩) برقم (١٨٩٦)، صحيح مسلم (٢/٨٠٨) برقم (١١٥٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٢/١٧٤)، قال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٢/١٠): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع بإسناد حسن.

سبعمائة ضعف. قال الله ﷻ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فيه أطيب عند الله من ربح المسك^(١).

ومنها: أنه كفارة لكثير من المخالفات، فمن ذلك أنه كفارة لحنت اليمين، وقتل الصيد في الإحرام، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَلَرْتُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا فَجَرَاءُ مِثْلِ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «فتنة الرجل في أهله وماله تكفرها الصلاة، والصيام، والصدقة»^(٢).

ومنها: أن من صام رمضان وأدى الفرائض الأخرى كان من الصديقين والشهداء، فعن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: «أرايت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته فممن أنا؟ قال: من الصديقين والشهداء»^(٣).

(١) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم (٨٠٧/٢) برقم (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري (٢٩/٢) برقم (١٨٩٥).

(٣) صحيح ابن حبان (١٨٤/٥) برقم (٣٤٢٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد =

ومنها أن صيام رمضان يكفر الخطايا والسيئات .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم له من ذنبه»^(١) .

وقد فضل الله بعض الأزمنة على بعض وخصها بمزيد من الفضل فمن ذلك :

صيام ست من شوال، فعن أبي أيوب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(٢) .

ومنها : صيام شهر الله المحرم، وخاصة اليوم العاشر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(٣) .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : «يكفر السنة الماضية»^(٤) .

ومنها : صيام يوم عرفة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال : «أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»^(٥) .

= (١/٤٦)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار؛ وأرجو أنه إسناده حسن أو صحيح. اهـ.

(١) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم (١/٥٢٣) برقم (٧٥٩).

(٢) صحيح مسلم (٢/٨٢٢) برقم (١١٦٤).

(٣) صحيح مسلم (٢/٨٢١) برقم (١١٦٣).

(٤) صحيح مسلم (٢/٨٢١) برقم (١١٦٣).

(٥) صحيح مسلم (٢/٨١٩) برقم (١١٦٢).

الكلمة الثالثة عشرة

فضل قيام الليل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال وأجل الطاعات التي رغب فيها الشارع قيام الليل، فهو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فهم عاكفون على مناجاة ربهم، يرغبون ويتضرعون إلى واهب الخيرات وعظيم العطايا والهبات سبحانه.

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ١١﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [السجدة].

وقد ذكرهم الله تعالى بأحسن الذكر، فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥﴾ مَا فِيهَا مِنْ نَّارٍ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْجُدُونَ ١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا لَا تَنَامُ لَهُمْ ١٨﴾ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٩﴾ [الذاريات].

قال الحسن: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء، والاستكانة، والاستغفار^(١).

وقال تعالى: ﴿أَمَنَ هُوَ قَبْلُ مَا أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٩٦).

رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ ۖ ﴿١﴾ [الزمر].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم»^(١).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدّها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام»^(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ: فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»^(٣).

قال الشاعر يصف قومه وقد كانوا أهل جد واجتهاد في طاعة الله:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع
وقد أمر الله نبيه بقيام الليل وحثه عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ
﴿١﴾ قُمْ أَلَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَعُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ
رَتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل].

(١) سنن الترمذي (٥٥٣/٥) برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٧٨) برقم (٣٨٠١).

(٢) صحيح ابن حبان (٣٦٣/١) برقم (٥٠٩).

(٣) معجم الطبراني الأوسط (٣٠٦/٤) برقم (٤٢٧٨)، وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (٤٨٥/١) إسناده حسن.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿١٨﴾ [الإسراء].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يأخذ بهذا التوجيه الرباني الكريم ويستجيب لأمر ربه، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد عُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).

وقال حذيفة رضي الله عنه: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ»^(٢).

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على قيام الليل ويرغبهم فيه، فقال في شأن عبد الله بن عمر: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال سالم بن عبد الله بن عمر: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً^(٣).

وحث أمته على قيام الليل، فقال: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٣٥٢/١) برقم (١١٣٠).

صحيح مسلم (٢١٧٢/٤) برقم (٢٨٢٠).

(٢) صحيح مسلم (٥٣٧/١) برقم (٧٧٣).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٠/١) برقم (١١٢١)، صحيح مسلم (١٩٢٧/٤) برقم (٢٤٧٨).

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٨٢١/٢) برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين»^(١).

ووقت صلاة الليل من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر، فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الليل مثنى، مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة تُؤثر له ما قد صلى»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف الا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل»^(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له»^(٤).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا ثلاث ما أحببت العيش في هذه الدنيا: الغزو في سبيل الله، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر»^(٥).

ومن أعظم الأسباب التي تعين على قيام الليل التبكير في النوم،

(١) سنن أبي داود (٥٧/٢) برقم (١٣٩٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٥٣/١) برقم (١١٣٧).

صحيح مسلم (٥١٦/١) برقم (٧٤٩).

(٣) صحيح مسلم (٥٢٠/١) برقم (٧٥٥).

(٤) صحيح البخاري (٣٥٦/١) برقم (١١٤٥)، صحيح مسلم (٥٢٣/١).

(٥) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

فإن السهر آفة العصر، وخاصة إذا كان في غير طاعة الله كما هو حال الكثير من الناس، إما على مشاهدة دس أو تلفاز أو لعب ورق أو مجلس قيل وقال، أو غير ذلك.

ولذلك كان النبي ﷺ يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة يتتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها^(٣).

وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف، فعن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (١/١٩٥) برقم (٥٦٨).

(٢) صحيح البخاري (٢/٦٠) برقم (٢٠٠٩)، صحيح مسلم (١/٥٢٣) رقم (٧٥٩).

(٣) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه (٣/١٦٩). برقم (٨٠٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة عشرة

الدعاء - آدابه وموانعه -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أجل الطاعات وأعظم العبادات والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه جل وعلا: الدعاء، لما يتضمن من الاعتراف بعظمة الباري وقوته، وغناه وقدرته، ولما فيه من تذلل العبد وانكساره بين يدي خالقه جل وعلا.

وقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا الإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة].

والناس في الدعاء على ثلاثة أحوال: فمنهم من يدعو غير الله وهم المشركون، فإنهم وإن أخلصوا الدعاء في الشدة فإن ذلك لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَدَانَ فَلَمَّا بَجَدُوا إِلَى آلِ الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [المنكبات] ويشبههم من بعض الوجوه: المسلم الذي يدعو الله في الشدائد والكرب، فإذا جاء الرخاء غفل ونسي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له في الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»^(١).

(١) سنن الترمذي (٤٦٢/٥) برقم (٣٣٨٢) وقال: هذا حديث غريب وصححه =

ومنهم قوم أعطاهم الله من واسع فضله فلم يشكروا؛ بل طغوا واستكبروا، قال الله في هؤلاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر].

ومنهم المؤمنون الذين عرفوا قدر ربهم، وأيقنوا أنه لا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا منه.

قال تعالى مثنياً عليهم:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال النبي ﷺ مبيناً لأتمته فضل الدعاء: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»^(١).

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: «الظوا بياذا الجلال والإكرام»^(٢).
فبين النبي ﷺ أن الله ﷻ يحب من عباده كثرة الدعاء والإلحاح فيه، قال الشاعر:

لا تسألن بُني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يُسأل يغضبُ
وهذا شاعر جاهلي يقول في معلقته:

والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

= الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٢٩٠).

(١) سنن الترمذي (٤٥٥/٥) برقم (٣٣٧٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٣٨/٣).

(٢) سنن الترمذي (٥٣٩/٥) برقم (٣٥٢٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٢/٣).

ويجب على العبد أن يراعي في دعائه الأمور التالية:

أولاً: الإخلاص لله في الدعاء. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(١).

وقد قال الله تعالى مبيناً وجوب إخلاص العبادة له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ٢٢].

ثانياً: ألا يستعجل العبد في استجابة الدعاء، فإن الله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وما من داع إلا ويستجاب له بأن يُعطى سؤاله، أو يصرف عنه من الشر مثله، أو يذخر له في الآخرة كما ثبت بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ^(٢)، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الاستعجال في الدعاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي»^(٣).

ثالثاً: ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»^(٤).

رابعاً: أن يكون حاضر القلب حال الدعاء، مقبلاً على ربه عند مناجاته في خشوع وسكينة، موقناً بالإجابة.

(١) سنن أبي داود (٧٦/٢) برقم (١٤٧٩)، وانظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٠١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (١٨/٣).

(٣) صحيح البخاري (١٦١/٤) برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم (٢٠٩٥/٤) برقم (٢٧٣٥).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم (٢٠٩٦/٤) برقم (٢٧٣٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه»^(١).

خامساً: تقوى الله بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سدت طريقها بالمعاصي.

قال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننسأ عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدُعاء قد سدنا طريقها بالذنوب
سادساً: أن يعلم أن من أعظم موانع استجابة الدعاء أكل الحرام، وإن من المحزن أن كثيراً منا لا يتبه لهذا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ليأتين على الناس زمان لا ييالي المرء بما أخذ المال، أَمِنَ الحلال أم من حرام»^(٢).

وعلى سبيل المثال ترى البعض يأخذ أموال الناس بالظلم والقوة، وبعضهم بالمكر والحيلة، ومنهم من يبخس العمال حقوقهم، وآخرون يساهمون بأموالهم في البنوك الربوية، أو يتعاطون في أموالهم وتجاراتهم معاملات محرمة أو مشبوهة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين،

(١) سنن الترمذي (٥١٧/٥ - ٥١٨) برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم (٥٩٤).

(٢) صحيح البخاري (٨٤/٢) برقم (٢٠٨٣).

فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأثى يُستجاب لذلك^(١).

وقد ذكر أهل العلم آداب الدعاء، وبينوا ذلك في كتبهم، فينبغي للعبد أن يعرفها ويأخذ بها، فمن ذلك أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وأن يعزم المسألة، فلا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، ونحوها، وأن يرفع يديه حال الدعاء مستقبلاً القبلة وأن يكون على طهارة، وأن يكون معترفاً بذنبه ونعمة الله وفضله عليه، ومنها إظهار الافتقار إلى الله تعالى والشكوى إليه، وأن لا يعتدي في الدعاء، وقد بينت هذه الآداب بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، وأن يتحرى الأوقات الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء كحال السجود، وبين الأذان والإقامة، والدعاء في جوف الليل، وآخر النهار يوم الجمعة، وعند نزول المطر، وإفطار الصائم، وليلة القدر، ويوم عرفة، ودبر الصلوات المكتوبات، وعند النداء للصلوات المكتوبات، وعند إقامة الصلاة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور، وقد ثبتت هذه المواضع بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

وقد جاء عن النبي ﷺ الإخبار عمن يستجاب دعاؤهم، فمنهم دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، ودعوة الوالد، والمسافر، والصائم، والمظلوم، والإمام العادل، ودعوة الولد الصالح، ودعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور وغيرهم.

(١) صحيح مسلم (٧٣/٢) برقم (١٠١٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين»^(١).

وقد كان ﷺ يختار في دعائه جوامع الدعاء فيقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وكان يكثّر منها، ويقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وقال لعلي: قل اللهم اهْدني وسدّدي، وعلم عائشة أن تقول في ليلة القدر: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، وغيرها من الأدعية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي (٥/٥٧٨) برقم (٣٥٩٨) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن.

الكلمة الخامسة عشرة

فضل الصدقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أبواب الخير العظيمة التي رغب فيها الشارع الحكيم وحث عليها، الصدقة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك، وقال: يمين الله ملأى، سحاء^(١) لا يغيضها شيء الليل والنهار»^(٢).

(١) السح الصب الدائم، ومعنى لا يغيضها شيء: أي لا ينقصها.

(٢) صحيح البخاري (٢٤٢/٣) برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم (٦٩٠/٢) برقم (٩٩٣).

فهذا وعد من الله بالإنفاق على من أنفق في سبيل الله، والله تبارك وتعالى لا يخلف وعده.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأيته قال: «هم الأخسرون ورب الكعبة» قال: فجئت حتى جلست فلم أبقار^(١) أن أقت. فقلت: يا رسول الله فذاك أبي وأمي من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا، من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم»^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابع، ذلك مال رابع، قد سمعت ما قلت فيها وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الأخذ بما يأخذه، وكان

(١) فلم أبقار: أي لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) صحيح البخاري (٢١٧/٤) برقم (٦٦٣٨)، وصحيح مسلم (٦٨٦/٢)، ورقم (٩٩٠).

(٣) صحيح البخاري (٤٥٢/١) برقم (١٤٦١)، وصحيح مسلم (٦٩٣/٢) برقم (٩٩٨).

أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله .

ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيباً في شرح الصدر^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يسرني أن لي أحداً ذهباً تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا دينار أرصده لدين علي»^(٢).

ولما سُئِلَ ﷺ: أي الصدقة أعظم، قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان»^(٣).

ومن فضائل الصدقة: أنها إذا كانت من كسب حلال خالصة لوجه الله تعالى فإن الله تعالى يقبلها بفضله، ويضاعف ثوابها لصاحبها أضعافاً مضاعفة، والله ذو الفضل العظيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلؤه حتى تكون مثل الجبل»^(٤) فيأتي المؤمن يوم القيامة وإذا بحسناته أمثال الجبال فيفرح بثواب الله.

(١) زاد المعاد (٢/٢٢ - ٢٣) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري (٤/١٨١) برقم (٦٤٤٤)، وصحيح مسلم (٢/٦٨٧) برقم (٩٩١).

(٣) صحيح مسلم (٢/٧١٦) برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري (١/٤٣٥) برقم (١٤١٠)، وصحيح مسلم (٢/٧٠٢) برقم (١٠١٤).

وطائفة أخرى تقوم الليل ولكن لا يكتب لهم أجر القائمين، إما لفقدان الإخلاص في عبادتهم، أو لعدم موافقتها لهدي النبي ﷺ، أو لغير ذلك.

ولذا ينبغي للصائم أن يحذر من الوقوع في المعاصي، فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، وإنما إمساك الجوارح عما حرم الله.

ومن هذه المخالفات: تأخير الصلاة عن وقتها، فبعض الصائمين ينام بعد تناوله لوجبة السحور فلا يستيقظ إلا عند طلوع الشمس، فيضيع صلاة الصبح، وآخرون ينامون قبل صلاة العصر، فلا يستيقظ أحدهم إلا عند غروب الشمس، فيضيع صلاة العصر قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقِعْتُمْ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء]، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون] جاء في حديث مصعب بن سعد، قال: سألت أبي فقلت: يا أبتاه: أرايت قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٢) أي: لا يسهو ولا يحدث نفسه، قال: ليس بذلك، إنما هو إضاعة الوقت يلهو حتى يضيع الوقت^(٢).

وفي مثل هؤلاء يقول تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَإِذِنِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ومنها التخلف عن صلاة الجماعة، فبعض الصائمين يؤدون

(١) صحيح البخاري (١/١٩٥) برقم (٥٥٣).

(٢) مسند أبي يعلى (١/٣٣٦) برقم (٧٠٠) وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (١/٤٤١): إسناده حسن.

ومنها: تكفير السيئات. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»^(١).

ومنها: نماء المال وزيادته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال»^(٢).

ومنها استئصال المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... منهم: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(٣).

ويوم القيامة يأتي العالم بعلمه، والمجاهد بجهاده، والمصلي بصلاته، والصائم بصيامه، ويأتي المتصدق بالعلم والجهد والصلاة، والصيام، فهو قد طبع كتباً للعلماء وقفاً على إخوانه المسلمين، وبنى مسجداً يصلي فيه المسلمون، وأعان المجاهدين في سبيل الله بماله، وفطر الصائمين على نفقته، فيحصل له أجر هؤلاء جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومنها أن الصدقة تقي العبد كثيراً من الشرور والمصائب، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه، حتى لو كانت هذه الصدقة من ظالم أو كافر فإن الله يدفع عنه بها كثيراً من الشرور والمصائب»^(٤).

(١) سنن الترمذي (١٢/٥) برقم (٢٦١٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٠١/٤) برقم (٢٥٨٨).

(٣) صحيح البخاري (٤٤٠/١) برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم (٧١٥/٢) برقم (١٠٣١).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٥٠).

قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ومن أفضل أنواع الصدقة، الصدقة الجارية التي تستمر للعبد بعد
وفاته مثل حفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، ودعم حلقات
تحفيظ القرآن الكريم، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين ونحو
ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم
انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية أو علم يُنتفع به، أو ولد
صالح يدعو له»^(١).

وعلى المنفق أن يراعي الأمور التالية: الإخلاص لله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام في
صدقته، وأن يحذر من الصدقة بالردىء من طعام أو لباس أو نحو
ذلك، أو أن يتبع صدقته المن والأذى، أو أن يبخل بما أعطاه الله، أو
أن يحتقر شيئاً من الصدقة، أو أن يرجع في صدقته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٣/١٢٥٥) برقم (١٦٣١).

الصلاة لوقتها، ولكنه يتخلف عن صلاة الجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَرُ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

وفي هذه الآية وجوب صلاة الخوف جماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(١).

ومنها السهر الطويل أكثر الليل أو كله على شاشات القنوات الفضائية التي تبث شرورها وسمومها على أشكال متعددة، حيث يعرض بها برامج يقصد بها تشكيك المسلمين في دينهم، وإظهار عظمة الكفار والإعجاب بحضارتهم، كالتمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة.

ومنها ما يفعله بعض الصائمين المبتلون بشرب الدخان هداهم الله، فبدلاً من أن يفطروا على ما أحل الله لهم من الطيبات يفطرون على الدخان الذي بعث الله رسوله بتحريمه وأمثاله؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُوهُمْ مَكْنُوءًا عَنْهُمْ

(١) صحيح البخاري (٢١٨/١) برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم (٤٥١/١) برقم (٢٥٢).

الكلمة السادسة عشرة

مخالفات يقع فيها بعض الصائمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام موسماً عظيماً من مواسم الخير.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَلُّوْنَ﴾ [البقرة].

إلا أن هناك مخالفات يقع فيها بعض الصائمين أحببت التذكير بها، أداءً لحق الله تعالى، وقياماً بواجب النصيحة.

فعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن طائفة من الناس يصومون لكن لا يكتب لهم عند الله أجر الصائمين، وإنما نصيبهم من هذا الصيام الجوع والعطش، وذلك لأن الجوارح لم تمتنع عن معصية الله، فالعين تنظر إلى ما حرم الله، والأذن تستمع إلى ما حرم الله، واللسان يتكلم بما يغضب الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) سنن ابن ماجه (٥٣٩/١) برقم (١٦٩٠).

فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف].

ومنها: الفحش والبذاءة في اللسان وسائر المعاصي الأخرى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم»^(٢).
ومنها كثرة النوم لساعات طويلة، وحديث: «نوم الصائم عبادة»
حديث ضعيف لم يصح عن النبي ﷺ.

فلا ينبغي للمسلم أن يضيع ساعات الصوم بكثرة النوم، فإن المسلم يُسأل عن وقته يوم القيامة.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(٣).
قال الشاعر:

والوقت أنفس ما عنت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠٣).

(٢) صحيح البخاري (٣١/٢) برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم (٨٠٦/٢) برقم (١١٥١).

(٣) سنن الترمذي (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

الكلمة السابعة عشرة

فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كان هدي النبي ﷺ في هذه العشر الأواخر أنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في بقية الشهر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»^(١).

وعنها رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»^(٢).

أحيا ليله أي بالصلاة والذكر والدعاء، وأيقظ أهله أي أيقظهم من نومهم ليجتهدوا في الصلاة والذكر والتضرع إلى الله تعالى، وهذه السنة قد لا ينتبه لها بعض المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَقْبِلُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم].

أما شد المئزر فقد قال كثير من أهل العلم: إنه كناية عن اعتزال النساء والتفرغ للعبادة، ولذلك كان ﷺ يعتكف في هذه العشر في المسجد، وينقطع عن الدنيا ويخلو بربه يدعوه ويناجيه ويسأله ويتضرع إليه.

(١) صحيح مسلم (٨٣٢/٢) برقم (١١٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٤/٢) برقم (٢٠٢٤)، وصحيح مسلم (٨٣٢/٢) برقم (١١٧٤).

والاعتكاف من أنفع العبادات لإصلاح القلوب، وجمع الهمم، والتخلص من العيوب، ومن جرب عرف.

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده^(١).

فإن قال قائل: ما الحكمة في تخصيص النبي ﷺ للعشر الأواخر بكثرة الاعتكاف والاجتهاد في طاعة الله.

فالجواب: أن النبي ﷺ فعل ذلك التماساً لليلة القدر.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة^(٢) تركية على سُدتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده فنحاه في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه فكلّم الناس فدنوا منه، فقال: «إني اعتكفت العشر الأول، ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت ف قيل لي: إنها في العشر الأواخر»^(٣).

فهذه الليلة ليلة عظيمة مباركة، لا يحرم خيرها إلا محروم، وهي في العشر الأواخر تنتقل فيها كما يريد الله.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٤).

وفي السبع الأواخر أكد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من

(١) صحيح البخاري (٦٥/٢) برقم (٢٠٢٦)، وصحيح مسلم (٨٣١/٢) برقم (١١٧١).

(٢) في قبة تركية أي: قبة صغيرة من لبود.

(٣) صحيح مسلم (٨٢٥/٢) برقم (١١٦٧).

(٤) صحيح البخاري (٦٣/٢) برقم (٢٠١٧).

أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»^(١).

وكان أبي بن كعب يحلف لا يستثني أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، قال زر بن حبیش: بأي شيء تعرف ذلك يا أبا المنذر، قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، قال أبو سعيد الخدري: مُطَرْنَا ليلة إحدى وعشرين فوكف^(٣) المسجد في مصلى رسول الله ﷺ، فنظرت إليه وقد انصرف من صلاة الصبح ووجهه مبتل طيناً وماء»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «والصحيح أنها في وتر من العشر الأواخر وأنها تنتقل»^(٥). اهـ.

وهذه حكمة إلهية فلو حددت لاجتهد الناس فيها وتركوا بقية الليالي، واستوى في ذلك المجتهد والكسول.

(١) صحيح البخاري (٦٣/٢) برقم (٢٠١٥)، وصحيح مسلم (٨٢٣/٢) برقم (١١٦٥).

(٢) صحيح مسلم (٨٢٨/٢) برقم (٧٦٢).

(٣) فوكف المسجد: أي قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) صحيح البخاري (٦٥/٢) برقم (٢٠٢٧)، وصحيح مسلم (٨٢٤/٢) برقم (١١٦٧).

(٥) فتح الباري (٤/٢٦٦).

والنبي ﷺ إنما كان يحرص على هذه الليلة لما جعل الله فيها من الفضل والأجر، فمما خصّها الله به أنها خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر] أي العبادة فيها خير من عبادة ثلاثة وثمانين عاماً وبضعة أشهر.

ومنها أنه نزل فيها القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر] أي القرآن.

ومنها أنه يكثر نزول الملائكة فيها لكثرة الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر] سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ [القدر].

ومنها: أن الله يغفر لمن قامها إيماناً واحتساباً؛ فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(١).

وقد أرشد النبي ﷺ عائشة عندما سألته: أرأيت إن علمتُ أيّ ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها، قال: «قولي اللهم إني أعفو كريم تحب العفو فاعف عني»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٦٠/٢) برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم (٥٢٣/١) برقم (٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي (٥٣٤/٥) رقم (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.

الكلمة الثامنة عشرة

فضل الذكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تقرب المسلم إلى ربه جل وعلا: الذكر.

وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه بأجلّ الذكر: فقال سبحانه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

وبين في آية أخرى فضل الذكر، وأنه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد]، وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؛ قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ هم خيرٌ منهم»^(١).

(١) البخاري (٣٨٤/٤) برقم (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٠٦١/٤) رقم (٢٦٧٥).

قال ابن القيم رحمه الله: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً»^(١).

وانظر إلى هذا الحديث العجيب في بيان فضل الذكر والذاكرين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى يا رسول الله قال: ذكر الله ﻋﻠﻰ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريقه إلى مكة، فمر على جبل يقال له جمدان فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله! قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله منذ صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة»^(٤).

قال أبو بكر: ذهب الذاكرون الله بالخير كله^(٥)، وقال أبو الدرداء: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله ﻋﻠﻰ^(٦).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) سنن الترمذي (٤٥٩/٥) برقم (٣٣٧٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٦٢/٤) برقم (٢٦٧٦).

(٤) سنن أبي داود (٣٢٤/٣) برقم (٣٦٦٧).

(٥) شعب الإيمان (٤٠٨/١).

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٦٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السمك إذا فقد الماء^(١).

وقال ابن القيم: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموالٍ يحجون بها ويعتَمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، قال: «ألا أحدثكم بأمرٍ إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحدٌ بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه، إلا من عمل مثله، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين»^(٤) الحديث.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) الفوائد (ص ٢٥٠) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم برقم (٢٠٠٩/٥).

(٣) صحيح البخاري (١٧٣/٤) برقم (٦٤٠٣) وصحيح مسلم (٢٠٧١/٤) برقم (٢٦٩١).

(٤) صحيح البخاري (٢٧١/١) برقم (٨٤٣)، ومسلم (٤١٦/١) برقم (٥٩٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»^(١).

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالذكر الكثير فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ [الأحزاب].

والنبي ﷺ شرع لأمته من الأذكار ما يملأ الأوقات! فلكل حالة أو زمن ذكر يخصه ففي الصباح أذكار مخصوصة، وفي المساء كذلك وعند النوم، واليقظة، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند طعامه وشرابه، وغير ذلك من أحواله، ولا شك أن من حافظ على هذه الأذكار فإنه سيكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وبهذا يأمن مما اتصف به المنافقون حيث يقول الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء].

ومن الأذكار العامة التي تشرع في كل وقت: «ما رواه ابن عباس عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى. فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؛ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»^(٢).

ومن الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، ويقولها العبد كلما

(١) صحيح مسلم (٢٧٢/٤) برقم (٢٦٩٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٩٠/٤) برقم (٢٧٢٦).

شَعَرَ بِحاجته إلى مغفرة ربه، عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (١٥٣/٤) برقم (٦٣٠٦).

الكلمة التاسعة عشرة

المواظبة على العبادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله ﷻ من فضله ورحمته بعباده يَسِّر عليهم فعل الطاعات في هذا الشهر، وقواهم عليها وأعانهم على ترك المعاصي والشهوات، ولذا يكون من إقبال القلوب على الخير في هذا الشهر ما لا يكون في غيره، وفي الحديث: عن أبي هريرة ؓ أنه ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة في رمضان»^(١).

وإن مطالبة النفس بأن تقوم في غير رمضان بما تقوم به في رمضان مطلبٌ صعبٌ، لأن الأسباب الموجبة لذلك في رمضان لا تتوفر في غيره، ولكن ينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن البعض من الناس إذا خرج رمضان عاد إلى ما كان عليه قبله، من ترك بعض الفرائض والواجبات، أو ارتكاب بعض المعاصي والسيئات، وهذه وإن كان إثمها في رمضان أعظم، إلا أنه لا يسقط الإثم في غير رمضان؛ لأن وجوبها على العبد فعلاً وتركاً على الدوام.

(١) سنن الترمذي (٦٧/٣) برقم (٦٨٢).

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تقربوها»^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر].

وقال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.

قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»^(٢). قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله.

ومن تلك المعاصي: الانقطاع عن بيوت الله، والتساهل في صلاة الجماعة، وهجر القرآن الكريم الذي كانوا يقرأونه في رمضان، والانكباب على القنوات الفضائية التي تعرض التمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة المحرمة، فإلى الله المشتكى.

الثاني: التقصير في نوافل العبادات، فيستحب للمسلم أن لا ينقطع عنها في غير رمضان، وقد شرع من الصيام، والقيام، والصدقات، وفعل الخير، ما يملأ الأوقات ويجعل العبد موصولاً بربه على الدوام.

(١) حلية الأولياء (١٧/٩).

(٢) صحيح مسلم (٦٥/١) برقم (٣٨).

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»^(١)؛ بل إن النبي ﷺ كان ينهى أصحابه عن الانقطاع عن العمل الصالح.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل»^(٢).

ومن هذه النوافل التي شرعت بعد رمضان صيام ست من شوال، فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(٣).

ومنها صيام يوم عرفة؛ فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن صيام يوم عرفة قال: «يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده»^(٤).

ومنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أوصاني خليلي رسول الله ﷺ أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وأن أركع ركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»^(٥).

ومنها: قيام الليل طوال العام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري (١٨٤/٤) برقم (٦٤٦٤)، ومسلم (٥٤١/١) برقم (٧٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٥٠/١) برقم (١١٢١)، ومسلم (١٩٢٧/٤) برقم (٢٤٧٨).

(٣) صحيح مسلم (٨٢٢/٢) برقم (١١٦٤).

(٤) صحيح مسلم (٨١٩/٢) برقم (١١٦٢).

(٥) صحيح البخاري (٣٦٤/١) برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم (٤٩٩/١) رقم (٧٢١).

قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(١).

ومنها باب الصدقة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده على الدوام. والعبد لا يدري متى يفجأه الأجل، فالعاقل من تهيأ للقاء ربه، ولم يغره طول الأمل قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْفِقُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان].

وقال تعالى عن أقوام طالت آمالهم، وساءت أعمالهم، وغفلوا عن ذكر ربهم: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزمر] ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ [الحجر].

فالدنيا ليست بدار بقاء، فطوبى لعبدا عرف قدرها فأخذ منها أفضل ما فيها، وهو استغلال أوقاتها بالتزود منها للحياة الباقية، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت].

واعلموا عباد الله أن كل حي صائر إلى فناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم (٨٢١/٢) برقم (١١٦٣).

الكلمة الحادية والعشرون

الرؤيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فحديثنا اليوم عن الرؤيا، وسيكون الكلام فيها عن الأمور التالية:

أولاً: فضل الرؤيا ومنزلتها في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أقسام الرؤيا وأنها على ثلاثة أقسام.

ثالثاً: تعبير الرؤيا وبعض الفوائد المتعلقة بذلك.

رابعاً: بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في الرؤيا.

خامساً: أمثلة للرؤيا الصالحة.

أما ما يتعلق بفضل الرؤيا ومنزلتها فيقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْهِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠١﴾ [يوسف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: يعلمك تفسير الرؤيا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرى له»^(١).

(١) صحيح مسلم (٣٤٨/١) برقم (٤٧٩).

الكلمة العشرون

سنن العيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فنسأل الله كما بلغنا رمضان وأعاننا على صيامه وقيامه أن يتقبله منا إنه جواد كريم وبعد:

فمن الأمور التي ينبغي التذكير بها: أحكام صلاة العيد، وما يفعله المسلم في يوم العيد من السنن الثابتة عن النبي ﷺ؛ فمن ذلك: أولاً: ينبغي للمسلم أن يحرص يوم العيد على الاغتسال والطيب، فقد استحبه طائفة من أهل العلم، وثبت عن ابن عمر أنه كان يغتسل قبل أن يغدو إلى الصلاة^(١)، واستحب بعض أهل العلم إزالة شعر الإبطين، وتقليم الأظافر، وما يتبع ذلك؛ لأن ذلك من تمام الزينة، ولبس أحسن ما يجد من الثياب.

فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: وكان ﷺ يلبس للعيدين أجمل ثيابه، فكانت له حلة يلبسها للعيدين والجمعة^(٣).

(٢) سنن البيهقي (٣/٢٨١).

(١) موطأ مالك (١/١٨٩).

(٣) زاد المعاد (١/٤٤١).

ثانياً: يُستحب قبل خروجه إلى الصلاة في عيد الفطر أن يأكل تمرات وترأ، والوتر إما أن يكون ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً.

فعن أنس رضي الله عنه قال: ما كان رسول الله ﷺ يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترأ^(١).

ثالثاً: يستحب له أن يذهب من طريق ويرجع من آخر، فعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق^(٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

رابعاً: السنة أن تكون الصلاة في مصلى العيد وليس المسجد، وهذا هو المعروف من فعله ﷺ، ومواظبته، كما رجحه جمع من أهل العلم.

خامساً: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه صلى قبل العيد أو بعده نافلة في المصلى، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها^(٣). لكن إذا كانت الصلاة في المسجد فإنه يصلي تحية المسجد ركعتين.

فعن أبي قتادة السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين»^(٤).

سادساً: إذا رجع إلى بيته يشرع له أن يصلي ركعتين؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا يصلي قبل العيد شيئاً، فإذا

(١) صحيح البخاري (٣٠٢/١) برقم (٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٣١١/١) برقم (٩٨٦).

(٣) صحيح البخاري (٣١٢/١) برقم (٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري (١٦٠/١) برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم (٤٩٥/١) برقم (٧١٤).

وفي الموطأ بسند صحيح عن عروة بن الزبير أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»^(٢).

وقوله ﷺ: «إذا اقترب الزمان» أي في آخر الزمان وذلك عند كثرة الفتن، وغربة الدين، وشدة الحاجة إلى المبشرات التي تطمئن بها قلوب المؤمنين، ولذلك قال: «لم تكذب رؤيا المؤمن» فهي خاصة بالمؤمنين.

وقوله: «جزء من ستة وأربعين»؛ قال بعض أهل العلم: إن مدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة منها: نصف سنة، الوحي فيها رؤيا يراها النبي ﷺ في النوم؛ فيكون ذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت له مثل فلق الصبح^(٣).

وقوله ﷺ في آخر الحديث السابق: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»، دليل على أهمية الصدق، وأن أصدق الناس كلاماً هو أصدقهم رؤيا.

وأما أقسام الرؤيا فهي ثلاثة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(١) موطأ الإمام مالك (٣/١٣١).

(٢) صحيح البخاري (٤/٣٠٣) برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم (٤/١٧٧٣) برقم (٢٢٦٣).

(٣) صحيح البخاري (٤/٢٩٥) برقم (٦٩٨٢)، وصحيح مسلم (١/٦٣٩) برقم (١٦٠).

رجع إلى منزله صلى ركعتين^(١).

سابعاً: يستحب التكبير من غروب شمس ليلة العيد، وأوجه بعض أهل العلم لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة] ويكبر من حين خروجه من بيته حتى يأتي الإمام إلى المصلى، وهذا التكبير مشروع باتفاق الأئمة الأربعة.

وجاء عن ابن عمر أنه كان يخرج للعيد من المسجد فيكبر حتى يأتي المصلى، ويكبر حتى يأتي الإمام^(٢)، وعن ابن مسعود أنه كان يقول الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، ويستحب التكبير في المساجد والمنازل والطرق^(٣).

ثامناً: تأكد صلاة العيد على الرجال والنساء، ورجح جمع من أهل العلم الوجوب، واستدلوا بحديث أم عطية أن النبي ﷺ أمر بها العواتق؛ أي البالغات والحائض؛ وأمر الحائض أن يعتزلن المصلى، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين^(٤).

تاسعاً: التهنة بالعيد، فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم كانوا

(١) سنن ابن ماجه (٤١٠/١) برقم (١٢٩٣) وصححه الحاكم وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٧٦/٢).

(٢) سنن الدارقطني (٤٤/٢) رقم (٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٦٧/٢).

(٤) صحيح البخاري (٣١٠/١) برقم (٩٨٠).

يقولون في العيد: تقبَّل الله منا ومنكم، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أنه قال: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان»^(١).

هذا الحديث بيان من النبي ﷺ بأنه ليس كل ما يرى في المنام من الرؤيا الصالحة، فما يراه الإنسان في منامه؛ من المفزعات والمزعجات فهو من الشيطان ليحزن المؤمن بذلك، وما يراه مما يعرض له في يومه وليته فتلك الأحلام، وأحاديث النفس تعرض له في اليقظة فيحلم بها في منامه.

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس»^(٣).

أما تعبير الرؤيا، فهو علم شريف خص الله تعالى به بعض أنبيائه، وأوليائه، كمحمد ويوسف عليهما السلام، وممن اشتهر بذلك من الصحابة: أبو بكر. ومن التابعين محمد بن سيرين، وغيرهم من الصالحين في كل زمان ومكان.

ولقد أرشد النبي ﷺ من رأى رؤيا ألا يقصها على كل أحد.

(١) سنن الترمذي (٥٣٧/٤) برقم (٢٢٨٠) وأصله في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري (٣٠٩/٤) برقم (٧٠٤٤)، وصحيح مسلم (١٧٧٣/٤) برقم (٢٢٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري (٣٠٣/٤) برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم (١٧٧٣/٤) برقم (٢٢٦٣).

فعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... ولا يقصّها إلا على وادٍّ»^(١) أو ذي رأي»^(٢).

ومن فوائد ذلك ألا تعبر الرؤيا تعبيراً خاطئاً، أو بما يحزن صاحبها.

وأما الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس فيما يتعلق بالرؤيا فنذكر من ذلك ثلاثة أخطاء مهمة.

أولاً: الكذب في الرؤيا بأن يدّعي أنه رأى كذا وكذا ولم ير ذلك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من تحلّم بحلّم لم يره كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل»^(٣).

ثانياً: اعتماد بعض الجهال من الصوفية وغيرهم على الرؤيا في الأحكام الشرعية من تحليل حرام، أو تحريم حلال ونحو ذلك؛ وليس من ذلك أن يعمل العبد عملاً صالحاً فيرى ما يبشره بقبوله أو نفعه.

ثالثاً: ليس كل من رأى النبي ﷺ في منامه يكون رآه حقاً حتى يراه على صورته الحقيقية التي كان عليها ﷺ؛ فقد كان ابن سيرين رضي الله عنه إذا قال له أحد رأيت النبي ﷺ يقول له صف لي الذي رأيت؛ فإن وصفه بصفته الحقيقية قال له: «رأيت».

ومن الأمثلة للرؤيا الصالحة: رؤيا النبي ﷺ، وهو من المبشرات لمن رآه؛ فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(٤).

(١) أي صاحب مودة.

(٢) سنن أبي داود (٣٠٥/٤) برقم (٥٠٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٠٩/٤) برقم (٧٠٤٢).

ولكن كما تقدم أن يراه على صورته الحقيقية .

ومنها أيضاً رؤيا يوسف عليه السلام ؛ كما في الآية : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف] .

قال الله في تأويلها : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابِعْ هَذَا نَادِي رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَلَ بِي كَمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رُبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف] .

ومنها : ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأننا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت الرفعة لنا في الدنيا ، والعاقبة في الآخرة ، وأن ديتنا قد طاب »^(١) .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



(١) صحيح البخاري (٢٩٩/٤) برقم (٦٩٩٤) ، وصحيح مسلم (١٧٧٥/٤) برقم (٢٢٦٦) .

(٢) صحيح مسلم (١٧٧٩/٤) برقم (٢٢٧٠) .
طاب : أي كمل واستقرت أحكامه .

الكلمة الثانية والعشرون

شاب نشأ في عبادة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل معلق قلبه في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم: ٣١] في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَقٌّ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

(١) صحيح البخاري (٤٤٠/١) برقم (١٤٢٣)، ومسلم (٧١٥/٢) برقم (١٠٣١).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل].

وعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدنى الشمس من الخلق حتى تكون منهم بمقدار ميل؛ فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق؛ فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»^(٢).

ولا يتسع الوقت للحديث عن السبعة، ولكن نقف وقفات يسيرة مع قوله ﷺ: «شاب نشأ في عبادة الله».

فهذا الشاب وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحببها إليه وكره إليه الأعمال السيئة وأعاناه على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك؛ وقد حفظه الله مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب، وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، واستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

(١) صحيح مسلم (٢/٢١٩٦) برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٩٧) برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم (٤/٢١٩٦) برقم (٢٨٦٣).

لقد علم أنه مسئول عن شبابه فيما أبلاه؛ فعمل بوصية نبيه محمد ﷺ التي أوصى بها، حيث قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا نزول قديماً ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وماذا عمل فيما علم»^(٢).

والشباب هم عماد الأمة، وهم جيل المستقبل؛ منهم يتكون بناء الأمة، ومنهم ينشأ العلماء والمصلحون والمجاهدون وغيرهم من أبناء المجتمع، الذين إذا صلحوا انتفعت بهم مجتمعاتهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»^(٣).

ومن الأمثلة على الشباب الملتزم بطاعة ربه شباب الصحابة، أمثال أسامة بن زيد الذي أرسله النبي ﷺ لقيادة جيش المسلمين المتجه إلى الشام، وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، وفي القوم كبار الصحابة، حتى إن أبا بكر كان يستأذن أسامة بن زيد أن يُبقي عمره عنده في

(١) مستدرك الحاكم (٣٤١/٤) برقم (٧٨٤٦).

(٢) سنن الترمذي (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٦).

(٣) صحيح مسلم (١٢٥٥/٣) برقم (١٦٣١).

المدينة فيأذن أسامة في ذلك، وعلي بن أبي طالب الذي بات في فراش النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة وعرض نفسه للقتل، فداء للنبي ﷺ، وجعفر بن أبي طالب الذي كان قائداً لجيش المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة خلفاً للقائد زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي قُتل في تلك المعركة، فحمل راية المسلمين وأخذ سيفه وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها علي إن لاقيتها ضرابها
فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره، فتكاثروا عليه فقتلوه.

يقول عبد الله بن عمر: التمسنا جعفر بن أبي طالب في القتلى، فإذا هو قد ضرب بضعا وتسعين ضربة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح^(١).

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلة كذلك محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند والهند وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، كما تروي لنا كتب السير، قال الشاعر:

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمه في الخد أجراه
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً يشيدون لنا مجداً أضعناه
ومن الأمثلة المعاصرة الشباب الذين يملؤون المساجد،

(١) صحيح البخاري (١٤٦/٣) برقم (٤٢٦١).

والمدارس، والجامعات، يطلبون العلم الشرعي، ويدعون إلى دين الله،
ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلتحقون بحلقات تحفيظ
القرآن الكريم.

وهذا شيء يثلج الصدر، وأمتنا لا يزال فيها الخير إلى يوم
القيامة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والعشرون

التحذير من الشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية.

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ لَكُمْ أَسْرَدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مِّنْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة]

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء، ودليله قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت].

فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة،

ويشركون به في الرخاء، فلم ينفعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد، ودليله قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٦﴾ [هود].

قال ابن عباس: إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعملها إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعملها لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين^(١).

ومنها شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَجْنَارَهُمْ رُفُكَائِهِمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٣١﴾ [التوبة].

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَاوُنُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَنَافِلَتُهُمْ إِلَيْكُمْ لَشُرْكَونَ ١٣١﴾ [الأنعام].

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٩).

(٢) سنن الترمذي (٥/٢٧٨) وحسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٢٠).

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك ديناً وشرعاً، فقد أشرك بالله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله^(١).

ومنها شرك المحبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضد له ولا ند»^(٢).

أما الشرك الأصغر فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة فمثل الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان؛ فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه؛ بل يقول: ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا.

أما الأفعال: فهي كثيرة جداً، مثل تعليق التماثيل خوفاً من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٢).

سبب لرفع البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.

القسم الثاني: شرك خفي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ﴾ [الكهف].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وهذا الشرك بحر لا ساحل له وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته ونيته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته؛ فإن هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

وقد كان النبي ﷺ يستعيز بالله من هذا الشرك، فعن عبد الله بن حزن رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أيها الناس، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل»، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(٣).

(١) الداء والدواء لابن قيم الجوزية (ص ١٨٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/٤٠٣) بسند حسن.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/٣٠).

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»^(١).

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شركاً أصغر، وهو إنما سُمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء:

- ١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.
- ٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام على نفسه من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: فلا يأمن من الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٤٢٨).

(٢) فتح المجيد (ص ٧٤).

الكلمة الرابعة والعشرون

الحياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من الصفات الحميدة التي دعا إليها الشارع: صفة الحياء.

قال تعالى عن موسى عليه السلام عندما سقى للمرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ الآية.

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً من صالحه قومك»^(١).

وعن أبي مسعود البصري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٢). وهذا الحديث فيه دليل على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب ما يضره في دينه، أو يخل بأدبه ومروءته، فإذا فقدت منه هذه الخصلة لم يبال بما صنع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٦)، والشعب للبيهقي (٦/١٤٥ - ١٤٦) برقم (٧٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/١١٣) برقم (٦١٢٠).

شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان^(١).

وكانت العرب في الجاهلية تتحلى بصفة الحياء، فهذا أبو سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ملك الروم ليسأله عن النبي ﷺ فأخبر عن نفسه قائلاً: لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عليه.

قال ابن القيم رحمه الله: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً، وأكثرها نفعاً، وهو خاصة الإنسانية؛ فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق - أي الحياء - لم يكرم ضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانه، ولم تقض لأحد حاجة؛ ولا تحرى الرجل الجميل ففعله والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع عن فاحشة؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي وهو حياء فاعلها من الخلق؛ فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها... إلى آخر ما قال^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «مر رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري (٢٠/١) برقم (٩)، وصحيح مسلم (٦٣/١) برقم (٣٥).

(٢) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص ٢٧٧) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٨٠٢).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ٨٢ - ٨٣) برقم (٩٣).

قال النخعي: ثلاث آيات منعني أن أقص على الناس قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، وقول شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَنهَكُمْ﴾، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

قال إبراهيم التيمي رحمته الله: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً^(٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: استدل بها بعض أهل العلم على وجوب الوفاء بالوعد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٣).

قال ابن حجر: أصل الديانة منحصر في ثلاث، القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف.

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة»^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٠/١٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٢/١)، أي خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي. فيقول: لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول وهذا على رواية فتح الذال، وعلى رواية كسر الذال معناه أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل، وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل.

(٣) صحيح البخاري (٢٧/١) برقم (٣٣)، وصحيح مسلم (٧٨/١) برقم (٥٩).

(٤) سنن أبي داود (٢٩٨/٤) برقم (٤٩٩١).

على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال: دعه فإن الحياء من الإيمان^(١).

قال الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

قال ابن القيم رحمه الله: ومن عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث الصحيح: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٢) والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم؛ بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، ومن استحيا من الله عند معصيته استحي الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته. اهـ^(٣).

ومثاله: ما يقوم به بعض الذين يسافرون إلى الخارج لقضاء الشهوات والملذات، ثم يخبر أحدهم بجريمته التي فعل من شرب خمر أو فاحشة؛ أو غير ذلك من المعاصي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن

(١) صحيح البخاري (٢٤/١) برقم (٢٤) وصحيح مسلم (٦٣/١) برقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري (١١٣/٤) برقم (٦١١٧)، وصحيح مسلم (١) برقم ٢٦٣ (٣٧).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٦١ - ٦٢).

يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان فعلت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(١).

وهؤلاء لهم نصيب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور].

وهنا أمر ينبغي التنبه له، وهو أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من الحياء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الإمام النووي: قد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجله، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، والجواب عن هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم: أبو عمرو بن الصلاح، أن هذا المانع ليس من الحياء؛ بل هو عجز وخور ومهانة، فالحياء الحقيقي خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. اهـ^(٢).

وقد حث النبي ﷺ على إنكار المنكر وأمر بتغييره، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٣).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (١٠٤/٤) برقم (٦٠٦٩)، وصحيح مسلم (٢٢٩٨/٤) برقم (٢٩٩٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (١/٥ - ٦).

(٣) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

ثانياً: إن العلم قرين العمل؛ ولذلك يُسأل المرء يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به؟ كما جاء في حديث أبي هريرة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»^(١).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود».

ثالثاً: أن الله ﻻ نهى المؤمن أن يقول ما لا يفعل؛ لكن لو كان المؤمن مقصراً في طاعة الله مرتكباً لبعض المعاصي فإن ذلك لا يسقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٣).

(١) سنن الترمذي (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٦) وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨٤)، رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون. وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/١٧٣) إسناده حسن.
(٣) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

الكلمة الخامسة والعشرون

وقفة مع آيتين من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آيتين من كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا الخطاب للمؤمنين.

أولاً: لأنهم الذين تنفعهم الذكرى.

ثانياً: لتطهيرهم وتركيتهم من الأخلاق السيئة.

قال القرطبي: «جاء الاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله، أما إن كان ذلك في الماضي فإنه يكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون ذلك إخلافاً بالوعد وكلاهما مذموم»^(١). اهـ.

قال ابن عباس ؓ: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله ﷻ دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به؛ فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه: إيمان لا شك فيه وجهاد أهل معصيته، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق ذلك عليهم، فأنزل الله الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨٠/١٨).

وهذا اختيار^(١) ابن جرير رحمه الله.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لِمَ تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به، ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه. اهـ^(٢).

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه^(٣) فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأناكم عن المنكر وآتيه»^(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض^(٥) من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء من أمتك يقولون ما لا يفعلون»^(٦).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٧): قال الراغب: المقت هو البغض الشديد لمن تراه فعل القبيح^(٨)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٩) [النساء: ٢٢].

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٨). (٢) تفسير ابن سعدي (ص ١١٩٦).

(٣) يعني أمعاء.

(٤) صحيح البخاري (٢/٢٣٦، ٤٣٧) برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم (٤/٢٢٩١) برقم (٢٩٨٩).

(٥) يعني آلات القطع والقص.

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/١٢٠).

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٩٠).

كان الحسن عليه السلام إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وابداً بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل إن وعظت ويُقتدى بالعلم منك وينفعُ التعليم

قال ابن حزم: والمراد أن أبا الأسود إنما قصد بالإنكار المجيء بما نهى عنه المرء، وأنه يتضاعف قبحه فيه مع نهيه عنه، فقد أحسن كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [١] وقد صحَّ عن الحسن أنه سمع إنساناً يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله. قال الحسن: «ود إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر ولا يأمر بمعروف. قال ابن حزم: صدق الحسن وهو قولنا آنفاً»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩، ١٠٠).

الكلمة السادسة والعشرون

وقفة مع آية من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آية من كتاب الله.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدُلُ الْيَمِينُ الْبَيْتَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران].

يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه: اللهم مالك الملك، والملك: قيل النبوة، وقيل: الغلبة، وقيل: المال والعبيد. والصحيح الذي رجحه بعض المفسرين أنه عام لما يصدق عليه اسم الملك من غير تخصيص، فقوله: تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن وأنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد.

قال ابن كثير رحمه الله: رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال: وقالوا - أي الكفار - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، كالوليد بن المغيرة. وغيره. قال الله رداً عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.

أي أهم الخزان لرحمة الله، وييدهم تدبيرها، فيعطون النبوة

والرسالة من يشاؤون، ويمنعونها عن يشاؤون، فنحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع، لنا الحكمة البالغة والحجة التامة، وهكذا يعطي النبوة لمن يريد. قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) اهـ.

قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: أي الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله لا وصفاً ولا اسماً، ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره؛ فالخير والشر داخل في القضاء والقدر فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن لا يضاف إلى الله، فلا يقال: بيدك الخير والشر ولكن بيدك الخير كما قال الله، وقال رسوله اهـ^(٢).

جاء عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ في دعائه في قيام الليل أنه كان يقول: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»^(٣). تأديباً مع الله تعالى.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: ما نقله ابن كثير في تفسيره أن فيها تنبيهاً وإرشاداً إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ، وهذه الأمة؛ لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى الثقلين، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً، من العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٥٦). (٢) تفسير ابن سعدي (ص ١٠٤).

(٣) صحيح مسلم (١/٥٣٥) برقم (٧٧١).

والآتية، وكشفه له عن حقائق الآخرة، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع؛ فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار»^(١). اهـ.

ثانياً: أن العزة لا تطلب إلا من الله تعالى وهي إنما تأتي بطاعته واجتناب معصيته. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿يَشِيرُ الْمُتَّقِينَ يَا نَحْنُ عَذَابًا أَلِيماً﴾ الَّذِينَ يَنْخَدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُوتُ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴿[النساء: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وهو يخاطب الأنصار: «ألم تكونوا أدلة فأعزكم الله»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»^(٣).

ثالثاً: أن الذل الذي يصيب الإنسان إنما هو بمعصيته لله ولرسوله، قال تعالى عن بني إسرائيل عندما عصوا الله ورسوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا لَا يَجِدُ مِنَ اللَّهِ وَحَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ٨١].

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٥٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٥٧) وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/١٣٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

وقال الحسن رضي الله عنه: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه»^(٢).

قال الشاعر:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

رابعاً: إثبات قدرة الله، فهو سبحانه القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولذلك يشرع للمؤمن أن يسأل الله بقدرته أن ييسر له الخير، ويصرف عنه الشر، فعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكاً إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم؛ فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(٣).

خامساً: فضل الدعاء وأهميته، وكان السلف يدعون: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلي بمعصيتك^(٤)، وينبغي للمؤمن أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة.

(١) مسند الإمام أحمد (٩٢/٢). (٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) صحيح مسلم (١٧٢٨/٤) برقم (٢٢٠٢).

(٤) الجواب الكافي (ص ٥٣).

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿١٣٥﴾ [النساء].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(١).
وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٢٠١/٣) برقم (٤٥٢٢)، وصحيح مسلم (٢٠٧٠/٤) برقم (٢٦٩٠).

الكلمة السابعة والعشرون

القناعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث الله ورسوله عليها صفة القناعة.

قال الراغب: القناعة هي الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكْفِي شَيْءً عَلِيماً﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل] الآية.

قال علي رضي الله عنه: الحياة الطيبة هي القناعة^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٣).

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٥).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٨٢) برقم (٦٤٤٦)، وصحيح مسلم (٢/ ٧٢٦) برقم (١٠٥١).

والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث: الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»^(١).

وعن عبيد الله بن محصن الخطمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم آمناً في سربه، مُعافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(٢).

وأرشد النبي ﷺ المؤمن إلى أن ينظر إلى من هو أسفل منه حتى يشعر بكثرة نعم الله عليه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»^(٣).

قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير. اهـ^(٤).

(١) صحيح مسلم (٧٣٠/٢) برقم (١٠٥٤).

(٢) سنن الترمذي (٥٤٧/٤) برقم (٢٣٤٦).

(٣) صحيح البخاري (١٨٩/٤) برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم (٢٢٧٥/٤) برقم (٢٩٦٣).

(٤) صحيح مسلم شرح النووي (٩٧/٦).

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة ابن أختها: «إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت: ما كان يعيشكم. قالت: الأسودان: التمر والماء. إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه»^(١).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه أن يجعل رزقه كفافاً، أي مقدار حاجته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»^(٢).

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالقناعة وعيشة الكفاف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس»^(٣).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم؛ فعن أنس بن مالك قال: اشتكى سلمان فعاده سعد، فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي حباً للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فما أراني إلا قد تعديت. قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إليّ أنه يكفي أحدكم مثلُ زاد الراكب. قال

(١) صحيح البخاري (١٨٤/٤) برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم (٢٢٨٣/٤) برقم (٢٩٧٢).

(٢) صحيح البخاري (١٨٤/٤) برقم (٦٤٦٠)، وصحيح مسلم (٢٢٨١/٤) برقم (١٠٥٥).

(٣) سنن ابن ماجه (١٤١٠/٢) برقم (٤٢١٧).

ثابت: فأحصوا ما تركه سلمان فإذا هو بضعة وعشرون درهماً^(١).
 وقال عمر رضي الله عنه: «إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس
 عما في أيدي الناس استغنى عنهم»^(٢).
 والقناعة كنز عظيم، وعلامة من علامات التقوى كما قيل:
 «القناعة كنز لا يفنى».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التقوى: الخوف من الجليل،
 والعمل بالتزليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».
 وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه
 حوائجه فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها
 قبلت، وما أمسك عني قنعت^(٣).

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.
 قال الشاعر:

خذ القناعة من دنيائك وارض بها لو لم يكن لك إلا راحة البدن
 وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن
 وقال آخر:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُرد إلى قليل تقنع
 قال الغزالي رحمه الله: كان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء
 ويأكل، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد^(٤).
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/١٩٦ - ١٩٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩). (٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

الكلمة الثامنة والعشرون

النهي عن المسألة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي حذر منها الشارع: المسألة، والمقصود بالمسألة أن يسأل الإنسان الناس أموالهم أو حاجاتهم من غير ضرورة أو حاجة ملحة، لما يتضمن السؤال من الذل لغير الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يَبْذُلُهُ اللَّهُ بِكُمْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في تفسيره: أراد لا يلحون في المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمران» فقالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٢٤).

يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئاً^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرَ جَهَنَّمَ، فَلْيَسْتَقِلْ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»^(٢).

قال أبو حامد الغزالي: والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يُباح لضرورة أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة؛ لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده وهو عين الشكوى، وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالباً، فقد يعطيه حياءً أو رياءً وهذا حرام على الآخذ^(٣).

قال الشاعر:

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ وسائل الله لا يخيب
وقال آخر:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب
وقد بين النبي ﷺ من تحل له المسألة، فعن قبيصة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِ الْمَسْأَلَةُ لَا تَحُلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحْمِلُ حِمَالَهُ^(٤) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَهَا ثُمَّ يُمَسِّكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاكَتْ مَالَهُ^(٥) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قَوَاماً مِنْ عَيْشٍ،

(١) صحيح البخاري (٤٥٧/١) برقم (١٤٧٦)، وصحيح مسلم (٧١٩/٢) برقم (١٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم (٧٢٠/٢) برقم (١٠٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (٢٢٣/٤) باختصار وتصرف.

(٤) يعني ديناً أو دية عن غيره للإصلاح.

(٥) يعني حريق أو هلاك زرع أو غير ذلك.

ورجل أصابته فاقة^(١) حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، فما سواه من المسألة يا قبيصة سحت يأكله صاحبها سُحتاً^(٢)»^(٣).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المسألة كد يَكْدُ بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سُلطاناً أو في أمرٍ لا بد منه»^(٤).

قال الصنعاني: وأما سؤاله السلطان فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا منة للسلطان على السائل، لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه^(٥).

وقال أيضاً: والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين في حديث قبيصة، أو أن يكون السلطان^(٦). اهـ.

وقد بين النبي ﷺ قدر الغنى الذي يحرم به السؤال، فعن سهل ابن الحنظلية أن النبي ﷺ قال: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: ما يغديه أو يعشيه»^(٧).

وأخبر النبي ﷺ أن العمل وإن كان شاقاً، والمال الذي يأتي منه قليل فهو خير للمرء من السؤال.

فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم

(١) يعني فقر وضرورة بعد غنى. (٢) السحت هو الحرام.

(٣) صحيح مسلم (٧٢٢/٢) برقم (١٠٤٤).

(٤) سنن الترمذي (٦٥/٢) برقم (٦٨١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سبل السلام (٦٣٢/١). (٦) سبل السلام (٦٣٦/١).

(٧) مسند الإمام أحمد (١٨٠/٤).

حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»^(١).

وبين النبي ﷺ أن السائل من غير ضرورة ولا حاجة ملحة إنما يفتح على نفسه باب الفقر.

فعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة أقسم عليهن، وذكر منها: ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»^(٢). اهـ. بل إن النبي ﷺ أخذ البيعة من بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً.

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبائعون رسول الله ﷺ؟» وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبائعون رسول الله ﷺ؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبائعون رسول الله ﷺ؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأسر كلمة خفية، ولا تسألوا الناس شيئاً، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناولوه إياه»^(٣).

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة؟» قال: قلت: أنا يا رسول الله قال: «لا تسأل الناس شيئاً». قال: فربما سقط سوط ثوبان وهو على بعيره فما يسأل أحداً أن يناولوه حتى ينزل إليه فيأخذه»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٤٥٦/١) برقم (١٤٧١).

(٢) سنن الترمذي (٥٦٣/٤) برقم (٢٣٢٥).

(٣) صحيح مسلم (٧٢١/٢) برقم (١٠٤٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (٢٨١/٥).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فلا يسألون الناس شيئاً من متاع الدنيا.

فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت يا رسول الله: والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبل منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين أنني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي ﷺ ^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً سألوا النبي ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٤٥٦/١) برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم (٧١٧/١) رقم (١٠٣٥).

(٢) صحيح البخاري (٤٥٥/١)، وصحيح مسلم (٧٢٩/١) برقم (١٠٥٣).

الكلمة الثلاثون

سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة؛ ويطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد بدرًا وأحداً والخندق، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة؛ وأن عرش الرحمن قد اهتز لموته، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير.

قال ابن حجر: فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام^(١)، وله مناقب كثيرة.

قال الذهبي في ترجمته: السيد الكبير الشهيد أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي كان رجلاً أبيض طوالاً جميلاً، حسن الوجه، حسن اللحية^(٢): قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر^(٣).

قال ابن إسحاق: لما أسلم وقف على قومه فقال: يا بني

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨٦/٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١١). (٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١١).

الكلمة التاسعة والعشرون

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آية عظيمة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم].

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينذر الناس يوم الحسرة والندامة، وهو يوم القيامة، حيث تشتد فيه الحسرة، وتعظم فيه الندامة، وأيُّ حسرة أعظم، من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه، والخلود في ناره على وجه لا يتمكن فيه أحدٌ من الرجوع إلى الدنيا ليستأنف العمل.

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

قال ابن عباس: يوم الحسرة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر منه عباده.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: وأنذرهم يوم الحسرة، قال: يوم القيامة. وقرأ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِأَحْسَرْتُ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جُنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر].

وقوله: إذ قُضي الأمر: أي فُرج من الحساب، وصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقوله: وهم في غفلة: أي في الدنيا بشهواتهم وملذاتهم عن العمل ليوم الحسرة، وقوله: وهم لا يؤمنون، أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت وما فيه من نعيم مقيم لمن أطاع الله، ومن عذاب أليم لمن عصى الله.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (زاد أبو كريب: فيوقف بين الجنة والنار) فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا، قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ وأشار بيده إلى الدنيا» ﴿١﴾.

زاد مسلم من رواية ابن عمر: «فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» ﴿٢﴾.

وفي رواية الترمذي: «فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار» ﴿٣﴾.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه، والمقصر في طاعة ربه على تقصيره، ولكن لا ينفع الندم؛

(١) صحيح البخاري (٢٥٨/٣) برقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم (٢١٨٨/٤) برقم (٢٨٤٩).

(٢) صحيح مسلم (٢١٨٩/٤) برقم (٢٨٤٩).

(٣) سنن الترمذي (٦٩٣/٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا نقيبة، قال: فإن كلامكم علي حرام رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما بقي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أسلموا^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً؛ قال: فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد. فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتهم محمداً وأصحابه؛ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام؛ قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يُمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت النبي ﷺ يخبر أنه قاتلك؛ قال: إياي؛ قال: نعم؛ قال: والله ما يكذب محمد؛ إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؛ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي؛ قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت امرأته: ما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؛ قال: فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر يوماً أو يومين فسار معهم يومين فقتله الله^(٢).

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين،

(٢) صحيح البخاري (٥٣٦/٢).

(١) سيرة ابن هشام (٤٠/٢).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْفَالِغِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الْفَالِغُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ يَوَلَّيْ لِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٧٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٧٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ حَقًّا إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرِبًا ﴿٨١﴾﴾ [النبا].

ثانياً: أنه ينبغي للمؤمن أن لا يكون في غفلة؛ بل على استعداد للقاء ربه، قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاحِقًا لَهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٢﴾﴾ [المنكوت]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الحشر: ١٨].

ثالثاً: أنه في يوم الحسرة يرى الكافر أنه لم يلبث في دنياه إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَاهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٨٤﴾﴾ [النازعات].

رابعاً: إن من أعظم ما يتحسر عليه أهل النار أن الواحد منهم يتمنى أنه يفدي نفسه من عذاب الله بماله، وولده والناس أجمعين، بل وملك الدنيا بأسرها، مع أنه طُلب منه أهون من ذلك، فلم يفعل، قال تعالى: ﴿يُصْرُوفُهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿٨٥﴾ وَصَحْبِهِ وَآخِيهِ ﴿٨٦﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿٨٧﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿٨٨﴾ كَلَّا ﴿٨٩﴾﴾ [المعارج].

وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَنَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لأهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها فيقول نعم، فيقول: قد أردت منك أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدم أن لا تشرك (أحسبه قال) ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك»^(١).

خامساً: أنه ينبغي للمؤمن أن يحافظ على إسلامه وإيمانه حتى الممات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٢٠١/٤) برقم (٦٥٥٧)، وصحيح مسلم (٢١٦٠/٤) برقم (٢٨٠٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٥١/٦).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٤٥/٤) برقم (٢٦٥٤).

واعترازه بدينه؛ فمع أنه بمكة لوحده إلا أنه كان يهدد سادات قريش في عقر دارهم؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، فعن أنس رضي الله عنه: أهدي لرسول الله ﷺ جبة من سُندُس، وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها؛ فقال: «والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»^(١).

ومن مواقفه العظيمة ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له ابن العرقعة، رماه في الأكحل^(٢)، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يُعوذه من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح فاغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح؟ والله وما وضعناه، اخرج إليهم؛ فقال رسول الله ﷺ فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فقاتلهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فرد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي الذرية والنساء، وتقسم أموالهم، قال هشام: قال أبي: فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال: لقد حكم فيهم بحكم الله ﷻ، ثم إن سعداً قال: وتحجر كلمه للبرء^(٣): اللهم إنك تعلم أن ليس أحدٌ أحب إليّ أن أجاهد فيك، من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه. اللهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني أجاهدكم فيك اللهم فإنني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي

(١) صحيح البخاري (٤٣/٣) برقم (٣٨٠٢)، وصحيح مسلم (٤/١٩١٦) برقم (٢٤٦٩).

(٢) عرق في وسط الذراع إذا قطع لم يرقأ الدم.

(٣) أي ييس جرحه وكاد أن ييرا.

فيها. فانفجرت من لبته^(١) فلم يرعهم (وفي المسجد معه خيمة من بني غفار) إلا والدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد جرحه يغذ دماً^(٢) فمات^(٣).

وقد حزن النبي ﷺ لفراق سعد كثيراً، وأخبر أن عرش الرحمن قد اهتز لموته، عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»^(٤)، ومع هذه المنزلة العظيمة لسعد إلا أنه لم يسلم من ضمة القبر، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا سعد بن معاذ»^(٥)، قال الذهبي: وهذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء؛ بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببياء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك؛ فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] فنسأل الله تعالى العفو واللطف.

(١) أي: نحره.

(٢) يغذ دماً أي يسيل يقال غذا الجرح يغذ إذا دام سيلانه.

(٣) صحيح البخاري (١١٩/٣)، وصحيح مسلم (١٣٨٩/٣ - ١٣٩٠) برقم (١٧٦٩).

(٤) صحيح البخاري (٤٣/٣) برقم (٣٨٠٣)، وصحيح مسلم (١٩١٥/٤) برقم (٢٤٦٦).

(٥) مسند الإمام أحمد (٩٨/٦).

ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء عليه السلام، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع ولا ألم ولا خوف، سل ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد. اهـ^(١).

وكانت وفاته سنة خمس من الهجرة، وهو في ريعان شبابه عمره سبع وثلاثون سنة، صلى عليه النبي ﷺ ودفن بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٢٩٠ - ٢٩١).

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة

(١٥٠) درساً يومياً

للدعاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الجزء الثاني

الكلمة الحادية والثلاثون

أصل الدين وقاعدته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتكفر أهلها وتعاديتهم، وأما معنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديتهم، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام التي سلفه نفسه من رغب عنها».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٩٥].

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٣١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٣٢﴾﴾ [الزخرف] فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله وقال الله عنه: ﴿وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المتحنة: ٤]. فيجب اعتزال الشرك وأهله والبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [المتحنة: ٤].

والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير، وهذه الآية تتضمن التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالات لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد.

والعروة الوثقى: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، نفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له^(١). اهـ.

وبيّن في موضع آخر أن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالات فيه، وتكفير من تركه، وأدلة هذا في القرآن كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله

الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله، فسرّها بقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾، فقوله أن لا نعبد، فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله، وقوله: إلا الله، هو المستثنى في كلمة الإخلاص فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده ونفيها عن سواه».

فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد، وقال تعالى في حق من أشرك: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة وأمثال هذه الآيات كثير فلا يكون المرء موحدًا إلا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ نَارًا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّجُومُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف].

والشرك محبط لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها، ولا يقبل الله من المشرك صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

وقال عن أنبيائه وأحبابه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

وإنَّ مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم، يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما ييثر الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية وغيرها من الوسائل، من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر من ذلك، إضافة إلى الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والثلاثون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] إلخ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] ^(١).

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ - والأمر عام له ولأمته - بلزوم الصالحين، ومصابرة النفس على مصابحتهم، والبقاء معهم، خصوصاً الفقراء منهم والضعفاء، فالآية نزلت فيهم، والمكث معهم أبعد عن مظاهر الدنيا، وفتنتها، ثم ذكر أهم صفاتهم، وهي شغل أوقاتهم بالعبادة بحسب الأحوال، لا يريدون بذلك رياء ولا سمعة، ولا يقال: فلان قارئ أو عابد، أو عرضاً من الدنيا زائل، إنما يريدون بذلك وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ثم نهى تعالى عن مصاحبة أهل الدنيا،

(١) صحيح مسلم (٤/١٨٧٨) برقم (٢٤١٣).

فقال: ﴿وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تتطلع إلى مصاحبة غيرهم من أهل الشرف والغنى لما يحصل بذلك من اشتغال القلب بزينة الدنيا عن أمر الآخرة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله: «فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر القلب، فيغفل عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبديّة والندامة السرمديّة». اهـ^(١).

ثم نهاه نهياً آخر، فقال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، فنهاء عن طاعة الغافلين عن ذكر الله المتبعين أهواءهم، الذين أضاعوا دينهم، فطاعة من هذه صفته هي الخسارة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وفي هذه الآية الكريمة فوائد كثيرة:

الأولى: الحث على الصبر. والمراد بالصبر هو الصبر على طاعة الله الذي هو أعلى أنواع الصبر، وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه لأهميته ومكانته العظيمة، بل إنه في الآية الواحدة يتكرر الأمر بالصبر كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

والثانية: استحباب ذكر الله والدعاء طرفي النهار.

قال الشيخ ابن سعدي رحمته الله: «لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به ويرغب فيه» اهـ^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٢٥).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٤٢٥).

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾

[ق: ٣٩].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»^(٢).

الثالثة: الحث على مجالسة الصالحين الأخيار، حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء، فإن في مجالستهم خيراً كثيراً، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٣).

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقيٍّ وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب. اهـ^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٥).

(١) سنن أبي داود (٣/٣٢٤) برقم (٣٦٦٧).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٧٢) برقم (٢٦٩٥).

(٣) سنن أبي داود (٤/٢٥٩) برقم (٤٨٣٣).

(٤) شرح السنة للبغوي (١٣/٦٩).

(٥) سنن أبي داود (٤/٢٥٩) برقم (٤٨٣٢).

قال الشاعر:

عن المرء لا تسلّ وسلّ عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
الرابعة: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه] وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتَنَّهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [٣٣] وَلِيُثْبِتَنَّهُمْ أَوْيَا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف].

الخامسة: الحث على الإخلاص لله تعالى، فقد ذكر الله في الآية الأخرى عن عباده الصالحين أنهم يريدون بهذا العمل وجه الله، لا رياء ولا سمعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمُ لِيُؤْتِيَ اللَّهُ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والثلاثون

دروس وعبر من

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابُكَ...﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥] إلى آخر الآيات.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده التي لا يُقَدَّم عليها شيئاً لَوَسَّعَ الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي درجاً من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ على سطوحهم. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابُكَ وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ من فضة، ولجعل لهم ﴿وَزُخْرَفًا﴾ أي: وَلَزَخْرَفَ لهم دنياهم بأنواع الزخارف، لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر، وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا منغصة مكدره فانية، وأن الآخرة عند الله خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد

الفرق بين الدارين»^(١) اهـ.

وفي هذه الآيات الكريمات فوائد كثيرة منها:

- أن ما يعطيه الله الكفار من نعم الدنيا إنما ذلك لهوان الدنيا عنده، وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَقْشَقُونَ﴾ [الأحقاف]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يظلم مؤمناً حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها»^(٢).

ولهذا قال عمر رضي الله عنه عندما صعد إلى مشربة النبي ﷺ، لما ألى ﷺ من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله: هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس. وقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب» ثم قال ﷺ: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» وفي رواية: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»^(٣).

- ومنها: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده ليست دليلاً على محبته.

(١) تفسير ابن سعدى (ص ٧٦٥).

(٢) صحيح مسلم (٢/٢١٦٢) برقم (٢٨٠٨).

(٣) صحيح البخاري (٣/٣١٣) برقم (٤٩١٣)، وصحيح مسلم (٢/١١٠٥) برقم (١٤٧٩).

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ۖ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون]، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج»^(١).

ومنها أن فيها الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ۝٥٧﴾ [طه].

ومنها بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بالسوق والناس عن جانبيه، فمر بجدي أسك - أي صغير الأذن - فقال: «أيكم يحب أن له هذا بدرهم، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً لكان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟! فقال: والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»^(٣).

وعن مستورد أخى بني فهر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم فلينظر بما يرجع»^(٤).

وقال عمر رضي الله عنه: لو أن الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيتها رجل،

(١) مسند الإمام أحمد (٤/١٤٥).

(٢) سنن الترمذي (٤/٥٦٠) برقم (٢٣٢٠).

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٢٧٢) برقم (٢٩٥٦).

(٤) صحيح مسلم (٤/١٢٩٣) برقم (٢٨٥٨).

ثم جاء الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره، ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء^(١).

وقال أحد السلف: نعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: ومن حلق بصيرته في الدنيا والآخرة علم أن الأمر كذلك^(٣).

ومنها أن الله تعالى يمنع عبده بعضاً من أمور الدنيا لينال منزلة عالية عنده يوم القيامة. عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (٣/٩٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/٩٧).

(٣) مدارج السالكين (٣/٩٧).

(٤) مستدرك الحاكم (٤/٢٣١) برقم (٧٤٦٥).

الكلمة الرابعة والثلاثون

أكل المال الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصمهم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم أكل للحرام^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء] روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال»^(٢).

ومما يُلاحظ، تساهل كثير من الناس في أكل المال الحرام، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن الحلال أم من الحرام»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٢٤ - ٢٢٥).

(٢) سنن الترمذي (٤/٥٦٩) برقم (٢٣٣٦).

(٣) صحيح البخاري (٢/٨٤) برقم (٢٠٨٣)، وقال: حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الألباني، في صحيح الجامع الصغير (١/٤٣٠) برقم (٢١٤٨).

قال ابن المبارك: لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف.

قال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» وإنما فعل ذلك رضي الله عنه امتثالاً لقول النبي ﷺ في حديث النعمان بن بشير: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»^(١) الحديث.

ومن صور أكل المال المحرم: الربا الذي حرمه الله ورسوله، ولعن آكله، وكاتبه، وشاهديه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة] وقد غلب حب المال على قلوب بعض المسلمين، فصاروا يتسابقون إلى شراء أسهم البنوك الربوية، وآخرون يودعون أموالهم في البنوك ويأخذون عليها زيادة ربوية يسمونها فوائد، وإن من الجرائم العظيمة والأمور الخطيرة، ما نشاهده من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال: ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها وأنها من الربا الذي حرمه الله ورسوله، وهي بطاقة يصدرها البنك بمبلغ معين يسمى قيمة إصدار، ويحق لحاملها أن يشتري ما شاء من سلع وحاجيات على أن يرد قيمة هذه السلع خلال مدة معينة، فإن لم يفعل فإنه يحسب عليه

(١) صحيح البخاري (٧٤/٢) برقم (٢٠٥١)، وصحيح مسلم (٣/١٢١٩) - (١٢٢٠) برقم (١٥٩٩).

عن كل يوم فائدة^(١).

ومن صور أكل المال المحرم الاعتداء على رواتب العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في أوقاتها، ومن صور أكل المال المحرم التي نشاهدها كثيراً في الأسواق الحلف على السلعة باليمين الكاذب، والغش في المعاملات وغير ذلك.

وأكل الحرام إنما يعرّض نفسه للعقوبة في الدنيا وفي قبره، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فقد تكون العقوبة خسارة في ماله، أو محق إلهي للمال الذي اكتسبه ونزع البركة منه، أو مصيبة في جسده، قال تعالى: ﴿يَمْحُؤُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَكَدَ قُلْتُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة].

وأما في قبره، فقد ورد في الحديث أن عبداً يُقال له مدغم كان مع النبي ﷺ، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة رضي الله عنهم: هنيئاً له الشهادة فقال النبي ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» فلما سمع الناس ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ، فقال: «شراك أو شراكان من نار»^(٢).

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام.

وأما في الآخرة فعن كعب بن عجرة أن النبي ﷺ قال له: «يا كعب لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»^(٣).

(١) فتوى رقم (١٧٦١١).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٠/٤) برقم (٦٧٠٧).

(٣) قطعة من حديث في سنن الترمذي (٥١٣/٢) برقم (٦١٤).

ومن عقوبة أكل المال الحرام: حرمان إجابة الدعاء وقبول العبادة.
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك» (١).

وهذا الحديث فيه تحذير لطائفة من الناس خدعهم الشيطان، وزين لهم أعمالهم السيئة، فتراهم يأكلون الحرام وينفقون منه في بعض الأعمال الصالحة، كبناء المساجد، أو المدارس، أو حفر الآبار، أو غير ذلك، ويظنون أنهم بهذا برئت ذمتهم، فهؤلاء يُعاقبون مرتين:
الأولى: أن الله لا يقبل منهم أعمالهم الصالحة التي أنفقوا عليها من الأموال المحرمة، لقوله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» (٢).
الثانية: أن الله يعاقبهم على هذا المال المحرم، ويحاسبون عليه يوم القيامة.

عن خولة الأنصارية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).
قال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر إلا بالماء والذنب لا يكفره إلا الحلال.
اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك.
وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم (٧٣/٢) برقم (١٠١٥).

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم (٧٣/٢) برقم (١٠١٥).

(٣) صحيح البخاري (٣٩٣/٢) برقم (٣١١٨).

الكلمة الخامسة والثلاثون

وقفة مع آيات من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى في سياق قصة آدم مع عدو الله إبليس: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

ذكر الله سبحانه في هذه الآيات حال من اتبع هداه وما له من الرغد وطيب الحياة في معاشه ومعاده، فقال: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، فتكفل الله لمن حفظ عهده علماً وعملاً أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [١٦] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٤] [يونس].

ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي كتابي، ولم يتبعه ويعمل بما فيه، فإن له معيشة ضنكاً.

قال ابن كثير رحمه الله: (أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره، بل صدره ضيق حرج ل ضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء

وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في رَبِّهِ يتردد فهذا من ضنك المعيشة^(١). اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله: «وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا، وحاله في البرزخ؛ فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب»^(٢).

وقوله: ﴿وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ اختلف المفسرون في ذلك هل هو من عمى البصيرة أو من عمى البصر، فمن قال إنه من عمى البصيرة، استدل بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان] وقوله تعالى: ﴿وَوَرَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ رُبُّهُمْ غَايًا يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ يَنظُرُونَ مِنْ ظَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] وغير ذلك من الآيات التي أثبتت لهم الرؤية في الآخرة.

والذين قالوا إنه من عمى البصر؛ استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقد فصل في ذلك العلامة ابن القيم وخلص إلى أن الحشر ينقسم إلى قسمين: الأول من القبور إلى الموقف، والثاني من الموقف إلى النار.

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٦٨).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧٩).

فعند الحشر الأول يسمعون ويبصرون ويجادلون ويتكلمون.
وعند الحشر الثاني يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً،
فلكل موقف حال يليق به، ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته، والقرآن
يصدق بعضه بعضاً^(١): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثم أخبر سبحانه عن حال هذا المعرض يوم القيامة، وأنه يغشاه
الذل والهوان فيتألم ويضجر من هذه الحال فيقول: رب لم حشرتني
أعمى فيُجاب: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ أَأَيُّنَا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ [طه: ١٢٦]
أي: أن هذا هو عين عملك والجزاء من جنس العمل، وكما تدين
تُدان، فكما عميت عن ذكر ربك ونسيته ونسيت حظك منه أعمى الله
بصرك في الآخرة وتركك في العذاب.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

بيان حال من أعرض عن ذكر الله في الدنيا، وأنه يعيش في
ضلال وظلام، ويتخبط في الجهالة، وهو مع هذه الحالة يحسب أنه
من المهتدين. وبسبب إعراضه عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله
عاقبه بأن قبض له شيطاناً يصاحبه فيصده عن الحق، ويزين له طرق
الضلال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾
[الزخرف] حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاین هلاكه
ندم^(٢) فقال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾
[الزخرف].

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٣٥٩).

(١) تفسير ابن القيم (ص ٣٦٣).

ومنها أن من تمسك بهذا الذكر، وهو القرآن فإنه يسعد في الدنيا والآخرة، وتحصل له الطمأنينة، وانشرح الصدر والشفاء من أمراض الأبدان والقلوب، والهداية إلى صراط الله المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا بِهِ هُدًى وَشِفَاءٌ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والثلاثون

وقفة مع آية من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۖ﴾ [النساء].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إليّ من أهلي ومالي، وأحب إليّ من ولدي، وإنّي لا أكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأنا إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾^(١).

(١) معجم الطبراني الصغير (٢٦/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧) رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران وهو ثقة وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع (٧/٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

قال الشيخ مقبل الوادعي في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٧٠ - ٧١) وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٠) و(٨/١٢٥) والواحدي في أسباب النزول بهذا السند، وقال الشوكاني: إن المقدسي حسنه، وله شواهد كما في تفسير ابن كثير (١/٥٢٣) تزيده قوة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾، قال ابن كثير رحمته: أي من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله ورسوله، فإن الله تعالى يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلايتهم، ثم أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخَيَّر» فلما اشتكى وحضره القبض غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره إلى السماء ثم قال: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. اللهم اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى». قالت عائشة: فعلمت أنه يخيَّر (٢).

قال ابن حجر: الرفيق الأعلى: هم المذكورون في سورة النساء في قوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية (٣).

وعن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من الصديقين والشهداء» (٤).

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٢٢).

(٢) صحيح البخاري (٣/١٨٢) برقم (٤٤٣٥)، وصحيح مسلم (٤/١٨٩٣) برقم (٢٤٤٤).

(٣) فتح الباري (٨/١٣٨).

(٤) صحيح ابن حبان (٥/١٨٤) برقم (٣٤٢٩).

وعن ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»^(١).

قال ابن كثير: وأعظم من هذا كله ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرها من طرق متواترة، عن جمع من الصحابة، أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث^{(٢)(٣)}.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٣٥٣/١) برقم (٤٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٢٣/١).

(٣) صحيح البخاري (١٢٣/٤) برقم (٦١٦٩)، وصحيح مسلم (٢٠٣٤/٤) برقم (٢٦٤٠).

(٤) صحيح البخاري (٤٣٤/٢) برقم (٣٢٥٦)، وصحيح مسلم (٢١٧٧/٤) برقم (٢٨٣١).

كَالَّذِي خَاضُوا^٤ [التوبة: ٩٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعن حلق اللحى، وعن تسليم اليهود والنصارى وغيرها من النواهي.

الثاني: التشبه بأهل الخير والتقوى، فهذا حسن وهذا مندوب إليه، ولهذا يشرع الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وحركاته، وذلك مقتضى المحبة الصحيحة، فإن المرء مع من أحب، ولا بد من مشاركته في أصل عمله وإن قصر المحب عن درجته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة والثلاثون

شرح حديث: «بُعِثَ بالسيف بين يدي الساعة»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بُعِثَ بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِلَ الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

هذا الحديث اشتمل على حكم عظيمة، وجمل نافعة، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة صغيرة اختصرت كلامه فيها في هذه الكلمة:

قوله: «بُعِثَ بالسيف بين يدي الساعة» يعني أن الله بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دُعي بالسيف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصْرَفُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد] وفيه إشارة إلى قرب بعثته ﷺ من قيام الساعة.

(١) مسند الإمام أحمد (٩٢/٢).

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قال: وضم السبابة والوسطى^(١).

وقوله: «حتى يعبد الله وحده لا شريك له» هذا هو المقصود الأعظم من بعثته وبعثة الرسل من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، فما خلقهم إلا ليامرهم بعبادته، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم، على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي» فيه إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيدهِ بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداء الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ويستبيح أموالهم، ويسبي نساءهم وذريتهم، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإن المال إنما خلقه لِبني آدم يستعينون به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به، سلط الله عليه رسوله وأتباعه، فانتزعوه منه وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل عبادة الله وتوحيدهِ وطاعته، ولهذا يسمى الفيء لرجوعه إلى من كان أحق به،

(١) صحيح البخاري (١٩٢/٤) برقم (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم (٢٢٦٩/٤) برقم (٢٩٥١).

ولأجله خُلِقَ.

قال تعالى: ﴿تَكُونُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَكْلاً طَيِّباً﴾ [الأنفال: ٦٩] وهذا مما خص الله به محمداً ﷺ وأمته، فإنه أحل لهم الغنائم.

قوله: «وَجُعِلَ الذِّل والصغار على من خالف أمري» هذا يدل على أن العز والرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر رسول الله ﷺ؛ لامثال متابعة أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر: ١٠] فالذلة والصغار تحصل بمخالفة أمر الله والمخالفون لأمر الله ورسوله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره، كمخالفة الكفار وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ﷺ فهم تحت الذلة والصغار، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وعلى اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول ﷺ كفر عناد.

الثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية، فله نصيب من الذل والصغار.

قال الحسن البصري: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله أن يذل من عصاه»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية، قال الشاعر أبو العتاهية:

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

الثالث: من خالف أمره من أهل الشبهات؛ وهم أهل الأهواء

والبدع، فكلهم لهم نصيب من الذل والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَعْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الأعراف].

وأهل البدع والأهواء كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افتراءهم عليه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن رجب الحنبلي رحمته الله: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفته أمر الرسول ﷺ: ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل».

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(١).

ورأى النبي ﷺ سكة الحرث فقال: «ما دخلت دار قوم إلا دخلها الذل»، فمن ترك ما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوها المباحة، حصل له الذل. فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوها المحرمة^(٢). اهـ.

قوله: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»، هذا يدل على أمرين: أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ

(١) سنن أبي داود (٢٧٥/٣) برقم (٣٤٦٢).

(٢) شرح حديث يتبع الميت ثلاثة لابن رجب الحنبلي.

الكلمة الثامنة والثلاثون

سورة التكاثر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ﴾ ① حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧.

قوله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ﴾ ① قال ابن كثير: يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها^(١).

عن مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ﴾ ① قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

وفي رواية له: وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٤).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٢٧٣) برقم (٢٩٥٨).

وقوله: ﴿حَقَّقْ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ﴾ قال ابن القيم: وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت، إيذاناً بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور، وأنهم بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها، كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها. ودار القرار هي الجنة أو النار^(١).

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾ ثُمَّ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر عن طاعة الله، وسوف تعلمون عاقبة تشاغلکم بالتكاثر، وكرر الجملة هنا لزيادة التأكيد، كما قال بعض المفسرين.

قال ابن القيم: وقيل: ليس تأكيداً؛ بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، وهذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس^(٢).

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ﴾ أي لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتهم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون.

وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ﴾ ثُمَّ ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ﴾ هذا قسم من الله تعالى بأن عباده - مؤمنهم وكافرهم - سيشهدون النار بأعينهم، ثم أكد هذا الخبر بأنه واقع لا محالة، وأنهم سيكونون متيقنين برؤية النار يقيناً لا شك فيه، ولكن الله ينجي المؤمنين منها، وقد جعل سبحانه رؤيتهم لها ليعرفوا فضل الله عليهم بإنجائهم منها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ ثُمَّ نُنْزِلُ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَدْرُ الْأَعْلَامِ فِيهَا جَنَّتًا ﴿٧﴾ [مريم].

(١) تفسير ابن القيم (ص ٥١٣). (٢) تفسير ابن القيم (ص ٥١٥).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ٨ أي: ليسألنكم الله يوم القيامة عن كل نعمة أنعم بها عليكم، كالأمن والصحة والسمع والبصر والعافية، وما يطعمه الإنسان ويشربه، هل قمتم بشكرها وأديتم حق الله فيها ولم تستعينوا بها على معاصيه، أم اغتررتم بها ولم تقوموا بشكرها فيعاقبكم على ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة، قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا، فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري؛ فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيفاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر، وتمر، ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب»، فذبح لهم فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»^(١).

قال النووي في شرح الحديث: والسؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة^(٢).

(١) صحيح مسلم (٣/١٦٠٩) برقم (٢٠٣٨).

(٢) شرح النووي (٥/٢١٤).

وأما بالنسبة للكفار فإنه سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة، وعن أبي
برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة
حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وماله من أين
اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أكرمك
وأسودك»^(٢) وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟
فيقول: بلى. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإنني
أنساك كما نسيتني»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما
يحاسب به العبد يوم القيامة أن يُقال له: ألم أصح لك جسمك وأروك
من الماء البارد؟»^(٤).

قال ابن القيم: فلله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها
فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدّها ترغيباً في الآخرة، وتزهيداً
في الدنيا، على غاية اختصارها وجزالة ألفاظها وحسن نظمها، فتبارك
من تكلم بها حقاً، وبلغها رسوله عنه وحيّاً^(٥). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

-
- (١) سنن الترمذي (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٦) وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) أي: أجعلك سيداً على غيرك.
(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٢٢٧٩/٤) برقم (٢٩٦٨).
(٤) مستدرك الحاكم (١٥٤/٤) برقم (٧٢٠٣) وصححه الألباني في السلسلة
الصحيحة (٧٦/٢) برقم (٥٣٩).
(٥) التفسير القيم (ص ٥٢٣).

الكلمة التاسعة والثلاثون

سورة الإخلاص

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال سبحانه: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ مَا تَشَاءُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وجعل فيه الشفاء والنور والهداية، قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الْفَاسِقِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن السور التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَّهِ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

عن أنس رضي الله عنه: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإذا أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتهم أن أوكمهم بذلك فعلت، وإن كرهتهم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان: ما

يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة»، فقال: إني أحبها وفي رواية: لأنها صفة الرحمن ﷻ^(١) فقال: «حبك إياها أدخلك الجنة»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟»، فشق ذلك عليهم وقالوا: «أينا يطيق ذلك يا رسول الله»، فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(٣).

وكان النبي ﷺ يستشفى بهذه السورة مع غيرها من السور، والقرآن كله شفاء.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات^(٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال ابن كثير: أي هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله^(٥). اهـ.

(١) صحيح البخاري (٣٧٩/٤) برقم (٧٣٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٢٥٢/١) برقم (٧٧٤).

(٣) صحيح البخاري (٣٤٤/٣) برقم (٥٠١٥) ورواه مسلم من طريق أبي الدرداء (٥٥٦/١) برقم (٨١١).

(٤) صحيح البخاري (٣٤٤/٣) برقم (٥٠١٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٧٠/٤).

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والعرب تسمي أشرافها الصمد، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤده.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١﴾ أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة.

قال مجاهد: «ولم يكن له كفواً أحد، أي: صاحبة». اهـ.

والمراد بالصاحبة: الزوجة، كما قال تعالى: ﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَنِجَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام] أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه تعالى وتقدس.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٧﴾ تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضَ وَنَحْنُ لِلْجِبَالِ هَذَا ﴿٨٨﴾ أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٨٩﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٠﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا ﴿٩١﴾ لَقَدْ أَخْصَنَّمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا ﴿٩٢﴾ [مريم].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»^(٢).

(١) صحيح البخاري (٣٧٩/٤) برقم (٧٣٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٣٤/٣) برقم (٤٩٧٤).

ومن فوائد هذه السورة الكريمة:

أولاً: إثبات وحدانية الله جل وعلا والرد على اليهود، والنصارى الذين يجعلون له الولد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَفَّ يُوَفَّكَونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التوبة].

ثانياً: أن هذه السورة اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب.

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب»^(١).

ثالثاً: استحباب قراءتها عند المبيت كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام، وقراءتها أيضاً صباحاً ومساءً ثلاث مرات.

عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: «أصليتم؟» فلم أقل شيئاً، فقال: «قل؟» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل؟» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل؟» فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سنن أبي داود (٧٩/٢) برقم (١٤٩٣).

(٢) سنن أبي داود (٣٢٢/٤) برقم (٥٠٨٢).

الكلمة الأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه، فهو مأمور بالبشارة إن كان الرسول ﷺ، فكل من خلفه في العلم والدعوة فإنه يمكن أن يقول هذه البشارة، وهي الإخبار بما يسر، وهنا المُبَشِّر هم المؤمنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمُبَشَّر به جنات تجري من تحتها الأنهار، والمُبَشِّر هو الرسول ﷺ، والأمر بالتبشير هو الله تعالى.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: جمعوا بين الاستسلام الباطن، وهو الإيمان، والاستسلام الظاهر، وهو العمل الصالح، وجمعوا بين الإخلاص في القلب، وهو أمر باطن، والمتابعة للرسول ﷺ، وهو أمر ظاهر، فالبشرى لمن جمع بين الأمرين.

وقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي بساتين جامعة

للأشجار، وسميت جنة لأنها تجن من فيها، أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

والمراد هنا: دار النعيم التي أعدّها الله للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار، وهي أربعة أصناف ذكرها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۖ﴾ [محمد] الآية (١).

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا﴾ لأنه يشبهه في اللون والحجم، ولكنهم إذا طعموه تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الأكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمر متشابهاً، ولكنه يختلف في الذوق، حيث صار هذا من تمام اللذة وكمال النعمة.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» (٢).

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٥/٢) برقم (٢٧٩٦)، وصحيح مسلم (٣/١٤٩٩) برقم (١٨٨٠).

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة»^(١).

وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هو تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فهو نعيم سرمدي أبدي. ومن فوائد الآية الكريمة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه: من أحكام القرآن:

أولاً: أنه ينبغي أن يشر العامل بما يستحق من الثواب، لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على العمل.

ثانياً: أن البشري بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل، ولهذا يربط الله تعالى دائماً بالإيمان بالعمل الصالح.

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً وثماراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [السجدة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقروا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»^(٢).

(١) سنن الدارمي (٤٣١/٢) برقم (٢٨٢٥) وقال الألباني في المشكاة رقم (٥٦٣٦) سنه صحيح.

(٢) صحيح البخاري (٤٣٢/٢) برقم (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم (٢١٧٤/٤) برقم (٢٨٢٤).

رابعاً: أن في الجنة أزواجاً مطهرة يتلذذ الإنسان بهن، ويتمتع بهن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُشْكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس] وقال تعالى في سورة الرحمن: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَإِذَا فِي الْآءِ رَتَبْنَا نُكْدَابَانَ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن].

وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والاتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم. خامساً: أن أهل الجنة خالدون فيها، وقد بينت الآية الأخرى أن هذا الخلود خلود أبدي: قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾ [الكهف]^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٠ - ١٣٤).

الكلمة الحادية والأربعون

وقفة مع حديث وفاة أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصر] (١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة قد

(١) صحيح البخاري (٦٢/٣، ٦٣) برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم (٥٤/١) برقم (٢٤) واللفظ له.

أسلم وحسن إسلامه في آخر حياته^(١)، أما أبو جهل الطاغية المعروف فقد قتل يوم بدر على الكفر.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة من ذلك:

أولاً: أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ولا الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت»^(٢).

وقد نهى تعالى نبيه والمؤمنين عن الاستغفار لمن مات مشركاً، ولو كان قريباً أو حبيباً، قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّاسِ مِنَ الشَّيْءِ أَمْثَلُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة].

كما بين ﷺ أن الاستغفار لهم لا ينفعهم ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

ثانياً: إن شفاعة النبي ﷺ لعمه اقتضت بعد نزول الآيات الكريمات على تخفيف العذاب عنه، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: ما أغويت عن عمك، فإن كان يحوطك ويغضب لك، قال: «هو في ضحضاح»^(٣) من نار، ولولا أنا لكان في الدرك

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٣٦).

(٢) صحيح مسلم (٢/٦٧١) برقم (٩٧٦).

(٣) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

الأسفل من النار»^(١).

وعن العباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو متعل بنعلين يغلي منهما دماغه»^(٢).

وفي رواية: «ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»^(٣).
ثالثاً: أن الشرك لا تنفع معه طاعة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً، بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبرها وصغيرها، هذا حكم الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾^(٤) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥) [الزمر].

وقال عن أنبيائه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْمَلُونَ﴾^(٦) [الأنعام: ٨٨].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٧).

رابعاً: أن المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، حتى لو كان هذا الشافع نبياً كريماً أو ولياً صالحاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟

(١) صحيح البخاري (٦٢/٣) برقم (٣٨٨٣)، وصحيح مسلم (١/١٩٥) برقم (٢٠٩).

(٢) صحيح مسلم (١/١٩٦) برقم (٢١٢).

(٣) صحيح مسلم (١/١٩٦) برقم (٢١٣).

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٢٨٩) برقم (٢٩٨٥).

فيقول أبوه: فالיום لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يُبعثون، فأبي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يُقال: يا إبراهيم ما تحت رجلِك فينظر فإذا هو بذيخ، مُلتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٢). . الحديث. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْغَيْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا].

خامساً: الحذر من صحبة الأشرار، ففي الحديث أن أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية ما زالا يحرضان أبو طالب على الثبات على دينه حتى مات على الكفر وختم له بتلك الخاتمة السيئة.

وقد حث النبي ﷺ على اختيار المجلس الصالح فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٣). قال الشاعر:

عن المرء لا تسلّ وسلّ عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٤٥٩/٢) برقم (٣٣٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٣/٣) برقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم (١٩٢/١) برقم (٢٠٦).

(٣) سنن أبي داود (٣٥٩/٤) برقم (٤٨٣٣).

الكلمة الثانية والأربعون

وقفة مع آية

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قال القرطبي: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات^(١). اهـ.

قال ابن كثير: وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية وإلا فالإسرار أفضل^(٢). اهـ.

قال القرطبي: وهذا - أي إظهار الصدقة - لمن قويت حالته

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

وحسنت نيته وأمن من الرياء، وأما من ضعف عن هذه الرتبة فالسر له أفضل. اهـ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْثُوْهَا أَلْفُقْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

قال ابن القيم: وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خير لكم، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه، كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد الستة عليه، وعدم تخجيله بين الناس، وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له؛ فيزهدون في معاملته ومعاوضته؛ وهذا قدر زائد من الإحسان إليه لمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص.... إلى آخر ما قال^(٢).

وقد مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيراً للمنفق، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته؛ ولا تخفى عليه سيئاته أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعلمون خير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، وذكر منهم: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(٣).

وذكر النبي ﷺ صنفاً آخر يستحق ذلك التكريم، وهو الذي ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٣). (٢) تفسير ابن القيم (ص ١٧٠).

(٣) صحيح البخاري (١/٤٤٠) برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم (٢/٧١٥) برقم (١٠٣١).

وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»^(١).

وعن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ قال: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»^(٢).

قال العز بن عبد السلام في تفاوت فضل الإسرار والإعلان بالطاعات: فإن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعات ثلاثة أضرب: أحدها ما شرع مجهوراً كالأذان والإقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة؛ والخطب الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإقامة الجمعة والجماعات، وغير ذلك، فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص، فيأتي به مخلصاً كما شرع؛ فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهد لما فيه من المصلحة المتعدية.

الثاني: ما يكون إسراره خيراً من إعلانه، كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خيراً من إعلانه.

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى، كالصدقات، فإن خاف على نفسه الرياء، أو عُرف ذلك منه كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى: ﴿وَلِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوَوَّعَهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إلى آخر ما قال^(٣).

(١) سنن أبي داود (٣٨/٢) برقم (١٣٣٣).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (٩٥/٢) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

(٣) قواعد الأحكام (١٥٢/١).

ومما تقدّم من الآيات والأحاديث يتبيّن أنه ينبغي للمؤمن أن يخفي أعماله الصالحة عن الخلق، إلا التي يشرع إعلانها، فإن الذي يعمل لأجله لا تخفى عليه أعماله، وسيجزيه عليها أوفر الجزاء، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥] وليعلم العبد أنه لا ينفعه اطلاع الناس على ما يعمل؛ بل قد يضره إذا أحب ذلك.

وقد كان هدي السلف الصالح الحرص على إخفاء الأعمال، وذلك لكمال إخلاصهم وصفاء نياتهم.

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك» فقال: إني قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله^(١).

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره، يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي^(٢).

ونقل المنذر بن سعيد عن جارية للربيع أنه كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه^(٣)، وذكر ابن الجوزي أن داود بن أبي هند صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله، كان يأخذ غداءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق.

(١) سنن أبي داود (٣٧/٢) برقم (١٣٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٨٦/٤). (٣) سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٤).

قال الشافعي رحمه الله: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء^(١).

وقال الحسن رحمه الله: إن كان الرجل ليجمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليفقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً، لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع العلوم والحكم (١/٣١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٢١).

الكلمة الثالثة والأربعون

الولاء والبراء في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين وبغضهم، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي ملة نبينا وملتنا، وقدوتنا، وقدوتنا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة].

وهو مبني على أصليين: الأول: إخلاص العبادة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام].

الثاني: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرِّهِ وَإِنَّا لَنَنُكِلُكُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْضُ أَبَدًا حَتَّىٰ تَوَدُّوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وإذا كان واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عنه، المخالفين له في جميع

الأمور أبين وأبين، فمن لم يحقق هذين الأصلين لا يصح له أن ينتسب إلى إبراهيم وملته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْضَىٰ يُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَظْهَرُ بِمَا اخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّىٰ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۖ﴾ [المتحنة]. بل لقد حرم على المؤمن موالاة الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إليه. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وذكر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب صورا لموالاة الكفار في رسالته «أوثق عرى الإيمان» فقال:

أحدها: التولي العام، الثاني: المودة والمحبة الخاصة، الثالث: الركون القليل. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ﴾ (٧٤) إِذَا لَادَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۖ﴾ (٧٥) [الإسراء].

فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه، فكيف بغيره. الرابع: مداہنتهم ومداراتهم قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۖ﴾ [القلم]. الخامس: طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَحْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ۖ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ ۖ﴾ [القلم]. السادس: تقريبهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام. السابع: مشاورتهم في الأمور. الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين. أي أمر كان إمارة أو عمالة، أو كتابة، أو غير ذلك. التاسع: اتخاذهم

بطانة من دون المؤمنين. العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول إليهم. الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة. الثاني عشر: الإكرام العام لهم. الثالث عشر: استئمانهم وقد خَوَّنَهُم الله، الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم. السادس عشر: اتباع أهوائهم، السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم، الثامن عشر: الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم. التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكماء. كما يُقال للطاغوت السيد فلان، أو يقال لمن يدعى علم الطب الحكيم. ونحو ذلك. العشرون: السكن معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»^(١)،^(٢).

وكما حرم سبحانه موالاة الكفار أعداء الدين فقد أوجب موالاة المؤمنين ومحبتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن مظاهر موالاة المؤمنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار

(١) سنن أبي داود (٩٣/٣) برقم (٢٧٨٧) وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١٠٦٤/٢) برقم (٦١٨٦).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ١٧٠، ١٧٢).

أحد: إرم فذاك أبي وأمي^(١).

وهذا الحديث يدل على كفاءته العظيمة، ومنزلته عند النبي ﷺ، ومن المواقف التي تدل على ورعه وتقواه أنه اعتزل الفتنة التي حدثت بين الصحابة، وجاء إليه أصحابه وقالوا: يا سعد ألا تشارك معنا في القتال؟ قال: لا، حتى تأتونني بسيف له عينان ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر، وأنشد يقول:

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عرياناً

ومنها ما رواه عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاء ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إيلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»^(٢).

والمراد بالغني غني النفس، والخفي المنقطع إلى العبادة، والاشتغال بأمور نفسه لا يبغي منصباً ولا شهرة.

وذكر الذهبي في سيره: أنه لما احتضر قال ابنه مصعب ابن سعد: كان رأسه في حجري، فبكيت، فرفع رأسه إليّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة، قال الذهبي: صدق والله فهنيئاً له^(٣).

(١) صحيح البخاري (٢٧/٣) برقم (٣٧٢٥)، وصحيح مسلم (٤/١٨٧٦) برقم (٢٤١١).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٢٧٧) برقم (٢٩٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢ - ١٢٣).

بالدين، فقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكَيْلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثانياً: مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكَيْلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَكْتُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْنَاكُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ١٦].

ثالثاً: النصح ومحبة الخير لهم، وعدم غشهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٢١/١) رقم (١٣)، وصحيح مسلم (٦٧/١) برقم (٤٥).

الكلمة الرابعة والأربعون

سيرة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرأً وأحدأً والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، أسلم وعمره لم يتجاوز السابعة عشر عاماً، وكان من السابقين إلى الإسلام، يقول عن نفسه: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام^(١)، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركة القادسية الشهيرة، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وهو أول من أراق دمأً في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في الإسلام، وقد فدأه النبي ﷺ بأبويه يوم أحد، عندما رأى شجاعته واستبساله في الدفاع عن النبي ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وهو أحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض، قال عنه الذهبي: «الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص

(١) صحيح البخاري (٢٧/٣) برقم (٣٧٢٧).

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين من الهجرة، في قصره بالعقيق، وأوصى أن يُدفن في جبة صوف، وقال: لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم، وعمره آنذاك ثمانية وسبعون سنة، ودُفِنَ بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



مالك بن أهيـب القرشي الزهري المكي، وله قرابة من النبي ﷺ، فهو من بني زُهرة، وأم النبي ﷺ آمنة بنت وهب زُهرية، وهي ابنة عم أبي وقاص^(١).

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»^(٢).

قالت عائشة بنت سعد: كان أبي قصيراً دحداحاً، غليظاً، ذا هامة، وجاء في بعض الروايات أنه كان يميل إلى السمرة.

عن مصعب بن سعد عن أبيه ﷺ أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك. وأنا أمك. وأنا أمرُك بهذا. قال: مكثت ثلاثاً حتى عُشي عليها من الجهد. فقام ابن لها يُقال له: عُمارة فسقاها. فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية: ﴿وَلَيْنَ جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] إلخ الآية^(٣).

وفي رواية أنه قال: يا أمّه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي، فأكلت^(٤).

وقد كانت لسعد مواقف عظيمة، تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ

(١) سير أعلام النبلاء (١/٩٢ - ٩٣).

(٢) سنن الترمذي (٥/٦٤٩) برقم (٣٧٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٤/١٨٧٧) برقم (١٧٤٨).

(٤) ابن أبي حاتم (٩/٣٠٣٦) برقم (١٧١٦٤).

مقدمه المدينة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: فيينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسُهُ، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام. قالت عائشة: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيته (١)(٢).

ومنها ما رواه قيس. قال: سمعت سعداً ﷺ يقول: إني لأولُ العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط^(٣). قال الشراح: أي لجفافه ويبسه، وقد أبلى سعد في موقعة أحدٍ بلاء عظيمًا، فقد جاء عن أبي عثمان أنه قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما. اهـ^(٤).

وكانا يقاتلان عن النبي ﷺ أشد القتال، وكان ذلك في موقعة أحد، وكان سعد من أمهر رماة العرب.

عن عبد الله بن شداد ﷺ قال: سمعت علياً يقول: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحدٍ غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم

(١) صحيح البخاري (٣٢٧/٢) برقم (٢٨٨٥)، وصحيح مسلم (٤/١٨٧٥) برقم (٢٤١٠).

(٢) وهو صوت النائم المرتفع.

(٣) صحيح البخاري (٢٧/٣) برقم (٣٧٢٨)، وصحيح مسلم (٤/٢٢٧٨) برقم (٢٩٦٦).

(٤) صحيح البخاري (٢٦/٣) برقم (٣٧٢٢)، وصحيح مسلم (٤/١٨٧٩) برقم (٢٤١٤).

الكلمة الخامسة والأربعون

النهي عن الإسراف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها صفة الإسراف: قال الراغب: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر^(١).

وقال سفيان بن عيينة: ما أنفقت في غير طاعة الله سرف وإن كان ذلك قليلاً^(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

والإسراف يتناول المال وغيره، قال تعالى محذراً عباده من الإسراف: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ٣١].

قال بعض السلف: جمع الله الطب في نصف آية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [التوبة: ١٢٩].

(١) موسوعة نضرة النعيم (٣٨٨٤/٩).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٣٨٨٤/٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢١٠).

قال عطاء بن أبي رباح قال: نهوا عن الإسراف في كل شيء^(١).
قال ابن كثير: «أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن»^(٢).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة»^{(٣)(٤)}.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كُل ما شئت والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة»^(٥).

وعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٦).

وفرق بعض العلماء بين التبذير والإسراف الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء]. فقالوا: إن التبذير هو صرف الأموال في غير حقها، إما في المعاصي؛ وإما في غير فائدة لعباً وتساهلاً بالأموال، أما الإسراف فهو الزيادة في الطعام والشراب واللباس في غير حاجة. قال تعالى مادحاً عباده المقتصدين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

قال ابن كثير رحمته الله: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٨٢). (٢) تفسير ابن كثير (٢/١٨٢).

(٣) سنن النسائي (٥/٧٩) برقم (٥٥٨) ورواه البخاري معلقاً مجزوماً به (٤/٥٣).

(٤) مخيلة هي العجب والكبر. (٥) صحيح البخاري (٤/٥٣).

(٦) سنن الترمذي (٤/٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

أهلهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء] وهذا هو التوسط المأمور به، لا بخل، ولا إمساك ولا إسراف ولا تبذير، لكن بين ذلك، قال ابن كثير رحمته الله: يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن الإسراف: لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تبسطها كل البسط، أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك؛ وتخرج أكثر من دخلك، فتقع ملوماً محسوراً، أي فتقع إن بخلت ملوماً يلومك الناس، ويذمونك، ويستغنون عنك، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهي الذابة التي عجزت عن السير. اهـ^(٢).

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت به فهو لك، وما أنفقت رياء وسمعة فذلك حظ الشيطان^(٣).

وقال ابن الجوزي: العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة تكفّه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق... إلى آخر ما قال^(٤).

وينبغي أن ينتبه لأمر، وهو أن الإنفاق في الحق لا يُعدُّ تبذيراً،

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٥). (٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٦).

(٣) الدر المنثور (٥/٢٧٥). (٤) صيد الخاطر (ص ٤٠٤).

قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبدراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبدراً^(١).

ومن الإسراف الذي يقع فيه بعض الناس: الإسراف في الولائم وحفلات الزواج وغيرها من المناسبات صغيرة أو كبيرة، حيث تقدم بها الأطعمة أكثر من الحاجة.

ومنها الإسراف في استخدام نعمة الماء، فعن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد^{(٢)(٣)}».

وقد نهى النبي ﷺ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء؟ فأراه الوضوء ثلاثاً، ثلاثاً، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم^(٤)».

ومنها: الإسراف في استخدام نعمة المال. عن خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة^(٥)» ويدخل في هذا الحديث الذين يسافرون إلى بلاد الكفار، فينفقون المبالغ الطائلة في تلك الرحلات، وهم بهذا جمعوا بين معصيتين الأولى: السفر إلى بلاد الكفار، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٦).

(٢) صحيح البخاري (١/٨٥) برقم (٢٠١)، وصحيح مسلم (١/٢٥٨) برقم (٣٢٥).

(٣) المد ملء كفي الرجل الممتلئ.

(٤) سنن النسائي (١/٢٨٨) برقم (١٤٠).

(٥) صحيح البخاري (٢/٣٩٣) برقم (٣١١٨).

فعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراهما»^(١).

الثانية: دعم اقتصاد هذه الدول الكافرة بهذه الأموال التي تنفق فيها.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق»^(٢) الحديث. وغير ذلك من الصور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (١٥٥/٤) برقم (١٦٠٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٤٦١).

(٢) سنن الترمذي (٦١٢/٤) برقم (٢٤٢٦).

الكلمة السادسة والأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإنَّ الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَذَرُوهَا مَائِتَةً وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١﴾﴾ [ص].

وعملاً بهذه الآية الكريمة فلنستمع إلى آية من كتاب الله تعالى، ولنتدبر ما فيها من العظات والحكم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾﴾ [التحريم].

قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: أدبواهم وعلموهم الخير^(١)، وقال قتادة رضي الله عنه: تأمرهم بطاعة الله وتنهائهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيتَ الله معصية زجرتهم عنها^(٢).

وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة، قال ابن مسعود: هي حجارة من الكبريت الأسود^(٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٩١).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٩١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٩١).

وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُتُكَ غَلاظٌ شَدَادٌ﴾ قال الشيخ ابن سعدي: أي غليظة أخلاقهم، شديد انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب، وأوجب عليهم شدة العقاب^(١). اهـ.

وقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ هذا مدح للملائكة واثباتهم لأمر الله وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١ - أنه يجب على الرجل أن يأمر أهله بالمعروف ويحثهم عليه، وينهاهم عن المنكر ويزجرهم عنه؛ فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر فرائض الإسلام، ويحثهم على الأخلاق الجميلة؛ والآداب الحسنة، ويرغبهم في فضائل الأعمال، كقراءة القرآن، وتعلم العلوم النافعة، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم].

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

وكذلك يجب عليه أن ينهاهم عن كل ما يغضب الله من الأقوال والأفعال، فينهاهم عن الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وعن قول الزور، وينهى نساءه وبناته عن التبرج والسفور، والخروج إلى الأسواق ومواقع الريب، وينهى جميع أهله ومن تحت يده عن مصاحبة

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٧٤).

(٢) سنن أبي داود (١/١٣٣) برقم (٤٩٥).

الأشرار ومخالطتهم، والتشبه بالكفار والفساق، ويقطع عنهم الوسائل المفضية إلى غضب الله وسخطه، المشغلة عن رضاه وطاعته، كالقنوات الفضائية، والتلفاز، ونحوها من الوسائل التي تدعو إلى الرذائل وردىء الأخلاق.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار»^(١).

٢ - عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه الآية أخبر تعالى أن حطب النار التي توقد بها: جثث بني آدم وحجارة من الكبريت الأسود، وأخبر في آية أخرى عن هولها وشدة عذابها فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْفٌ لُّظَىٰ ۖ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧٧﴾ لَا بُقِي وَلَا نَذْرٌ ﴿٧٨﴾ لَوْلَا لِّلنَّارِ ﴿٧٩﴾﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٦٥﴾﴾
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فضلت عليها تسعة وستين جزءاً كلها

(١) صحيح البخاري (٤٣٨/١) برقم (١٤١٨)، وصحيح مسلم (٢٠٢٧/٤) برقم (٢٦٢٩).

(٢) صحيح مسلم (٢١٨٤/٤) برقم (٢٨٤٢).

مثل حرّها»^(١).

٣ - إثبات وجود الملائكة وأنه يجب الإيمان بهم وأنهم أصناف، فمنهم: خزنة النار الموكلون بتعذيب أهل النار وإهانتهم وأن عددهم كما ذكر الله ﷻ تسعة عشر، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر] وإن كبير هؤلاء الملائكة ملك كريم اسمه مالك، قال تعالى: ﴿وَأَدَاؤُا بِتِلْكَ لِيَفْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَكْتُوَتٌ﴾ [الزخرف] وأن الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ركن من أركان الإيمان الستة قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة].

٤ - أن على المؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون ولو بأقل القليل من فعل الخير.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبين ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم. وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم. وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٤٣٦/٢) برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم (٢١٨٤/٤) برقم (٢٨٤٣).

(٢) صحيح مسلم (٧٠٤/٢) برقم (١٠١٦).

الكلمة السابعة والأربعون

آفة السهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العادات السيئة التي ابتلي بها كثير من الناس في هذه الأزمان السهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يكره النوم قبلها، والحديث بعدها، (أي العشاء)^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: أَسْمَراً أول الليل ونوماً آخره^(٢).

ومن مفسد هذا السهر:

أولاً: أنه يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَاطِنِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم]

(١) صحيح البخاري (١/١٩٥) برقم (٥٦٨).

(٢) فتح الباري (٢/٧٣).

وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»^(١).

وعن عمارة بن ربيعة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني الفجر والعصر^(٢).

ثانياً: أنه يؤدي إلى النوم عن قيام الليل قال تعالى يذكر عباده المؤمنين المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَلَا نَسَارَ لَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الناريات] وقال أيضاً: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحب من شئت فإنك مفارقه، وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس^(٣).

(ثالثاً): إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وهذا الوقت سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(٤).

(١) صحيح مسلم (٤٥٥/١) برقم (٦٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٤٤٠/١) برقم (٦٣٤).

(٣) مستدرک الحاكم (٤/٣٦٠/٣٦١).

(٤) سنن الترمذي (٤/٦١٢) برقم (٢٤١٧).

وهذا لمن كان سهره في المباح، أما إذا كان سهره على المحرمات كالنظر إلى القنوات الفضائية، أو التحدث في أعراض المسلمين، أو غير ذلك من المنكرات، فقد جمع إلى هذه القبائح إضاعة وقته فيما يغضب ربه ﷻ.

(رابعاً): الأضرار الصحية التي تنتج عن السهر؛ فإن الله تعالى جعل الليل سكناً للناس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلًا لِّلْمَسْكُونِ فِيهِ﴾ [النمل: ٨٦] والنوم في الساعات الأولى من الليل لا يعوض، وقد استثنى العلماء السهر إذا كان في طاعة الله، وفيه مصلحة شرعية، كقيام الليل أو الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو طلب علم شرعي؛ أو السهر مع الضيف أو الزوجة، قالت عائشة رضي الله عنها: لا سهر إلا لثلاثة: مصل، أو عروس، أو مسافر، لذا ينبغي على المؤمن أن يحرص على التبكير في نومه، حرصاً على تطبيق السنة، وتخلصاً من آفة السهر ومفاسده، وعليه أن يحرص على آداب النوم؛ كالنوم على طهارة والمداومة على الأذكار الشرعية قبل النوم، وغير ذلك من الآداب التي ذكرها أهل العلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والأربعون

الحج وجوبه وفضله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ مَآيَةٌ بَيِّنَةٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في خطبته: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى

(١) صحيح البخاري (٢٠/١) رقم (٨)، وصحيح مسلم (٤٥/١) رقم (١٦).

(٢) صحيح مسلم (٩٧٥/٢) برقم (١٣٣٧).

يقول: إن عبداً أصبحت له جسمه، ووسعت عليه في معيشته تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحرور^(١).

فهذه الآيات والأحاديث المتقدمة، فيها بيان أن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه العظام.

والقول الراجح من كلام أهل العلم أن الحج يجب على الفور، فمن استطاع الوصول إلى البيت ولم يحج فهو على خطر عظيم، وما يدريه لعله يأتيه الأجل وهو لم يقض هذه الفريضة العظيمة.

عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين^(٢).

وعن الفضل بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»^(٤).

ومن فضائل الحج:

أولاً: أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في قصة إسلامه، وفيها فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: أبسط يمينك فلأبائعك، فبسط يمينه، قال:

(١) صحيح ابن حبان (١٦/٩) برقم (٣٧٠٣).

(٢) التلخيص الحبير (٢/٢٢٣) والأثر أسنده اللالكائي في الاعتقاد (١٥٦٧) وابن الجوزي في التحقيق (١٢١٣) وغيرهما.

(٣) مسند الإمام أحمد (١/٢١٤). (٤) مسند الإمام أحمد (١/٣١٤).

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضى بآراء الرجال وخرصها لا كان ذاك بمنة المنان

ومن ذلك أصحاب القوانين الوضعية، الذين جعلوها شرعاً
ومنهاجاً يسيرون عليه، ويلزمون الناس به قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ
يَبْقُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة] وقال تعالى:
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة].

الناقض الخامس: «من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو
عمل به كفر» وهذا باتفاق العلماء، وقد نال المنافقون النصيب الأكبر
من هذه الخصلة، وهم يعملون ببعض شرائع الإسلام الظاهرة؛ ولكنهم
في الخفاء يضمرون البغض والكرهية لشريعة الإسلام وأهلها،
ويتربصون بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ
لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ
خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة].

وقد حكم الله على من كره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ بالكفر
والضلال، وأن أعمالهم باطلة مردودة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [٨] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [٩]
[محمد].

فكل من كره ما أنزل الله فعمله حابط، وإن عمل بما كره قال
تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَتِ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ﴾ [١٨] [محمد].

الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه

فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت أردت أن أشتري، قال: «تشتري بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢).

ثانياً: أن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: سئل أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبور»^(٣).

ثالثاً: أن النفقة في الحج يضاعف أجر لصاحبها كما يضاعف أجر المجاهد، فعن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف»^(٤).

رابعاً: أن الحج إذا كان خالصاً لوجه الله، وموافقاً لسنة النبي ﷺ وكانت نفقته من كسب حلال طيب فجزاؤه الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٥).

(١) صحيح مسلم (١١٢/١) برقم (١٢١).

(٢) صحيح البخاري (٤٧١/١) برقم (١٥٢١)، وصحيح مسلم (٩٨٣/٢) برقم (١٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٥/١) برقم (٢٦)، وصحيح مسلم (٨٨/١) برقم (٨٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (٣٥٥/٥).

(٥) صحيح البخاري (٥٣٧/١) برقم (١٧٧٣)، وصحيح مسلم (٩٨٣/٢) برقم (١٣٤٩).

خامساً: أن الحج والعمرة من أعظم أسباب الغنى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»^(١).

وفضائل الحج ومنافعه الدينية والدنيوية كثيرة جداً، وقد أشار الله إليها بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن النسائي (١١٦/٥) برقم (٢٦٣٠).

أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَلِلَّهِ وَمَا إِلَهُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَسْزِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥، ٦٦]؛ فالاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء كما لو هزل مازحاً.

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المستهزين الساخرين بأشر ما ذكر به قوماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (١١) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿[المطففين] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَصْدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣) [التوبة] وقد نهى الله تعالى عن مجالسة هؤلاء المستهزين وأن من جلس معهم فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نُنَزِّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١١٢) [البقرة].

أما الصرف: فهو صرف الرجل عما يهواه، كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها، والعطف عمل سحري كالصرف، ولكنه عطف

الكلمة التاسعة والأربعون

نواقض الإسلام العشرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر أهل العلم نواقض للإسلام أي مفسدات، من فعلها خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية، أذكرها للعلم بها والحذر منها.

أولاً: الشرك في عبادة الله، وهو أعظم ذنب عصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ لِاسْرَوِيلَ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وله صور منها: أن يصرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله، مثل النذر أو الذبح أو غير ذلك.

ثانياً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ

اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس].

ثالثاً: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، لأن الله ﷻ كفرهم في آيات كثيرة وأمر بعداوتهم لافتراءهم الكذب عليه، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك أو شك في كفرهم مع تبينه فهو مثلهم.

أما من صحح مذهبهم واستحسن ما هم عليه من الكفر فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا والى أهل الشرك فضلاً عن أن يكفرهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، وتمثيل ذلك بالذين يقولون: إن إنفاذ حكم الله في رجم الزاني المحصن أو قطع يد السارق لا يناسب هذا العصر الحاضر، لأن زماننا قد تغير عن زمن النبي ﷺ، أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء].

قال ابن القيم رحمه الله:

والله ما خوفي الذنوب فإنها على سبيل العفو والغفران

الرجل عما لا يهواه إلى محبته، والسحر محرم بجميع طرقه وفي جميع الشرائع.

الناقض الثامن: مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

الناقض التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ، فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام] فمن رغب الخروج عن شريعة النبي ﷺ، أو ظن الاستغناء عنها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعيسى ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون متبعاً لشريعة النبي ﷺ، فشريعته عليه الصلاة والسلام باقية إلى يوم القيامة، وعامة لجميع الناس؛ ولا يسع أحد الخروج عنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [السجدة].

والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رحمه الله: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع، فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا

يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبته^(١). اهـ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف؛ إلا المكره. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه^(٢). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ٣٩).

الكلمة الخمسون

سوء الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد
ليعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار،
ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما
الأعمال بخواتيمها»^(١).

قال ابن بطال: وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة،
وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالِكاً
ازداد عتواً؛ فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء^(٢).

لأجل ذلك كان خوف الصالحين من سوء الخاتمة شديداً، يقول
أحدهم: خوف الصالحين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وحركة،
ويقول أبو الدرداء: ما أحد أمن على إيمانه ألا يسلبه عند الموت إلا
سلبه^(٣)، ولما حضرت الوفاة سفيان الثوري رضي الله عنه جعل يبكي، فقال له

(١) صحيح البخاري (٤/١٩٠) برقم (٦٤٩٣) وصحيح مسلم (٢/٢٠٤٢) برقم (٢٦٥١) واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١١/٣٣٨).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

رجلٌ: يا أبا عبد الله أمن كثرة الذنوب؟ فقال: لا ولكن أخاف أن أُسلب الإيمان قبل الموت^(١).

فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنة.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى^(٢).

قال الحافظ عبد الحق الأشبيلي: ولسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابٌ ولها طرقٌ وأبوابٌ، وأعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الآخرة والإقدام والجرأة على معاصي الله، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه وسبى عقله، فربما جاءه الموت على ذلك، وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلاح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم والله الحمد وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة^(٣). اهـ.

وقد يظهر من المحتضر ما يدل على سوء الخاتمة، مثل النكول عن النطق بالشهادتين، ورفض ذلك، والتحدث بالسيئات والمحرمات، وإظهار التعلُّق بها ونحو ذلك من أقوال وأفعال تدل على الإعراض عن دين الله والتبرم لنزول قضائه^(٤).

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٨).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦، ١٤٨).

(٤) مشاهد الاحتضار (ص ٧٥).

قال ابن القيم: وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة^(١).

قال ابن رجب: وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيئة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة^(٢). اهـ.

وقد ذكر بعض أهل العلم أسباباً ينشأ عنها سوء الخاتمة:

أولاً: التسويف بالتوبة، والاستمرار في المعاصي، والتهاون في فعل الواجبات، ويضمّر بعضهم أنه سيتوب ولكن متى؟ يقول الأعزب: حين أتزوج، والطالب: حين أتخرج، والفقير: حين أتوظف، ويقول الصغير: حين أكبر. وهكذا يحدد كل واحد موعداً لتوبته فيقال لهؤلاء جميعاً: من يضمن لكم بلوغ هذه الآمال، أما تخشون أن تخترمكم المنايا قبل وصولها، ثم لو وصلتكم إليها هل تضمنون أن توفقوا للتوبة وقد قضيت الأعمار في الغواية والضلال، والشهوات المحرمة التي غالباً ما تكون سبباً لانقلاب القلوب وانتكاسها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ نُحْشِرُكُمْ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَقَلْبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] ثم بين

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٢ - ١٧٣).

سبب هذا الانقلاب فقال: ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي بسبب رد الحق أول ما جاءهم ثم قال: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقد ذم الله قوماً طالت آمالهم حتى ألهمتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون. قال تعالى: ﴿زَيْمًا يَودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الحجر].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فإنه ينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق.

ثانياً: حب المعصية، فإن الإنسان إذا داوم على المعاصي ولم يسارع إلى التوبة منها ألفها قلبه فاستولت على تفكيره في اللحظات الأخيرة من عمره، فيموت عليها، ويبعث عليها.

عن جابر عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»^(١).

قال ابن كثير: والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة^(٢).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقي لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته، وآخر حضرته الوفاة، فقليل له: قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه.

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٦/٤) برقم (٢٨٧٨).

(٢) البداية والنهاية (١٦٣/٩).

وقيل لآخر عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها، والقصص في هذا كثيرة^(١).

قال ابن قدامة رحمته الله: وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسوية بالاستعداد فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك؛ لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه^(٢).

فعلى العبد أن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن ينأى بنفسه عما حرم الله، وأن يبادر بالتوبة من المعاصي، وأن يلح في دعاء الله أن يختم له بالخاتمة الحسنى، وأن يحسن الظن بربه ﷻ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷻ كقلب واحد يصرفه حيث شاء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٧٣)، والجواب الكافي (ص ١٤٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٤٥/٤) برقم (٢٦٥٤).

الكلمة الحادية والخمسون

الوقت وخطر السفر إلى الخارج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: العصر هو الزمن، وقال ابن القيم: إن تسمية الدهر عصراً أمر معروف في لغة العرب^(١).

وأقسم الله ﷻ بالزمن لأنه مستودع أعمال العباد خيرها وشرها، ولشرفه وعظمته، ففي هذا القسم ينبه الله الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم الله بأجزاء الوقت في مواضع أخرى فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾.

وقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝﴾ [الليل]، وقال: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١، ٢] وهذا الزمن أغلى من الذهب والفضة فإنهما يعرضان، وأما الزمن فإنه إذا فات لا يعوض، وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما نزول قدما عبد يوم

(١) بدائع التفسير (٥/٣٢٨ - ٣٢٩).

القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله فيم اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه^(١).

فيُسئل عن عمره على وجه العموم، وعن شبابه على وجه الخصوص؛ لأن الشباب هو محور القوة والنشاط، وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره في مراحل العمر الأخرى.

والزمن من أفضل نعم الله على عباده، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢) والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأضعاف ثمنها، فمن صلح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يسع لإصلاح آخرته، يقال عنه: إنه رجل مغبون، وفي الحديث إشارة إلى أن الزمن نعمة كبرى لا يستفيد منها إلا الموفقون الأفذاذ، وأن المستفيد قليل والكثير مفرط ومغبون.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اغتنم خمساً قبل خمس، وذكر منها: وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك»^(٣).

ومن تأمل أحوال السلف، ومن سار على نهجهم، وجدهم أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي.

وقال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطع عليك أمر دنياك وآخرتك^(٤).

(١) شعب الإيمان (٢/٢٨٦) برقم (١٧٨٥ - ١٧٨٦).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٧٥) برقم (٦٤١٢).

(٣) مستدرک الحاكم (٤/٣٤١) برقم (٧٨٤٦).

(٤) بدائع الفوائد (١/٥٣).

قال الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع
ومما تقدم يتبين خسارة من أضاعوا أوقاتهم في السفر إلى بلاد
الكفار، ولهذا وجب التنبيه على ما لهذه الأسفار من المخاطر
والمفاسد. فمن ذلك:

(أولاً): أن في السفر إلى بلاد الكفار مخالفة صريحة لأمر
النبي ﷺ.

فعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم
بين أظهر المشركين لا تراءى ناراها»^(١).

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، أو السفر
للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة
لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين؛ أو للتجارة وكل ذلك
مشروط بأن يكون مظهرًا لدينه، عالمًا بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان
بالله، قادراً على إقامة شعائره، مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

(ثانياً): كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش
والمحرمات، وخاصة فتنة النساء.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي في
الناس فتنة أضرم على الرجال من النساء»^(٢).

وقال أيضاً: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»^(٣).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «السفر إلى البلاد التي فيها الكفر

(١) سنن الترمذي (١٥٥/٤) برقم (١٦٠٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٩٨/٤) برقم (٢٧٤١).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٩٨/٤) برقم (٢٧٤٢).

والضلال والحرية وانتشار الفساد من الزنا وشرب الخمر، وأنواع الكفر والضلال، فيه خطر كبير وعظيم على الرجل والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسداً، وكم من مسلم رجع كافراً، وخطر السفر عظيم؛ والواجب الحذر من السفر لبلادهم لا في شهر العسل ولا في غيره». اهـ.

(ثالثاً): إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله ﷻ، وهذا الوقت كما تقدم سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(رابعاً): إضاعة المال الكثير في غير فائدة، وإنما في الشهوات والملذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء].

(خامساً): أنه قد لا يسلم من انحراف عقدي أو خلقي أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم هو فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد والتبرج والخلاعة وتباع فيها الخمر علناً في الطرقات في ذاكرة أبنائه وبناته، وكفى بهذه مفسدة.

(سادساً): أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات، وتبرج النساء، وبيع للمحرمات، وغير ذلك كل هذا يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم؛ وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١) إلى غير ذلك من المفاصد.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

الكلمة الثانية والخمسون

التوكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن أعظم العبادات القلبية التوكل على الله تعالى في جميع الأمور، قال بعض أهل العلم: التوكل صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وأن يكل العبد أموره كلها إلى الله، وأن يحقق إيمانه بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع إلا هو ﷻ^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، وجاء ذكره في أكثر من خمسين آية. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الذي يربك حين تقوم وتقلبك في الساجدين] [الشعراء].

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقد دل حديث عمر رضي الله عنه أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكتهم لها، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير^(٢). اهـ.

وقال بعض السلف: توكل على الله تسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف^(٣).

قال سعيد بن جبیر: التوكل جماع الإيمان^(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وقال: «التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل استعانة والإنابة هي العبادة»^(٥).

(١) مسند الإمام أحمد (٣٠/١). (٢) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢). (٤) جامع العلوم والحكم (٤٩٧/٢).

(٥) التفسير القيم (ص ٥٨٧)، ومدارج السالكين (١١٨/٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله» قال: «يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت، فتتنحى له الشياطين: فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي ووُقي»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل^(٢).

فإبراهيم عليه السلام عندما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل كانت عاقبته ما قاله جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَنذَارُ كُوفٍ بِرَدَا وَسَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء].

ومحمد عليه الصلاة والسلام حين قال: حسبنا الله ونعم الوكيل كانت عاقبته ما قاله سبحانه: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرْجُونَ رَبَّهُمْ وَأَتَّبَعُوا مَرْضُونَ لِلَّهِ وَاللَّهُ دُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران].

ومؤمن آل فرعون عندما كاده قومه قال: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال تعالى: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

وها هنا مسألة مهمة ينبغي للمسلم فهمها فهماً صحيحاً، وهي التوفيق بين التوكل وفعل السبب، فأقول:

أولاً: التوكل هو عمل القلب واعتماده على الله تعالى في جلب الخير ودفع الشر، وفي جميع أمور العبد كلها الدنيوية والأخروية، أما الأسباب فإنها عمل الجوارح فعلاً وتركاً.

(١) سنن أبي داود (٣٢٥/٤) برقم (٥٠٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٢١١/٣) برقم (٤٥٦٣).

ثانياً: من الناس من يترك فعل الأسباب كلها ويدّعي أنه من المتوكلين، ومنهم من يتعلق قلبه بالأسباب ويعتقد أنه لا يتم له أمر إلا بفعل سبب، وكلا الطائفتين قد جانبت الصواب.

والحق أن المتوكل حقيقة هو من فوض أمره إلى الله ثم نظر، فإن كان هذا الأمر له أسباب مشروعة فعلها انقياداً للشرع لا اعتماداً عليها، ولا انقياداً لها، وإنما امثالاً لأمر الشارع، فإن لم يكن هناك أسباب مشروعة اكتفى بالتوكل على الله.

يشهد لما تقدم حديث أنس رضي الله عنه: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل، قال: «اعقلها وتوكل»^(١).

أما الطائفة الأخرى التي تعلقت قلوبها بالأسباب، فقد ضعف عندها الإيمان بكفاية الله تعالى لمن توكل عليه، فتراها تجتهد في فعل الأسباب وإن لم تكن مطلوبة شرعاً أو عقلاً، وقد أخطأ هؤلاء حين ظنوا أنه لا يتم أمر إلا بسبب.

فالله عز وجل يعطي ويمنع بسبب وبغير سبب، وقد أخبر سبحانه في آيات كثيرة أن في التوكل على الله كفاية للعبد.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَلَى اللَّهِ يُكَافِ عِبَادُهُمْ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافي، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب].

واعلم يا عبد الله أن التوكل مرتبة عظيمة لا ينال كمالها إلا القليل من العباد، والمتوكلون أحباء الله وأوليأؤه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولو توكل العبد على الله حق التوكل لم يحتج إلى غيره، لكن لما علم الله تعالى ضعف البشر شرع لهم من الأسباب ما يتم لهم به معنى التوكل، وذلك من رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم.

فعلى المسلم أن يفهم هذه الحقائق، وأخص بالذكر إخواناً لنا يطلبون أرزاقهم بطرق محرمة أو مشبوهة، كالذين يعملون في البنوك الربوية، أو يتاجرون بما حرم الله، كآلات اللهو أو المخدرات، أو الخمر، أو الدخان، أو يتعاملون بالكذب والغش والخيانة والخداع، لأخذ أموال الناس بغير حق، ويكفي أن نسوق إلى هؤلاء جميعاً هذا الحديث العظيم الذي أوحاه جبريل الأمين إلى الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ، فاسمعوه وتأملوه؛ فإنه جدير بالتفهم والتدبر لما اشتمل عليه من الحكم العظيمة.

عن أبي أمامة رضي الله أن النبي ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، وتستوعب أجلها فائقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١)

الكلمة الثالثة والخمسون

مبطلات الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِثَابِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لئن أعلم أن الله تقبل مني ركعتين أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾.

قال عبد الله بن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ

(١) سنن الترمذي (٣٢٧/٥ - ٣٢٨) برقم (٣١٧٥).

كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من أحدٍ يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل عليهما السلام.

ومبطلات الأعمال كثيرة، منها ما يبطل جميع الأعمال مثل الشرك والردة والنفاق الأكبر، ومنها ما يبطل العمل نفسه كالمن بالصدقة وغير ذلك، وسوف أقتصر على ذكر خمسة أمور وعسى أن يكون فيها تنبيه على ما سواها:

الأول: الشرك: فإنه محبط لجميع الأعمال، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١٥﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ١٣﴾ [الفرقان].

عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحد فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»^(١).

الثاني: الرياء وهو على قسمين:

الأول: أن يقصد بعمله غير وجه الله، فهذا شرك أكبر محبط لجميع الأعمال، ويسميه بعض أهل العلم: شرك النية والإرادة والقصد، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦﴾ [هود].

قال ابن عباس: إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً، يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا

(١) سنن الترمذي (٣١٤/٥) برقم (٣١٥٤).

صوماً، أو صلاة، أو تهجداً بالليل، لا يعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمل لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين^(١).

القسم الثاني: أن يعمل العمل يقصد به وجه الله ثم يطرأ عليه الرياء بعد الدخول فيه، فهذا شرك أصغر.

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال؛ الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(٣).

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع بتسميته شركاً أصغر وهو إنما سمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء.

- ١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.
- ٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة، كصاحب الكبيرة، بل يُعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الشرك وهو إمام

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٩). (٢) مسند الإمام أحمد (٥/٤٢٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/٣٠).

الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ^(١).

ثالثاً: المن والأذى، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَثَآ وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

قال الشاعر:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم إذ أسدى بمنان
عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات» قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» ^(٢).

رابعاً: ترك صلاة العصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨].

عن بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» ^(٣).

خامساً: التألي على الله، وعن ضمضم بن جوس اليمامي قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يمامي تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله

(١) فتح المجيد (ص ٧٤).

(٢) صحيح مسلم (١٠٢/١) برقم (١٠٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٠٠/١) برقم (٥٩٤).

الجنة أبدأ، فقلت: ومن أنت - يرحمك الله -؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته، قال: فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر كأنه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصر أقصر عما أنت فيه، قال: فيقول: خلّني وربّي، قال: حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلّني وربّي، أبعثت علينا رقيباً، فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة أبداً، قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي، فقال: لا يا رب، قال: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة ﷺ: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أويقت دنياه وآخرته^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح السنة (١٤، ٣٨٤، ٣٨٥).

الكلمة الرابعة والخمسون

الأجل والرزق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون علقه مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أو سعيد»^(١).

في هذا الحديث أربع قضايا من أمور الغيب يجب الإيمان بها، واليقين الجازم بصدقها، وسيقتصر حديثي على اثنين منها، وهما: الأجل والرزق.

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله كتب الآجال والأرزاق، فلا يزيد فيهما حرص حريص، ولا يردهما كراهية كاره.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(٢).

(١) صحيح البخاري (٣٩٦/٤) برقم (٧٤٥٤)، وصحيح مسلم (٢٠٣٦/٤) برقم (٢٦٣١).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٤٤/٤) برقم (٢٦٥٢).

وقد أكد ﷺ هذه الحقيقة في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [الأعراف].

وقد ظن بعض المنافقين أن تأخيرهم عن الجهاد في سبيل الله وجبنهم عن ملاقات الأعداء سيكون مانعاً لهم من الموت، فقطع الله تلك الآمال الكاذبة بقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران]، ولهذا فإن الوقائع تشهد بأن الذين يقتلون مدبرين أكثر بأضعاف كثيرة من الذين يقتلون مقبلين، قال الشاعر:

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

ومثل الأجل الرزق، فإن ما كُتب للعبد منه سيناله لا محالة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [فوري] السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقُّ نِثْلٍ مَا أَتَاكُمْ نَطَقُونَ [الذاريات].

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن

يطلبه بمعصية، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»^(١).

فما كُتِب للعبد من رزق وأجل لا بد أن يستكمّله قبل أن يموت.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو أن ابن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»^(٢).

وتأمل هذا الحديث في أدب الدعاء وهو يؤكد هذه الحقيقة.

عن أم حبيبة رضي الله عنها أنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «لقد سألت الله لأجل مضروبة، وآثار موطوءة، وأرزاق مقسومة، لا يعجل شيئاً منها قبل حله، ولا يؤخر منها شيئاً بعد حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار، وعذاب في القبر لكان خيراً لك»^(٣).

ومما تقدم يتبين ما يأتي:

أولاً: الإيمان بأن الآجال والأرزاق مقسومة، معلومة، لا يجلبهما حرص حريص ولا يردهما كراهية كاره.

ثانياً: أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخذ بها، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة].

ثالثاً: في حديث أبي أمامة المتقدم إشارة إلى أمرين اثنين.

(١) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٢٠/١) برقم (٢٠٨٥).

(٢) حلية الأولياء (٩٠/٧) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٦٧٢/١) برقم (٧٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٢٠٥١/٤) برقم (٢٦٦٣).

الأول: أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال، وأن يجتنب الحرام والأسباب المؤذية إليه.

الثاني: أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص، وليستحضر قوله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأنته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(١).

رابعاً: الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق وتستدفع بها المكاره كثيرة وهذه إشارة إلى بعضها.

١ - التوكل على الله.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٢).

٢ - الاستقامة على شرع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَالْوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [١] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣ - المداومة على الاستغفار والتوبة: قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا

(١) سنن الترمذي (٦٤٢/٤) برقم (٢٤٦٥) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١١١١/٢) برقم (٦٥١٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٠/١).

رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ رِبِّكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٌ وَجَنَّاتٌ لَكُمْ أَنْهَارٌ ﴿١٢﴾ [نوح].

٤ - صلة الأرحام: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحب أن ييسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٤/١٩٨٢) برقم (٢٥٥٧).

الكلمة الخامسة والخمسون

الخشوع في الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون].

قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ قال: كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا لذلك الجناح^(١).

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين^(٢).

والخشوع يأتي بمعنى لين القلب ورقته وسكونه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع الجوارح لأنها تابعة له، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٣٨). (٢) مدارج السالكين (١/٥٢٦).

(٣) صحيح البخاري (١/٢٣٤) برقم (٥٢)، وصحيح مسلم (٣/١٢٢٠) برقم (١٥٩٩).

ولذلك كان النبي ﷺ في صلاته يقول: «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»^(١).

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم فنظر في السماء ثم قال: هذا أوان العلم أن يرفع، فقال له رجل من الأنصار يقال له: زياد بن لبيد: أيرفع العلم يا رسول الله وفيما كتاب الله وقد علمناه أبناءنا ونساءنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة»، ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين وعندهما ما عندهما من كتاب الله ﷻ، فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالك، قال: صدق عوف، ثم قال: فهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري، قال: ذهاب أوعيته. قال: وهل تدري أي العلم أول أن يرفع؟ قال: فقلت: لا أدري، قال: «الخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعاً»^(٢).

فإذا دخل المصلي المسجد بدأت الوسائس والأفكار والانشغال بأمور الدنيا في ذهنه فما يشعر إلا وقد انتهى الإمام من صلاته وحينئذ يتحسر على صلاته التي لم يخشع فيها ولم يذق حلاوتها وإنما كانت مجرد حركات وتمتعات كالجسد بلا روح.

قال ابن القيم رحمته الله: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبذن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم (٥٣/١) برقم (٧٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٦/٦ - ٢٧).

الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ولا يثيبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها^(١).

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة وإن ما بينهما كما بين السماء والأرض^(٢).

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها»^(٣).

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجُعِلت قرة عيني في الصلاة»^(٤)، بل إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»^(٥).

من الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: أن يستحضر المسلم عظمة الباري ﷻ، وأنه واقف بين يدي جبار السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ١١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٦٧).

(٣) سنن أبي داود (٢١١/ ١) برقم (٧٩٦).

(٤) سنن النسائي (٦١/ ٧) برقم (٣٩٣٩).

(٥) سنن أبي داود (٢٩٧/ ٤) برقم (٤٩٨٦).

وقال تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَّا رِجْزٌ وَلَعَلَّهُمْ يَنْتَفُونَ ﴿١١٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف].

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت، وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كانوا أثلاثاً: ثلث نهوا وثلث قالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم^(١).

وبين سبحانه أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لسخطه ولعنته. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢) وهذا الحديث أصل في تغيير المنكر، ولذلك عدّه

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٥٩) وقال: إسناده جيد.

(٢) صحيح مسلم (١/٦٩) برقم (٤٩).

ثانياً: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته.
عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه»^(١).

ثالثاً: تدبر القرآن الكريم والأذكار التي يقولها في صلاته قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد].

فإذا تدبر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.
رابعاً: ذكر الموت في الصلاة.

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودّع»^(٢).

خامساً: أن يهيئ المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال ﷺ: «لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافع الأخبثان»^(٣) وأن يزيل كل ما يشغله في صلاته من الزخارف والصور ونحوها، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام. فنظر إلى علمها. فلما قضى صلاته قال: «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة، واثنوني بأنبجانيه، فإنها ألهتني أنفأ في صلاتي»^(٤).

سادساً: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع، ليس بالأمر

(١) مسند الإمام أحمد (١٧٢/٥).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٤١٢/٥).

(٣) صحيح مسلم (٣٩٣/١) برقم ٥٦٠.

(٤) صحيح البخاري (١٤١/١) برقم (٣٧٣)، وصحيح مسلم (٣٩١/١) برقم (٥٥٦).

السهل فلا بد من الصبر والمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت] ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة.

سابعاً: استحضار الثواب المترتب على الخشوع، عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبله من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله»^(١).

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس خشوعاً في الصلاة، قال عبد الله بن الشخير: رأيت النبي ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء^(٢).

وأبو بكر كان رجلاً بكاء لا يسمع الناس من البكاء إذا صلى^(٣) بهم، وعمر رضي الله عنه صلى بالناس وقرأ سورة يوسف فسمع نشيجه من آخر الصفوف وهو يقرأ: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْأَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَيُّضَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف]^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: والناس في الصلاة على مراتب: أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس والأفكار.

(١) صحيح مسلم (٢٠٦/١) برقم (٢٢٨).

(٢) سنن أبي داود (٢٣٨/١) برقم (٩٠٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٦/١) برقم (٧١٦).

(٤) صحيح البخاري (٢٣٦/١).

أهل العلم من الأحاديث التي عليها مدار الدين، حتى قيل إنه شطر الشريعة، وقيل: إنه الإسلام كله، لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه، وفيه بيان مراتب تغيير المنكر وهي الإنكار باليد واللسان، وهذا يجب بحسب القدرة والطاقة، وأن لا يترتب عليه منكر أكبر منه.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب يستلزم من العبد مفارقة المكان الذي فيه المنكر.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ مَآيَةَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝﴾ [النساء].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: من لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه. اهـ. وقال أيضاً: وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعث به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهذا واجب كل مسلم قادر، وهو فرض الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره^(١).

والمنكرات إذا انتشرت ولم تُغيَّر كان ذلك نذير شر وهلاك للأمة.

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول:

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لثلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها، لثلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه ﷻ، ناظراً بقلبه إليه مراقباً له، ممتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حشرات^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣٤ - ٣٥).

الكلمة السادسة والخمسون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران].

قال عمر رضي الله عنه: من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها^(١).

وقال الإمام القرطبي: في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً في هلاكهم^(٢).

وأخبر سبحانه أن الناجين من الأمم هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود].

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٩٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/١٧٣).

«لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، فقالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»^(١).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَمْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: إنكار المنكر له أربع درجات: «الأولى أن يزول ويخلفه ضده أي المعروف، الثانية أن يقل: أي المنكر وإن لم يزل من جملة. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة»^(٣).

ومن النماذج المشرقة للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ما نقله الذهبي في السير عن شجاع بن الوليد قال: كنت أحج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً^(٤).

وينقل عنه أنه كان يقول: إني لأرى الشيء يجب عليّ أن أتكلّم فيه فلا أفعل، فأبول أكدم دماً^(٥)، ونقل الذهبي عن الحافظ عبد الله

(١) صحيح البخاري (٤٥٨/٢) برقم (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم (٢٢٠٨/٤) برقم (٢٨٨٠).

(٢) سنن أبي داود (١٢٢/٤) برقم (٤٣٣٨).

(٣) إعلام الموقعين (٤/٣، ٥). (٤) السير (٢٥٩/٧).

(٥) السير (٢٥٩/٧).

المقدسى أنه كان لا يرى منكراً إلا غيَّره بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، قد رأيتُه مرة يهريق خمراً فجذب صاحبه السيف فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قوياً في بدنه، كثيراً ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطناوير والشبابات^(١).

قال الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذا الزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وليعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركة أيضاً لصداقته ومودته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه. إلى آخر ما قال ﷺ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) السير (٤٥٤/٢١).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٢٤/١).

الكلمة السابعة والخمسون

الصلاة ومكانتها في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد عَظَّمَ الإسلام شأن الصلاة، ورفع ذكرها وأعلى مكانتها فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»^(٢).

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا فِي الَّذِينَ وَنَفَضِلُ الَّذِينَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة].

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٣).

-
- (١) صحيح البخاري (٢٠/١) برقم (٨)، وصحيح مسلم (٤٥/١) برقم (١٦).
 (٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٠/٢) برقم (١٨٥٩) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم (١٣٥٨).
 (٣) صحيح مسلم (٨٨/١) برقم (٨٢).

والصلاة حاجز بين العبد والمعاصي قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكان من آخر وصايا النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت:

«الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(١).

ولها فضائل عظيمة:

منها: أنها كفارة للخطايا والذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(٢).

ومنها: أن هذه الصلاة نور للعبد: عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن، أو تملأ، ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٣).

ومنها أن المسلم يبلغ بالصلاة والزكاة والصيام مقام الصديقين والشهداء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان رجلان من بلي من قضاة أسلما مع

(١) سنن ابن ماجه (٢/٩٠٠) برقم (٢٦٩٧).

(٢) صحيح البخاري (١/١٨٤) برقم (٥٢٨)، وصحيح مسلم (١/٤٦٣) برقم (٦٦٧).

(٣) صحيح مسلم (١/٢٠٣) برقم (٢٢٣).

رسول الله ﷺ، واستشهد أحدهما، وأُخِرَ الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله، فأريت الجنة فرأيت فيها المؤخر منهما أُدخل قبل الشهيد فعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «أليس قد صام بعده رمضان وصلى سنة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة»^(١).

والصلاة يجب أن تؤدى في أوقاتها المحددة شرعاً، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال البخاري: مؤقناً وقته عليهم، وأداء الصلاة في وقتها من أحب الأعمال إلى الله، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي، قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي، قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٢).

ومما جاء في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها حديث رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «أتاني الليلة آتيان، وأنهما ابتعثاني، وأنهما قالَا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فينتهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى، ثم قالَا له: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٣٣٣).

(٢) صحيح البخاري (١/١٨٤) برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم (١/٨٩) برقم (٨٥).

(٣) صحيح البخاري (٤/٣١١) برقم (٧٠٤٧).

وهذه الصلاة يجب أن تؤدى في بيوت الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفْقَهُوا تَفْهُوتَ عَنْ أَصْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء].

فبيّنت الآية وجوب صلاة الجماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(١).

قال بعض أهل العلم: إن النبي ﷺ ما هم بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين قد ارتكبوا ذنباً عظيماً.

وجاء في ذكر السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ورجل قلبه معلق بالمساجد^(٢)، والمساجد بيوت الله من دخلها فقد حل ضيفاً على ربه، فلا قلب أطيب ولا نفس أسعد من ضيف حل

(١) صحيح البخاري (٢١٨/١) برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم (٤٥٢/١) برقم (٦٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٢١٩/١) برقم (٦٦٠)، وصحيح مسلم (٧١٥/٢) برقم (١٠٣١).

على ربه في بيته وتحت رعايته، عن أبي الدرداء رضي الله أن النبي ﷺ قال: «المسجد بيت كل تقى، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة»^(١).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الطبراني في الكبير (٢٥٤/٦) برقم (٦١٤٣) قال المنذري في كتاب الترغيب والترهيب (٢٩٨/١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وقال: إسناده حسن وهو كما قال رحمه الله. اهـ. وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣/١) برقم (٣٣٠).

الكلمة الثامنة والخمسون

سيرة خالد بن الوليد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

أسلم هذا الصحابي سنة ثمان من الهجرة، وخاض عشرات المعارك.

يقول عنه المؤرخون: لم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام، يقول عن نفسه: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»^(١). وهذا يدل على شجاعته الفائقة، وعلى القوة العظيمة التي ركبها الله في جسده، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركتي اليمامة واليرموك الشهيرتين، وقطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وكانت هذه من أعاجيب هذا القائد، وقد سمّاه النبي ﷺ سيف الله المسلول، وأخبر أنه سيف من سيوف الله سله الله على المشركين والمنافقين^(٢).

(١) صحيح البخاري (١٤٦/٣) برقم (٤٢٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٨/١).

إنه فارس الإسلام خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي المكي، وهو ابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، كان رجلاً ضخماً، عريض المنكبين، قوي البنية، أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، ومن هذه المواقف: معركة مؤتة الشهيرة، وقد حدثت سنة ثمان من الهجرة في نفس السنة التي أسلم فيها خالد، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل، ونظراً لعدم تكافؤ العدد بين المسلمين وعدوهم، فقد ظهرت في هذه المعركة بطولات عظيمة للمسلمين، فقد أمر النبي ﷺ على جيش المسلمين زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وقد استشهد القادة في هذه المعركة، بعد ذلك أخذ الراية ثابت بن أقرم، وقال للمسلمين: أمروا عليكم رجلاً، فاختاروا خالد بن الوليد، وهنا ظهرت شجاعته العظيمة وعبقريته الفذة، فقام بإعادة ترتيب جيش المسلمين مرة ثانية، فجعل الميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، ثم جعل بعض الجيش يتأخر قليلاً، ثم بعد فترة يأتون على هيئة مدد، حتى يضعف من عزيمة العدو، ثم حمل بالمسلمين حملة عظيمة على الروم جعلتهم يتقهقرون وتضعف عزيمتهم، وأبدى ﷺ من صنوف الشجاعة والبطولة ما تتقاصر عنه همم الأبطال، ثم إنه بحنكته وسياسته اتخذ طريقة عجيبة في الانسحاب المنظم بالمسلمين، واكتفى بتلك الضربة، ورأى ألا يقحم المسلمين في معركة غير متكافئة، وقد سمى النبي ﷺ ذلك فتحاً، فقال عندما نعى القادة الثلاثة: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم^(١).

(١) صحيح البخاري (٣/٣٣) برقم (٣٧٥٧).

وقد شهد خالد حروب الردة، وغزا العراق، وقد اختلف أهل السير في أسباب عزل خالد عن قيادة جيش المسلمين في الشام، ولعل الصحيح ما نقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا، لأنزعن خالد حتى يعلم الناس أن الله إنما ينصر دينه بغير خالد^(١).

ومن أقواله العظيمة أنه قال: ما من ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب، أحب إليَّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية من المهاجرين، أصبَح فيها العدو^(٢).

وكتب رسالة إلى الفرس قال فيها: لقد جئكم بقوم يحبون الموت كما تحب فارس شرب الخمر.

قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالداً وهو يقول: منعني الجهاد كثيراً من تعلم القرآن الكريم^(٣).

قال أبو الزناد: لما احتضر خالد جعل يبكي، وقال: لقد شهدت كذا وكذا من المعارك زحفاً، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وما أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء^(٤)؛ لقد تمنى خالد الشهادة ونرجو أن الله بلغه إياها.

عن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٣٧٨/١). (٢) سير أعلام النبلاء (٣٧٥/١).

(٣) ذكره الحافظ في المطالب العالية (٤٠٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣٨٢/١).

(٥) صحيح مسلم (١٥١٧/٣) برقم (١٩٠٩).

وعند وفاته لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلामه، جعلها في سبيل الله، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قال: رحم الله أبا سليمان كان على ما ظننا به^(١).

وجاء في حديث عمر بن الخطاب في الزكاة أن النبي ﷺ قال: «أما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله»^(٢).

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين من الهجرة بحمص، وعمره آنذاك ثمانية وخمسون سنة^(٣).

رضي الله عن خالد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٢) صحيح البخاري (١/٤٤٧) معلقاً في باب العرض في الزكاة.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

الكلمة التاسعة والخمسون

سيرة علي بن أبي طالب

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، ويطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين، وترتّب في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، قال له النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»^(١)، وقال له أيضاً: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(٢)، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة تبوك، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي ﷺ بالجنة، وهو على قيد الحياة، إنه فارس الإسلام أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وله قرابة من النبي ﷺ فهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وصفه أهل السير بأنه كان أسمر اللون، كثيف شعر اللحية، ربعة من الرجال، ضخم البطن، حسن الوجه، إلى القصر أقرب، ويكنى أبا الحسن أو أبا تراب^(٣).

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم (٤/١٨٧٠) برقم (٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم (١/٨٦) برقم (٧٨).

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٣٢، ١٣٣).

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمنها أنه بات في فراش رسول الله ﷺ يوم الهجرة، وعرض نفسه للقتل فداء للنبي ﷺ، وهو أول من بارز في سبيل الله مع حمزة رضي الله عنه وعبيدة بن الحارث، وهو من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في غزوة أحد.

ومنها ما حدث في غزوة الخندق عندما اقتحم عمرو بن ود بفرسه، وكان فارساً من فرسان العرب المشهورين، وطلب من المسلمين المبارزة وهو مقنع بالحديد، فقال: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليّ رجلاً. فخرج إليه علي بن أبي طالب، فقال: ارجع يا ابن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي بن أبي طالب: ولكني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله على بدرقته وضربه عمرو في الدرقه فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قتله وهو يقول:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

ومن مواقفه العظيمة أن خير لما استعصت على جيوش المسلمين قال النبي ﷺ: «لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في

عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم»^(١).

فلما وصل علي خرج له ملكهم مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:
قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذ الحروب أقبلت تلهب

فقال له علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريمة المنطرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة

فاختلف علي ومرحب ضربتين، فأما ضربة علي فكانت القاضية وفتح الله عليه.

ومع شجاعته العظيمة فقد كان من علماء الصحابة، ومن دهاء العرب، فقد جيء بامرأة إلى عمر وقد ولدت غلاماً لسته أشهر فأمر برجمها.

فقال له علي: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، فالحمل ستة أشهر والفصال وهو الفطام في عامين.

فترك عمر رجم المرأة وكان يقول: قضية ولا أبا الحسن لها.
ومن أقواله العظيمة أنه كان يقول: (ليس الخير أن يكثر مالك

(١) صحيح مسلم (٤/١٨٧٢) برقم (٢٤٠٦).

وولدتك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله).

ومن أقواله أيضاً: (خمس خذوهن عني: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(١).

وقيل: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: (ما أصف لكم من دار، من افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، ومن صح فيها أمن، حلالها الحساب، وحرامها العقاب).

وقال أيضاً: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة: قيل وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينغصه إياها^(٢).

قال ابن كثير: ولقد أخبر النبي ﷺ علياً بقتله، فكان كما أخبر سواء بسواء^(٣). عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه، يعني قرنه، حتى تبطل منه هذه، يعني لحيته»^(٤).

وكان قتله ﷺ على يد الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٧). (٢) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٤).

(٣) البداية والنهاية (٢٠٤/٩).

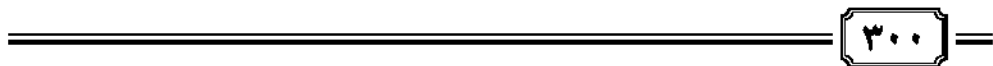
(٤) مسند الإمام أحمد (٢٦٣/٤) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٥٠٥/١) برقم (٢٥٨٩).

سنة أربعين من الهجرة، في السابع عشر من شهر رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ﴿٩٣﴾ [النساء].

قال الذهبي رحمته الله: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله ﷻ ^(١).

رضي الله عن علي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





تعرفه -، ف قيل لها: إنه النبي ﷺ، فأنت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»^(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتني وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها» قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ^(٢).

لكن لا يشرع للمسلم أن يسأل الله الصبر قبل وقوع البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً وهو يقول: اللهم إني أسألك الصبر، فقال: «سألت الله البلاء فسله العافية»^(٣).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٣٩٥/١) برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم (٩٣٧/١) برقم (٩٢٦).

(٢) صحيح مسلم (٦٣٢/١) برقم (٩١٨).

(٣) سنن الترمذي (٥٤١/٥) برقم (٣٥٢٧)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

الكلمة الستون

الصبر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (بين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة) (١). اهـ.

وقد ذكر الله الصبر في مواضع عديدة من كتابه، وأضاف إليه كثيراً من الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة].

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [١٤] فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، وطلب علمه يحتاج إلى الصبر (٢). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٦). (٢) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

ومن الأدلة على أهمية الصبر أن الله أمر به رسوله أول ما أوحى إليه، وأمره بالإنذار، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۖ قُمْ فَاذْهَبْ ۚ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ۝ وَثِيَابَكَ فَطْفِزْ ۚ وَالزُّجْرَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ۚ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾ [المدثر: ٧].

وفي قوله: ولربك فاصبر إشارة إلى إخلاص الصبر لله تعالى، لا ليقال صبور، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] الآية.

قال بعض السلف: (عجباً للصبر تداوى به الأشياء ولا يُداوى بشيء). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يتصبر يصبره الله، ومن يستغنى يغنيه الله، ولن تُعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

وجاء في حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «والصبر ضياء»^(٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وجدنا خير عيشنا بالصبر»^(٣).

وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له^(٤).

والصبر هو حبس النفس على الطاعة، وكفها عن المعصية، والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه ولا معه.

قال ابن القيم: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(١) صحيح البخاري (١٨٦/٤) رقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم (٧٢٩/٢) برقم (١٠٥٣).

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣/١) برقم (٢٢٣).

(٣) الدر المنثور (١/١٦٣). (٤) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

صبر الأوامر والطاعات حتى يؤدّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها». اهـ^(١).

فأما الصبر على طاعة الله، فإن النفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار قال تعالى: ﴿زَبُذْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلنَّفَّاثِ﴾ [طه] وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾ [الكهف].

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» وزادني غيره قال: «يا رسول الله أجر خمسين منهم قال: أجر خمسين منكم»^(٢).

ويدخل في ذلك الصبر على الطاعات الواجبة والسنن المشروعة، والدعوة إلى الله، وطلب العلم وغير ذلك.

ثانياً: الصبر عن معصية الله فإن العبد محتاج إلى الصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها المحرمة، قال تعالى: ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَزَاءً

(١) مدارج السالكين (٢/١٦٣).

(٢) سنن أبي داود (٤/١٢٣) برقم (٤٣٤١).

وَحَرِيرًا ﴿٧٧﴾ [الدمر]. قال بعض المفسرين: صبروا عن معصية الله^(١).

ثالثاً: صبر على أقدار الله كفراق الأحبة، وخسارة المال، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه ضلُوباً اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(٢).

قال الشاعر:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل
وينبغي للمسلم أن يصبر عند أول سماعه للمصيبة، وأن يسترجع ربه. وأن يذكر مصابه بالنبي ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها من أعظم المصائب»^(٣).

عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٥).

(٢) سنن الترمذي (٤/٦٠٢) برقم (٢٣٩٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) سنن الدارمي (١/٥٣).

الكلمة الحادية والستون

عذاب القبر ونعيمه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»^(١).

فهذا الحديث أحد نصوص كثيرة من القرآن والسنة تثبت عذاب القبر ونعيمه، وأنه يجب الإيمان بذلك والاستعداد له.

قال تعالى:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَطَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْفَاضِلِينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلْ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة].

قال ابن كثير: هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند الاحتضار، إما أن يكون من المقربين، وإما أن يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

(١) صحيح البخاري (٤٢٣/١) برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم (٤/٢١٩٩) برقم (٢٨٦٦).

فقوله فروح وريحان وجنت نعيم، أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت. اهـ^(١). وقد استدل بعض العلماء على أن عذاب القبر حق يجب الإيمان به، بقوله تعالى عن آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر].

قال ابن كثير: فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار^(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحاً فقد علمنا إن كنت لموقناً، وأما المنافق أو المرتاب (لا أدري أيتها قالت أسماء) فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته^(٣)».

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ بالله من عذاب القبر^(٤).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٠٠). (٢) تفسير ابن كثير (٤/٨١).

(٣) صحيح البخاري (١/٣٣٢) برقم (١٠٥٣)، وصحيح مسلم (٢/٦٢٤) برقم (٩٠٥).

(٤) صحيح البخاري (١/٤٢٢) برقم (١٣٧٢)، وصحيح مسلم (١/٤١٠) برقم (٥٨٤).

وقد بين النبي ﷺ لأمته صورة هذا الابتلاء الذي يكون في القبر.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصبح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»^(١).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» [إبراهيم: ٢٧]. قال: «نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد ﷺ فذلك قول الله ﷻ: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» [إبراهيم: ٢٧].^(٢)

وشرع النبي ﷺ لأمته أن يستغفروا للميت، ويسألوا له الثبات، فعن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له الثبوت فإنه الآن يُسأل»^(٣).

وكان النبي ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر، وأمر بذلك أصحابه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «هذه الأمة

(١) صحيح البخاري (٤١٠/١) برقم (١٣٣٨)، وصحيح مسلم (٢٢٠١/٤) برقم (٢٨٧٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٢٠١/٤) برقم (٢٧٨١).

(٣) سنن أبي داود (٢١٥/٣) برقم (٣٢٢١) وصححه الحاكم.

تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه». ثم أقبل علينا بوجهه: فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر»^(١).

والقبر أول منزل من منازل الآخرة، عن عثمان رضي الله عنه أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفظع منه»^(٢) وفي القبر ضمة لا يسلم منها أحد.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن للمقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ»^(٣).

ليتصور كل واحد منا نفسه وقد حُمل على أكتاف الرجال، ووضِع في هذه الحفرة الضيقة المظلمة التي لا أنيس فيها، ولا جليس، ولا مال، ولا بنون، وأصبح القبر مسكنه، والتراب فراشه والدود أنيسه، في ذاك الموقع لا تنفع الأموال، ولا المناصب، ولا الشهادات قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْغَيْبِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (١٧) [سبا].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٠/٤) برقم (٢٨٦٧).

(٢) سنن الترمذي (٥٥٣ - ٥٥٤) برقم (٢٣٠٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٩٨/٦).

ويبقى واحد، يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله^(١). فينبغي للمؤمن أن يتدارك نفسه وأن يبادر بالتوبة النصوح؛ وأن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن يكون على استعداد للقاء ربه قال الشاعر:

يا من بدنياه اشتغل وغرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (٤/١٩٤) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم (٤/٢٢٧٣) رقم (٢٩٦٠).

الكلمة الثانية والستون

فضل الدعوة إلى الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر تعالى جماعة من الأنبياء ﷺ في سورة النساء، ثم قال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

فبيّن تعالى في هذه الآية وظيفتهم، وهي دعوة الناس إلى الله تعالى تبشيراً بالخير، وتحذيراً من الشر، قال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأنبياء: ٢٠٦] وداعياً إلى الله ﷻ بإذنه وسراجاً منيراً ﴿[الأحزاب: ٤٦]﴾ ثم أمره أن يبين لأُمَّته أن هذه وظيفته ووظيفة أتباعه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالرسل وأتباعهم مأمورون بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته، وإنذارهم عن الشرك به ومعصيته، وهذا مقام شريف، ومرتبة عالية لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ١٠٧].

ولما عرف الصالحون شرف هذه المهمة حرصوا عليها، فلم

يسيروا إليها مشياً؛ بل سعوا لها سعياً، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ آتِيعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس]

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعليّ لما أرسله لقتال اليهود في خيبر: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(٢)، فتأمل أخي هذا الفضل العظيم، فإنّ الداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته وهو نائم في فراشه، أو مشغول في مصلحته؛ بل إن ذلك يجري له بعد موته، لا ينتهي ذلك إلى يوم القيامة.

وبعد ما تقدّم أذكر نفسي وإخواني ببعض الوصايا التي أرجو أن تكون علامات يستنبطون بها في طريق الدعوة إلى الله.

أولاً: أوصي الداعية إلى الله بالإخلاص في دعوته، وقد أرشد تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: وفيه مسائل منها: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه^(٣)، قال الشافعي؛ وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء.

(١) صحيح مسلم (٤/١٨٧٢) برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٦٠) برقم (٢٦٧٤).

(٣) كتاب التوحيد (ص ١٦).

وهذا موسى عليه السلام لما أمره الله بدعوة فرعون سأل ربه أن يرزقه حسن الإبانة عما يريد، لا يُقال خطيباً أو فصيحاً كما أخبر سبحانه أنه قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه].

ثانياً: على الداعي إلى الله أن يتزود بالعلم الشرعي، كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤] فإنه بهذا تكون دعوته أقرب إلى دعوة النبي ﷺ، وحري بمن كان كذلك أن تستجاب دعوته. قال ابن القيم رحمه الله: وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي في هذا شرف العلم، أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء^(١). اهـ.

ثالثاً: دل قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [ص]. إن من توفر فيه هذان الأمران كانت دعوته واجبة القبول.

وهما: ألا يأخذ على دعوته أجراً سوى ما يرجوه من ربه، وأن يكون من المهتدين، وذلك يشمل هدايته في دعوته وهدايته في نفسه، وفي ضمن هذا التنبيه للداعي إلى الله كما يدعو الناس بقوله أن يدعوهم بعمله.

رابعاً: الصبر في سبيل الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

(١) التفسير القيم (ص ٣١٩).

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحاف: ٣٥].

ومن لوازم الصبر ألا يستطيل الطريق، ولا يستعجل النتائج. عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر، لنا ألا تدعو لنا، فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه. ولكنكم تستعجلون»^(١).

خامساً: يجب أن يعلم الدعاة وغيرهم أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، يجب أن تنتشر، وأن تبلغ إلى الناس جميعاً، في مشارق الأرض ومغاربها؛ لنقوم الحجة على العباد، ولكي تصل دعوة الرسول ﷺ إلى كل من بعث إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا].

وقد علم الدعاة المصلحون ورثة الرسل هذه الحقيقة، فقاموا وبينوها للناس امتثالاً لأمر ربهم حين قال: ﴿وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال سماحة الشيخ الإمام العلامة ابن باز رحمته الله: الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله، حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بِلَيْغٍ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

(١) صحيح البخاري (٢٨٥/٤) برقم (٦٩٤٣).

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وليس بخافٍ على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها؛ بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله؛ وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري (٤٩٣/٢) برقم (٣٤٦١).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله (١/٢٤٨، ٣٣٣) عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

الكلمة الثالثة والستون

تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أكبر الأمانات، وأعظم المسؤوليات تربية الأولاد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [التحريم].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أدبهم وعلموهم الخير، وعلى الأب أن يراعي في التربية الأمور التالية.

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة، وهي أول خطوة من خطوات التربية، عن أبي هريرة عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٢).

ثانياً: الإخلاص لله في التربية واحتساب الأجر على الله فيما يبذل فيها من جهد أو مال، لا ليقال إنه أحسن فيها، أو يشار إليه

(١) صحيح البخاري (٣/٣٦٠) برقم (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم (٢/١٠٨٦) برقم (١٤٦٦).

(٢) صحيح مسلم (٢/١٠٩٠) برقم (١٤٦٧).

بالبنان، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات»^(١).

فالتربية عبادة من أجل العبادات، لما يترتب عليها من منافع خاصة وعامة، ولما فيها من المشقة والعناء.

ثالثاً: تعويد الأولاد على العبادات وحثهم عليها بالرفق والحسنى منذ الصغر؛ ليألفوها ويحبوها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

وفي رواية: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان عنده صغير، أو مملوك، أو يتيم، فلم يأمره بالصلاة فإنه يُعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير، ويعزر الكبير تعزيراً بليغاً؛ لأنه عصى الله ورسوله^(٤). اهـ.

وقال ابن القيم رحمته الله: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسنته، فأضاعوهم صغاراً، فلم

(١) صحيح البخاري (١٣/١) برقم (١).

(٢) سنن أبي داود (١٣٣/١) برقم (٤٩٥).

(٣) سنن الترمذي (٥٩/٢) برقم (٤٠٧).

(٤) مطوية للشيخ عبد الملك القاسم في تربية الأبناء.

يتنفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً^(١). اهـ.

رابعاً: تجنيبهم المحرمات والمنكرات، وتحذيرهم منها، وغرس بغضها في قلوبهم لما تجره عليهم من ويلات في الدنيا والآخرة، وبعض الآباء لا يهتم بهذا، بحجة أنهم صغار وغير مكلفين، وهذا خلاف ما كان عليه المعلم الناصح ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ، كخ» ليطرحها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»^(٢).

خامساً: القدوة الحسنة، وهي من ضروريات التربية، فمعلوم أن الابن يعجب بأبيه ويحب تقليده والاقتراء به، فيجب على الآباء والأمهات والمربين أن لا يخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
سادساً: إبعادهم عن جلساء السوء، وتوجيههم إلى مصاحبة الأخيار والصالحين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٣).

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (ص ٨٠).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٢/١) برقم (١٤٩١).

(٣) سنن أبي داود (٢٥٩/٤) برقم (٤٨٣٣).

وبعض الآباء هدايا لا يعرف أين يذهب أبناؤه، ولا من يصاحبون، ولا كيف يقضون أوقاتهم، وربما جعل هذه المهمة خاصة بالأم، ومعلوم أن الأم لا تستطيع متابعتهم في أكثر الأحوال، وأعظم وأقبح من ذلك تولية الخدم والسائقين تربية الأولاد وتوجيههم فإلى الله المشتكى.

سابعاً: إلحاق الابن بحلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في المساجد.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

ثامناً: حماية الأبناء من وسائل الإعلام السيئة، فمن العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وتدفعهم إلى ارتكاب الجريمة والسير في مهاوي الرذيلة، ما يشاهدونه في القنوات الفضائية وعلى شاشة التلفاز، من أفلام خليعة، وتمثيلات هابطة، وكذلك أفلام الكرتون السيئة التي تحتوي على كثير من المخالفات الشرعية في العقيدة والسلوك، مع تساهل كثير من الناس بها، وغفلتهم عما تحتويه من الشرور العظيمة.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»^(٢).

ومن الغش إدخال هذه الأجهزة التي تفسد عليهم دينهم.

تاسعاً: تعليمهم أمور الإسلام والإيمان وغرس تعظيم الله في

(١) صحيح البخاري (٣/٣٤٦) برقم (٥٠٢٧).

(٢) صحيح البخاري (٤/٣٣١) برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم (١/١٢٥) برقم (١٤٢).

قلوبهم، وحبهم له، وتحبيب النبي ﷺ إليهم وبيان فضله وفضل الاقتداء به، وتعليمهم الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة كآداب اللباس، والمسجد، والطعام والشراب وأذكار الصباح والمساء، واحترام الكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، وتعويدهم على الكلام الحسن وتجنبهم الألفاظ القبيحة، والنظافة في البدن والثياب، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

عاشراً: تعويدهم على النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً وشغل أوقاتهم بما ينفعهم والإذن لهم في اللعب المباح في أوقات محددة حتى لا يملوا.

الحادي عشر: أن يكون الأب رقيقاً في تعامله معهم.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١)، وأن يعدل بينهم في كل شيء، في كلامه وسلامه، ونفقته، وعطاياه، وغيرها مما يحتاجون إليه حتى لا تقع الغيرة بينهم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(٢).

الثاني عشر: أن يعلم الأب أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وإنما عليه هداية الدلالة والإرشاد كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الفصل].

وعليه أن يكثر من الدعاء لهم بالصلاح والهداية، كما قال تعالى:

(١) صحيح مسلم (٢٠٠٤/٤) برقم (٢٥٩٤).

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم (١٢٤٣/٣) برقم (١٦٢٣).

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا
لِلْمُنْقِذِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) [الفرقان].

وليحذر من الدعاء عليهم. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ
قال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على
أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٢٣٠٢/٤) برقم (٣٠٠٩).

الكلمة الرابعة والستون

خطورة الاستهزاء بالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي تخرج فاعلها من دائرة الإسلام وتوجب له الخلود في نار جهنم الاستهزاء بالله أو رسوله أو كتابه أو المؤمنين، وحيث إن الموضوع واسع المجال لمن أراد أن يتكلم فيه، رأيت إيجاز القول في العناصر التالية:

- ١ - تعريف الاستهزاء وذكر أمثلة لذلك.
 - ٢ - حكم الاستهزاء وبيان الأدلة على كفر المستهزئين وأقوال أهل العلم في ذلك.
 - ٣ - حكم توبة المستهزئ وهل تُقبل أم لا؟
 - ٤ - صور من الاستهزاء في وقتنا المعاصر.
- أما تعريفه: فإن الاستهزاء لغة: مصدر من قولهم استهزأ يستهزئ، وهو مأخوذ من مادة (هـ - ز - أ) التي تدل على السخرية، أو على مزح في خفية، أو على السخرية واللعب^(١). اهـ.
- قال بعض أهل العلم: ينقسم الاستهزاء إلى قسمين - الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا

(١) ابن فارس في المقاييس (٥٢/٦)، مفردات الراغب (ص ٥٤٠).

هؤلاء، أرغب بطوناً، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، وقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس. وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدين، من باب السخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى، إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية^(١).

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقها حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات، وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو هذا وهابي، أو مذهب خامس أو الدين ليس في الشعر استهزاء بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله واستهزاء بالعقيدة الصحيحة^(٢). اهـ.

٢ - الاستهزاء غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له مثل الغمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

أما حكم الاستهزاء فإنه كفر، وهو من نواقض الإسلام العشرة

(١) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٧) للشيخ الفوزان.

(٣) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

كما ذكر ذلك أهل العلم، وهو من أعظم صفات المنافقين والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُنَالُونَ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ الدِّينِ آمَنُوا بِضَحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۖ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۖ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ۖ﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَمَا يُبَيِّنُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وسبب نزول هذه الآية عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة: دخل حديث بعضهم في بعض، أن رجلاً كان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب أسناً، ولا أجبن عند اللقاء» وهو يعني بقوله هذا: النبي ﷺ وأصحابه القراء، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: فكأنني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجله، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَمَا يُبَيِّنُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] ما يلتفت إليه وما يزيد عليه^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه^(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: ولو قال وهو يتعاطى قدح الخمر، أو

(١) تفسير ابن جرير (٦/٤٠٩). (٢) الفتاوى (٧/٢٧٣).

يقدم على الزنا: بسم الله استخفافاً بالله تعالى كفر^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في كتابه: التوحيد: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وفيه مسائل: الأولى وهي العظيمة أن من هزل بهذا كافر^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً، لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً^(٣). اهـ.

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله تعالى: «الذي يبغض اللحية ويقول وساخة، هل هو مرتد؟»

فأجاب: إن كان يعلم أنه ثابت عن الرسول الله ﷺ فهذا استهزاء بما جاء به الرسول ﷺ فحريٌّ أن يحكم عليه بذلك^(٤).

وإن من الردة عن دين الله ما يتلفظ به بعض أبناء المسلمين من كلمات كفرية بخروجون بها من دين الإسلام وهم لا يشعرون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها^(٥) يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(٦).

(١) روضة الطالبين (١٠/٦٧). (٢) (ص ٨٥).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١١/١٩٥).

(٥) أي ما يتفكر هل هي خير أو شر؟

(٦) صحيح البخاري (٤/١٨٧) برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم (٤/٢٢٩٠) برقم (٢٩٨٨).

أما عن توبة المستهزئ، فقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في كتابه: القول المفيد في شرح كتاب التوحيد: وقد اختلف أهل العلم فيمن سب الله أو رسوله أو كتابه، هل تقبل توبته أم لا؟ على قولين:

الأول: أنها لا تقبل توبته، بل يقتل كافراً ولا يُصلى عليه ولا يدعى له بالرحمة، وهو المشهور عند الحنابلة.

الثانية: أنها تُقبل توبته إذا علمنا صدقه وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم^(١).

ومن صور الاستهزاء التي نرى ونسمع وللأسف في هذه الأيام، هذه المقالات السيئة والرسوم الساخرة، التي تكتب في الجرائد والمجلات، ويزعمون أنها للتسلية وفيها الكفر والردة عن الدين.

أحدهم رسم ديكاً تتبعه أربع دجاجات يقصد السخرية من تعدد الزوجات، وآخر كتب مقالاً تهجم فيه على الحجاب، وزعم أنه تخلف ورجعية، وآخر سول له الشيطان سوء عمله فجعل القرآن شعراً يتغنى به على أنغام الموسيقى. نسأل الله السلامة والعافية.

وينبغي أن يعلم أنه يجب الإنكار على هؤلاء المستهزئين وتنبههم على عظيم جرمهم وخطورته، فإن لم يستجيبوا فلا يجوز الجلوس معهم في مجلس واحد، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْكَ إِذَا مَثَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ [البقرة].

قوله: «واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل» فيه إشارة إلى تعويض المؤمن عما يفوته من شرف الدنيا المنهي عن الحرص عليه، فيرتفع ذكره ويشرف قدره بقيام الليل، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٢١﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَفُونَ ﴿١٢٣﴾ وَيَأْتَسَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الذاريات].

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»^(١).

وقوله: وعزه استغناؤه عن الناس، العزة مطلب لكل نفس أبية، وإن من أعظم أسباب نيل العزة التعلق بمن العزة بيده سبحانه، وترك التعلق بمن دونه ممن لا يزيد التعلق بهم إلا ذلاً وهواناً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿يَشِيرُ الْمُتَنَفِّعِينَ يَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٥﴾ الَّذِينَ يَنْخَلِطُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُوتُ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء].

(١) سنن الترمذي (٥٥٣/٥) برقم (٣٥٤٩) قال أبو عيسى الترمذي: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٧٨) برقم (٣٨٠١).

الكلمة الخامسة والستون

وقفة مع حديث شريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ: «فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك مجزي به. ثم قال: يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»^(١).

هذا الحديث الشريف اشتمل على وصايا عظيمة وجمل نافعة، من هذا الملك الكريم جبريل عليه السلام، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر.

فقوله: عش ما شئت: أي مهما طال عمرك في هذه الحياة فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِنَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [ال عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [النمل].

(١) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٦٠، ٣٦١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٥): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير. (١/ ٧٦) برقم (٧٣).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استغنوا عن الناس ولو بشووص السواك»^(٢).

قال الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب
وقال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم^(٣).

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل، ويقول:
من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد^(٤).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٤٥٥/١) رقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم (٧٢٩/٢) برقم (١٠٥٣).

(٢) الطبراني في الكبير (٤٤٤/١١) برقم (١٢٢٥٧) وقال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٦٣٦/١) رواه البزار والطبراني بإسناد جيد.

(٣) إحياء علوم الدين (٢٣٩/٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٢٣٩/٣).

قال الشاعر:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
وقال آخر:

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الموت ما الدار
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ^(١)، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال فالآن ^(٢).

فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال: قال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثم لأرينكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

ومن فوائد قوله: عش ما شئت فإنك ميت: أن يعلم المؤمن أن الموت قد يأتيه بغتة وهو في غفلة عنه، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ١٠١﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ [المنافقون].

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد للقاء ربه ولا يغتر بالحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٠٣﴾ [العنكبوت].

(١) أي ضربه والمفهوم من الحديث أنه ضربه على عينه فأخرجها.

(٢) صحيح البخاري (٤١١/١) برقم (١٣٣٩).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَفَرَّقُوا أَلْحِيُوهُ الدُّنْيَا وَلَا يَفَرَّقَكُمُ بِاللَّهِ الْقُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقوله: «وأحب من أحببت فإنك مفارقه» أي أحب من شئت من زوجة، وأولاد، ومال ومنصب، وجاه، وغيرها، من متاع الدنيا فإنك عما قريب ستفارقها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»^(١).

ومن فوائد الجملة السابقة الاستعداد لفراق الأحبة حتى إذا وقع يكون المؤمن قد تأهب لذلك فيخف وقعه عليه.

ومنها: أن يهتم المؤمن للرفيق الذي لا يفارقه في الدنيا والآخرة، وهو عمله الصالح.

قوله: واعمل ما شئت فإنك مجزي به. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُحْزِ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

وقد ذكر الله بذلك فأعظم الذكر، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنفَعُوا

(١) صحيح البخاري (٤/١٩٤) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم (٤/٢٢٧٣).

الكلمة السادسة والستون

زكاة الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العبادات التي أوجبها الله على المسلمين في هذا الشهر المبارك زكاة الفطر وقد شرعها الله للصائمين تطهيراً للنفس من أدران الشح، وتطهيراً للصائم مما قد يؤثر فيه، وينقص ثوابه من اللغو والرفث، ومواساة للفقراء والمساكين، وإظهاراً لشكر نعمة الله تعالى على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائمين من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين^(١). وتجب زكاة الفطر على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو عبداً، إذا ملك المسلم صاعاً زائداً عن حاجته وأهل بيته في يوم العيد وليلته.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد، والحر والذكر، والأنثى، والصغير والكبير، من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة^(٢). وإن أخرجها عن الحمل تطوعاً فلا بأس بذلك.

(١) سنن أبي داود (١١١/٢) برقم (١٦٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٦/١) برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم (٦٧٧/٢) برقم (٩٨٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نعطيها في زمان النبي ﷺ صاعاً من طعام، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب^(١)، وفي رواية عنه: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر^(٢).

وينبغي للمسلم أن يخرج أطيب هذه الأصناف وأنفعها للفقراء والمساكين فلا يخرج الرديء.

قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

وذهب بعض أهل العلم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله إلى أنه يجزئ عن المسلم أن يخرج زكاة الفطر من غير الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري، ما دامت هذه الأصناف من جنس ما يقتات به أهل البلد مثل الأرز وغيره^(٣).

والمراد بالصاع الوارد في زكاة الفطر أربعة أمداد، والمدُّ، أي: ملء كفي الرجل المتوسط اليدين من البرّ الجيد ونحوه^(٤).

ولإخراج زكاة الفطر وقتان.

الأول: وقت يبدأ من غروب الشمس ليلة العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد.

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر....

(١) صحيح البخاري (٤٦٧/١) برقم (١٥٠٨)، وصحيح مسلم (٦٧٨/٢) برقم (٩٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٧/١) برقم (١٥١٠).

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٨/٢٥).

(٤) فتاوى اللجنة (٣٧١/٩) برقم (١٢٥٧٢).

الحديث وفيه قال: وأمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة^(١).

الثاني: وقت إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو بيومين، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: إن أخرها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت، وهو يأثم بذلك.

وتعطى هذه الزكاة للفقراء والمساكين، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما طعمة للمساكين، ويجوز أن يعطي الجماعة أو أهل بيت زكاتهم لمسكين واحد، وأن تقسم صدقة الواحد على أكثر من مسكين للحاجة لذلك.

ولا يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً، لنص النبي ﷺ على أنواع الأطعمة مع وجود قيمتها، فلو كانت القيمة مجزئة لبين ذلك النبي ﷺ، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يعلم أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ أخرج زكاة الفطر نقوداً مع إمكان ذلك في زمانهم، وأيضاً إخراج القيمة يؤدِّي إلى خفاء هذه الشعيرة العظيمة وجهل الناس بأحكامها.

(١) صحيح البخاري (٤٦٦/١) برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم (٦٧٩/٢) برقم (٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٨/١) برقم (١٥١١).

(٣) سنن أبي داود (١١١/٢) برقم (١٦٠٩).

والأصل أن الشخص يدفع زكاة فطره لفقراء البلد الذي يدركه عيد الفطر وهو فيه، ويجوز نقلها إلى بلد آخر فيه فقراء أشد من البلد الذي فيه المزكي، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة^(١).

أما كون الشخص يوكل أهله أن يخرجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر فليس من هذا الباب، وهو جائز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٣٦٩/٩) برقم (٦٣٦٤).

الكلمة السابعة والستون

سورة العصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

أقسم سبحانه بالعصر وهو الزمن كله، والله ﷻ أن يقسم بما يشاء
من خلقه، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله تعالى. وإقسامه ﷻ
بالعصر لما يجري فيه من الحوادث والمتغيرات، ولأنه مستودع أعمال
العباد خيرا وشرا، وأقسم ﷻ ليؤكد للعباد بأن كل إنسان في خيبة
وخسارة مهما كثر ماله وولده. وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه
الأوصاف الأربعة.

أولاً: الإيمان وهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل
بالجوارح.

ثانياً: العمل الصالح: وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن
يكون فاعله الله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً، وعطف العمل الصالح على
الإيمان وإن كان داخلاً فيه من أجل الاهتمام به، والتأكيد على أن
تصديق القلب لا ينفع بدون عمل.

ثالثاً: التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والدعوة إلى الله على بصيرة وحكمة، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل فلا يكفي أن الإنسان يقتصر على إصلاح نفسه، بل لابد أن يعمل على إصلاح غيره، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يزعم بعض السفهاء، بل إن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون الخير والنجاة للناس، وإنقاذهم من عذاب الله، وبهذه الخصلة ثبتت لهذه الأمة الخيرية التي فضلت بها على الأمم. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

رابعاً: التواصي بالصبر، لما كان الداعي إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يلحقه أذى الناس، أمر تعالى بالصبر على أذاهم، وتحمل ما يناله من الأذى؛ وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿يَبْنِي أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لَتُكْلَفُوا فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَلَئِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَئِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

قال الشافعي رحمه الله: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)^(١).

وهذه السورة مع وجازة ألفاظها فقد جمعت أسباب السعادة كلها، فكفى بها حجة على الخلق، وقد اشتملت على فوائد كثيرة أذكر منها:

أولاً: إقسام الله تعالى بشيء يدل على عظمته وأهميته، ففي هذا

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٧).

القسم ينبه جل وعلا الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم سبحانه بإجزاء الوقت في مواضع أخرى، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى].

وهو مع ذلك من أفضل نعم الله على عباده.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

ثانياً: القسم من الله تعالى يدل على عظمة المقسم عليه وهو هذه الخصال الأربع التي لا ينال الفوز والفلاح إلا بها.

ثالثاً: فضل الإيمان ومنزلته العظيمة، حيث بدأ به وجعله أول واجب على الخلق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

رابعاً: أن الإيمان بالقلب لا يكفي؛ بل لابد من العمل الصالح، وفيه رد على من يقول: إن الإيمان بالقلب، وهو مع ذلك تارك للفرائض ومرتكب للمحرمات، معتد على حدود الله تعالى.

خامساً: أن العمل لا يقبل إلا أن يكون صالحاً ولا يكون صالحاً حتى يكون صاحبه مخلصاً لله فيه، وموافقاً لهدي النبي ﷺ.

(١) صحيح البخاري (١٧٥/٤) برقم (٦٤١٢).

(٢) صحيح مسلم (٧٤/١) برقم (٥٤).

سادساً: أن التواصي يكون بالحق لا بغيره، والحق هنا هو الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، ومجانبة ما يناقضهما.

سابعاً: دل الاستثناء على أن أهل هذه الصفات هم قليل، وقد قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِفَةِ لَتَبِغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

ثامناً: فضل الصبر، حيث جعله سبحانه أحد الخصال التي لا ينال الفوز إلا بها، وفي هذا الحث على الدعوة إلى الله تعالى مهما لحق الداعي من المشقة والأذى، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والستون

الطلاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام كثرة حالات الطلاق، ففي إحصائية لمعدل حالات الطلاق في مدينة الرياض فقط وصل العدد إلى اثنين وثلاثين وأربعمئة حالة شهرياً، وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة الأمر، إن لم يتدارك.

ولذلك وجب على العلماء والدعاة وطلبة العلم تحذير الناس من هذا الأمر، وبيان خطورته، لما يترتب عليه من مفسد من تشتت الأسر، وضياع الأولاد، وتقطع وشائج الأصدقاء والأرحام وغير ذلك، وقد رغب الشارع في الإبقاء على الحياة الزوجية، ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بالمعروف، ولو مع الكراهة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأمر النبي ﷺ بالصبر على النساء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً»^(١).

(١) صحيح البخاري (٣/٣٨٣) برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم (٢/١٠٩١) برقم (١٤٦٨).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت» قال الأعمش: أراه قال: «فيلتزمه»^(١).

ودور المرأة في حدوث حالات الطلاق أكبر من الرجل، فهي تتحمل ما نسبته ٦٥٪ من حالات الطلاق تقريباً، وذلك لعدم الصبر والتحمل والاحتساب عند غالبيتهم، فيقارن أنفسهن بمن هن أحسن منهن حالاً في المعيشة، فيدعوهن ذلك إلى التمرد على أزواجهن، سواء باختيارهن أو بتحريض من الآخرين كالفضائيات، أو بعض وسائل الإعلام المختلفة، ولجوء هذه الوسائل إلى إفهام الزوجة بين الفينة والأخرى إلى أن الزوج متسلط وظالم، وقد سلبها حقوقها وحريتها، ولم يجعلها تواكب العصر، ومطالبتهم لمن هذه حالها بالتمرد على زوجها ومجتمعها، ودينها، بأساليب خبيثة، فبدأ بعدم الاستجابة لمطالبه التي أوجبها الله عليها، وتضجره وتشغله بالمشاكل حتى يضيق بها ذرعاً، ويلجأ إلى التخلص من هذه المشاكل بالطلاق.

أما الأسباب الأخرى التي عرفت بعد السؤال والتحري فهي كالآتي:

أولاً: أن بعض حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج لعدم المعرفة بين الزوجين من قبل، وذلك لعدم الرؤية الشرعية، أو لإخفاء العمر أو إخفاء بعض العيوب، أو التسرع في اتخاذ قرار الطلاق وعدم الثروي فيه، أو لعدم سؤال أحدهما عن الآخر، فعندما تتكشف الأمور

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٦٧) برقم (٢٨١٣).

يلجأ أحدهما إلى الانفصال، ولذلك شرع التحري لكل من الزوجين والسؤال عن خلقه ودينه.

ثانياً: أن يُصاب الزوجان أو أحدهما بالسحر أو بالعين فيصير أحدهما لا يحتمل الآخر ولا يطيق النظر إليه، وفي هذه الحالة ينبغي أن يلجأ كل منهما إلى الله تعالى بإخلاص الدعاء، والمحافظة على الرقى الشرعية والأدعية النبوية.

ثالثاً: أن بعض الشباب المتزوجين في مقتبل العمر، لا يحسون بالمسؤولية لأنهم لم يتحملوا تكاليف الزواج، ولذلك يتسرعون في اتخاذ قرار الطلاق، ولذلك ينبغي على ولي المرأة أن يتحرى عن حال الخاطب قبل الزواج.

رابعاً: تخلي بعض الأزواج عن مسؤولية أولادهم، ورمي الحمل على الزوجات، أو الغياب المتكرر عن المنزل، أو السهر إلى أوقات متأخرة من الليل، أو الانحراف، أو عدم الإنفاق أو الاضطهاد، فتضطر الزوجة إلى طلب الطلاق أو العكس عندما يكون ذلك من الزوجة.

خامساً: تدخلات الوالدين أو الأقارب في مشاكل الزوجين، فيفسدون حياتهما بحسن أو بسوء نية.

سادساً: تحميل الزوجة لزوجها فوق طاقته، وعدم قناعتها بالنفقة والسكن، أو مطالبتها بالتغاضي عن مخالفتها، كالخروج من بيته بدون إذنه، أو عدم القيام بواجباتها الشرعية نحوه.

سابعاً: اضطراب بعض المتزوجين بأكثر من زوجة إلى الطلاق لطلب الزوجة الأولى أو أهلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فبعض وسائل الإعلام تُحرض الزوجة على ترك بيتها عندما يلجأ زوجها إلى

التعدد، وتعتبر أن ذلك خيانة زوجية وظلم لها ولأولادها حتى لو كان الزوج عادلاً.

ثامناً: استيلاء بعض الأزواج على رواتب زوجاتهم العاملات، فيؤدّي ذلك إلى إثارة المشاكل، وبالتالي إلى الطلاق، وهذا لا يجوز.

عن أبي جمرة الرقاشي عن عمه عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «لا يحل مال امرئٍ إلا بطيب نفس منه»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الزوج إذا اضطر إلى الطلاق فعليه أن يراعي الأمور التالية.

أولاً: أن يستخير الله تعالى، ويستشير الصالحين الناصحين من أقاربه وإخوانه، ولا يقدم على الطلاق إلا لأسباب واضحة توجب ذلك.

ثانياً: أن يكون الطلاق في حال طهر لم يجامعها فيه أو حاملاً.
ثالثاً: عليه ألا يزيد في الطلاق على واحدة اتباعاً للسنة.
رابعاً: ألا تخرج المرأة من بيتها، ولا يخرجها زوجها ما دامت في العدة.

فربما كان ذلك سبباً في صلاح حالهما، ومراجعة أحدهما للآخر كما أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» [الطلاق: ١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٧٢/٥).

الكلمة التاسعة والستون

لذة العبادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

فإن من منح الله لعباده، منحة التلذذ بالعبادة، وأعني بها ما يجده
المسلم من راحة النفس وسعادة القلب، وانشراح الصدر عند القيام
بعبادة من العبادات، وهذه اللذة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة
الإيمان وضعفه.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

ويجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً إلى تحصيل لذة العبادة،
فالنبي ﷺ كان يقول لبلال: «قم فأرحنا بالصلاة»^(١) لما يجده فيها من
اللذة والسعادة القلبية، وإطالته ﷺ لصلاة الليل دليل على ما يجده في
الصلاة من الأنس والسرور بمناجاة ربه، وتصديق ذلك في كتاب الله،
قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة].

وبكى معاذ بن جبل عند موته فقيل له في ذلك قال: إنما أبكي على
ظماً الهواجر وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر.

(١) سنن أبي داود (٢٩٧/٤) برقم (٤٩٨٦).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة^(١).

ويقول أحد السلف: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا^(٢).

وبين النبي ﷺ أن للطاعة حلاوة يجدها المؤمن.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٣).

وفي رواية: «من كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع يهودياً أو نصرانياً»^(٤).

وإن لتحصيل لذة العبادة أسباباً منها:

أولاً: مجاهدة النفس على طاعة الله تعالى حتى تألفها وتعتادها، وقد تنفر النفس في بداية طريق المجاهدة، ولكن إذا شمر صاحبها عن ساعد الجد، وكانت عنده تلك الإرادة والعزيمة القوية، فسينالها بإذن الله، فالأمر يتطلب مصابرة وقوة تحمل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤/٤) برقم (٦٩٤١)، وصحيح مسلم (٦٦/١) برقم (٤٣).

(٤) صحيح مسلم (٦٧/١) برقم (٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ ﴿٣٣﴾ [طه].

عن فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»^(١).

قال أحد السلف: «ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك».

وقال ابن رجب: (واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجد جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها)^(٢).

قال الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

ثانياً: البعد عن الذنوب صغيرها وكبيرها، فإن المعاصي حجاب تمنع من الشعور بلذة العبادة لما يورثه من قسوة وغلظة وجفاء، قال بعض السلف: (ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب).

قال ابن القيم رحمه الله: (وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين، فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية، وما توقعه من الخوف والوحشة، لعلم سوء حاله وعظيم غبنه، إذا باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف والضرر الداعي له)^(٣). اهـ.

(١) قطعة من حديث في سنن الترمذي (١٦٥/٤) برقم (١٦٢١).

(٢) نقلاً عن كتاب لذة العبادة (ص ١٢).

(٣) الداء والدواء (ص ١٠٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً في صدرك فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة وانشراح صدر وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول)^(١).

قال سفيان الثوري: (حرمت قيام الليل بسبب ذنب أذنبته)^(٢).

وسئل وهيب بن الورد ف قيل له: (متى يفقد العبد لذة العبادة؟ إذا وقع في المعصية، أو إذا فرغ منها؟ قال: يفقد لذة العبادة إذا هم بالمعصية).

ثالثاً: ترك فضول الطعام والشراب والكلام والنظر، فيكفي المسلم أن يقتصر في طعامه وشرابه على ما يعينه على أداء عبادته وعمله، فلا يسرف في الأكل قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٣).

قال أحد السلف: راحة القلب في قلة الآثام، وراحة البطن في قلة الطعام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

وأختم بكلام ابن القيم رحمه الله قال: (ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٧﴾ مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص ٣١٢).

(٢) لذة العبادة (ص ١٨).

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم، وقد أثنى على خليله إبراهيم عليه السلام بسلامة قلبه، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات].

وقال حاكياً عنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد^(١).

رابعاً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادة التي يقوم بها من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة إنما هي طاعة لله وابتغاء مرضاته، وأن هذه العبادة يحبها الله ويرضى عنه بها وهي التي تقر به من ربه سبحانه.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي

(١) الداء والدواء (ص ١٦٥ - ١٦٦).

عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

خامساً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادات لا تضيع ولا تفنى كما تفنى كنوز الدنيا وأموالها ومناصبها ولذاتها بل يجدها العبد أحوج ما يكون إليها، بل إنه ليجد ثمراتها في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مما هو أجل وأعظم؛ فمن استحضر ذلك لم يبال بما فاتته من الدنيا وسُرَّ بهذه العبادات ووجد حلاوتها ولذتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه]. روى مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب أن النبي ﷺ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»^(٢) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة»^(٣) الحديث.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ١٢٤٧) برقم (٦٥٠٢).

(٢) (ص ٤٨) برقم (٣٤).

(٣) صحيح البخاري (ص ٣٦١) برقم (١٨٩٧)، وصحيح مسلم (ص ٣٩٦) برقم (١٠٢٧).

الكلمة السبعون

أسباب الثبات على الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جداً، لانتشار الفتن، وقلة الناصر، وغربة الدين، ومن تلك الأسباب:

أولاً: الإقبال على القرآن العظيم حفظاً وتلاوة وعملاً، فهو جبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى، أخبر تعالى أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا القرآن مفرقاً هي التثبيت، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان].

ثانياً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُغْنِي اللَّهُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِمَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم].

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء].

وكان النبي ﷺ يداوم على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه.

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود].

فالآيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه مثل قصة إبراهيم، وموسى، ومؤمن آل فرعون وغيرها.

رابعاً: الدعاء، فإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. و«قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء»^(١).

كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك»^(٢).

خامساً: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال] فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادساً: الدعوة إلى الله ﷻ، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف].

(١) صحيح مسلم (٢٠٤٥/٤) برقم (٢٦٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٥١/٦).

والعبد إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدىً وثباتاً على الحق، كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿١٥﴾ [الرحمن].

سابعاً: الرفقة الصالحة: فمصاحبة العلماء والصالحين والدعاة والمؤمنين، والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وجاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً أنه سأل عن رجل عالم فقال: من يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء^(١).

قال ابن القيم رحمه الله عن دور شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التثبيت في محنة السجن: (وكنّا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضائق بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة و يقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها)^(٢) اهـ.

ثامناً: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام، وهذه طريقة النبي ﷺ في تثبيت أصحابه وهم يعذبون على الإسلام في أول الدعوة،

(١) صحيح البخاري (٤٩٧/٢) برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم (٢١١٨/٤) برقم (٢٧٦٦).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

عن خباب بن الأرت أنه شكى إلى النبي ﷺ ما يجده من التعذيب وطلب منه الدعاء، فقال النبي ﷺ: «والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

تاسعاً: الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً ولا أوسع من الصبر»^(٢).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم، قال: أجر خمسين منكم»^(٣).

عاشراً: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتأمل المؤمن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران].

(١) صحيح البخاري (٢٨٥/٤) برقم (٦٩٤٣).

(٢) صحيح البخاري (١٨٦/٤) برقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم (٧٢٩/٢) برقم (١٠٥٣).

(٣) سنن أبي داود (١٢٣/٤) برقم (٤٣٤١).

تهون عليه الصعاب، ويزهد في الدنيا، وتشتاق نفسه إلى الدار الآخرة والدرجات العلى.

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه بالجنة ليثبتهم على التمسك بالدين والصبر عليه، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعقار وأمه، وهم يؤذون في سبيل الله، فقال: «صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مستدرک الحاکم (٤٣٢/٣) وصححه الألباني في فقه السيرة (ص ١٠٣).

(٢) انظر رسالة محمد المنجد «أسباب الثبات على الدين».

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة

(١٥٠) درساً يومياً

للدعاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الجزء الثالث

يدعونه ويسألونه ويستغفرونه، والغافلون يغطون في نوم عميق.

يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الحادية والسبعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فيقول الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾﴾ قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَافْضَرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْنِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء»^(١).

فأما إذا كان القصد بهن العفاف، وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها ما

(١) صحيح البخاري (٣/٣٦١) برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم (٤/٢٠٩٨) برقم (٢٧٤١).

رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(١).

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد ﷺ، ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»^(٢).

وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة للنفقة في القربات وصلة الأرحام، والقربات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح شرعاً^(٣). اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِئَةِ﴾ قال ابن جرير رحمته الله بعدما نقل اختلاف المفسرين في المراد به: والصواب في ذلك أن يقال هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس، وقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال ابن جرير: «المعلمة بالشيئات الحسان الرائعة حسناً لمن رآها»^(٤).

وتربية الخيل أنواع، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الخيول ثلاثة، فهي لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر، فأما التي هي له أجر، فالرجل يتخذها في سبيل الله ويعدها له، فلا تُغَيَّب شيئاً في بطونها إلا كتب الله له أجراً، ولو رعاها

(١) صحيح مسلم (١٠٩٠/٢) برقم (١٤٦٧).

(٢) سنن أبي داود (٢٢٠/٢) برقم (٢٠٥٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٥١). (٤) تفسير ابن جرير (٣/٢٠١).

في مرج ما أكلت من شيء إلا كتب الله له بها أجراً، ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تُغَيِّبُها في بطونها أجر - حتى ذكر الأجر في أحوالها وأرواثها - ولو استنت شرفاً أو شرفين كُتِبَ له بكل خطوة تخطوها أجر، وأما الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تِكْراً وتَجْملًا، ولا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسرهما ويسرهما، وأما الذي عليه وزر فالذي يتخذها أشراً وبطراً وبذخاً ورياء الناس، فذاك الذي هي عليه وزر^(١).

وقوله: ﴿وَالْأَنْفَكِرَ وَالْحَرْثَ﴾ الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والحرث الأرض المتخذة للغراس والزراعة، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الزائلة، ﴿وَاللَّهُ عِنْدُ حُسْنِ الْمَتَابِ﴾، أي المرجع والشواب، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَزَيِّنُكُمْ﴾ أي قل يا محمد للناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين، وسائر ما ذكرنا، أخبركم وأعلمكم بخير وأفضل لكم من ذلك كله ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥]، أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي ماكثين فيها أبد الآباد، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، أي من الدنس والخبث والأذى، والحيض والنفاس، وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْمَكَاوِدِ﴾، أي يعطي كل ما يستحقه من العطاء.

(١) صحيح البخاري (٣٣١/٢) برقم (٢٨٦٠)، وصحيح مسلم (٦٨٣/٢) برقم (٩٨٧).

ثم إن الله تعالى بعد ذكره الموازنة بين متع الدنيا ونعيم الآخرة، ذكر صفات المتقين الذين آثروا نعيم الآخرة الباقي على متع الدنيا الزائلة، فاسمع لصفاتهم، وتمثلها في نفسك، عسى أن تكون منهم فتفوز فوزاً عظيماً.

فأولها: الإيمان بالله وبرسوله وكتبه، المتضمن الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه للمؤمنين من الفضل العظيم، وما أعد للكافرين الغافلين من العقاب الأليم.

ثانيها: اعترافهم بذنوبهم، وعلمهم أنه لا يغفرها إلا الله ربهم.

ثالثها: إيمانهم بالنار وعذابها، وسؤالهم ربهم أن يقيهم منها.

رابعها: صبرهم عن شهوات الدنيا وملذاتها، إيماناً منهم بأن الله سيعوضهم خيراً منها، والصبر من أفضل خصال الإيمان، ولا يتم إلا باستكمال أركانه الثلاثة، وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله.

خامسها: الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والصديقون مع الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

سادسها: قنوتهم لله رب العالمين، وذلك يقتضي محبتهم له، وانكسارهم بين يديه، والتجاءهم إليه رغبة ورهبة وخشوعاً.

سابعها: إنفاقهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، لا رياءً وسمعة.

ثامنها: طلبهم المغفرة من ربهم في وقت الأسحار، حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له^(١)، وهم

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري، (ص ٢٢٦) برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم (ص ٢٩٨) برقم (٧٥٨).

الكلمة الثانية والسبعون

نصائح عامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات].

روى مسلم في صحيحه عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(١).

وهذه بعض النصائح التي أوصي بها نفسي وإخوتي.

الأولى: المحافظة على هذه الصلاة في بيوت الله ﷻ. قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة].

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»^(٢).

(١) (٧٤/١) برقم (٥٥).

(٢) (٢٤٠/٢) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٥٠٣/١) برقم (١٣٥٨).

وهذه الصلاة هي الفارق بين المسلم، والكافر، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بين الرجل، وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١)، وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(٢)، وقال عمر رضي الله عنه يوم أن طعن، وهو يعالج سكرات الموت، وجرحه يثعب دماً: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة».

الثانية: أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [المعارج]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال] وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة»^(٣)، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور^(٤). اهـ، وقال بعضهم: عمل كل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه معصية، سواء كان ذلك في عبادة أو معاملة، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، وحفظ الجوارح أمانة، والعمل أمانة لا بد للمسلم أن يؤديه بكل إخلاص وإتقان حتى تبرأ ذمته بذلك، والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنوح، وهود، وصالح ولوط، أخبر الله عنهم في سورة الشعراء، أن كل رسول من هؤلاء، قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء]، ونبينا

(١) صحيح مسلم (٨٨/١) برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجه (٩٠٠/٢) برقم (٢٦٩٧).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٣٥٣/٩) رقم (٩٧٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٠٢/١) برقم (٢٥٧٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٣/١٤).

محمد ﷺ كان في قومه قبل الرسالة، وبعدها مشهوراً بأنه الأمين.

الثالثة: اجتناب المعاصي، والذنوب، فهي أساس كل شر وبلاء، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم] وما الذي أخرج أبونا من الجنة دار النعيم، واللذة والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

قال الشاعر:

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت ربك حين أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنب واحد
روى الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال:
«إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود،
وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ
بها صاحبها تهلكه»^(١).

وقال الأوزاعي رحمه الله: «لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر
إلى عظمة من عصيت».

قال الشاعر:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء].

(١) مسند الإمام أحمد (٣٣١/٥) وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٢٧٩/٣): ورواته محتج بهم في الصحيح.

روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»^(١)، وقال ابن المبارك: «حسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وإن تحتل ما يكون من الناس»^(٢)، وقال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن»^(٣).

وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً»^(٤)، ولقد كان النبي ﷺ من أعظم الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته: لم تركته»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (٣٦٢/٤) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) (٤٦٦/٣) برقم (١١٦٢).

(٥) سنن الترمذي (٣٦٨/٤) برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

الكلمة الثالثة والسبعون

مفاسد العنوسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت في المجتمع في هذه الأيام كثرة حالات العنوسة، ففي إحصائية قديمة لإحدى جامعات المملكة اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي لم يتزوجن، وهن طالبات في المرحلة الجامعية يصل إلى خمسة آلاف طالبة، وفي إحصائية أخرى لإحدى الوزارات اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي بلغن سن الزواج ولم يتزوجن يصل إلى مليون ونصف امرأة. وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة هذا الأمر، وكم أحدثت هذه العنوسة من مفاسد، وأمراض نفسية، ومشاكل أسرية، ولقد حث الشارع على النكاح، ورغب فيه، ولو مع قلة ذات اليد، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور].

وروى البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

(١) صحيح البخاري (٣/٣٥٥) برقم (٥٠٦٦)، وصحيح مسلم (٢/١٠١٩) برقم (١٤٠٠).

وهذه العنوسة لها أسباب، أذكر بعضاً منها لعل ذلك يساعد على إيجاد حل لهذه المشكلة:

أولاً: الانشغال بالدراسة، والاعتذار بها عن الزواج حتى يكبر سن الفتاة، ويرغب عنها الكثير من الخطاب، على أنه يمكن في كثير من الأحوال الجمع بينهما كما هو مشاهد، ولو فرضنا تعذر الجمع، فإن الزواج أولى من الانشغال بالدراسة.

ثانياً: المغالاة في المهور، وما يتبعها من النفقات. قال أهل العلم: «المشروع أن يكون قليلاً ميسراً». روى الحاكم في المستدرك من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«خير الصداق أيسره»^(١)، وقال عمر رضي الله عنه: «لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا بنتاً من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهماً»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فمن دعت نفسه على أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة، فهو جاهل أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه، فلا ينبغي له أن يصدق المرأة ما لا يقدر على وفائه من غير مشقة^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله بعد سياق بعض الأحاديث المتعلقة بالصداق:

(١) مستدرك الحاكم (٢/١٩٨) برقم (٢٧٤٢).

(٢) سنن الترمذي (٣/٤٢٣) برقم (١١١٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢/١٩٤).

«وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركتته، وعسره»^(١).

ثالثاً: تركيز كثير من الأسر على أحوال الخاطب الدنيوية، من منصب، ومال، وجاه، فإن لم يتوفر ذلك اعتذروا عن قبوله، وإن كان من أهل الخلق والدين، وهذا مخالف لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أتاكم من ترضون دينه، وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢).

رابعاً: استيلاء بعض الآباء الجشعين على رواتب بناتهم العاملات، وبالتالي يمنعونهن من الزواج حتى يستمروا في كسب هذه الأموال، وقد نهى الله عن عضل النساء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

خامساً: اعتذار كثير من الفتيات عن الرجل المتزوج، وهذا خطأ، فعلى المرأة أن تفكر بعقلها، فخير لها أن تبقى في ظل زوج على أن تكون عانساً في بيت أبيها، وقد سبق ذكر الحديث «إذا أتاكم من ترضون دينه، وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض».

والنساء يفوق عددهن الرجال، وهناك المطلقة، والمتوفى عنها زوجها، والتي كبر سنها ولم تتزوج، فلو اكتفى كل رجل بزوجة واحدة لبقى كثير من النساء من غير زواج، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفيه مفسدة عظيمة، ولذلك شرع الله للرجل تعدد

(١) زاد المعاد (٥/١٧٨).

(٢) (٣/٣٩٥) برقم (١٠٨٥).

الزوجات، قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْوًى وَثَلُثَ وَرَبَعٌ﴾
[النساء: ٣].

سادساً: أن بعض النساء المطلقات يصبين بعد طلاقهن بإحباط،
فلا تفكر في الزواج مرة ثانية، وهذا خطأ، والله تعالى عند حسن ظن
عبد به، وعلى المرأة أن تحسن الظن بربها، فهو مقسم الأرزاق،
والموفق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ
سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

ومن الأسباب التي بدأت تنتشر في بعض المجتمعات عزوف
بعض الشباب عن الزواج، هروباً من تحمل المسؤولية، وهذا خروج
عن الفطرة وسنن المرسلين، ومنهم من يكون قليل ذات اليد، مقارنة
بالأوضاع والعادات الاجتماعية، ومنهم من يكون من المنهمكين على
وسائل الإعلام السيئة، التي زرعت في نفسه مع طول النظر والمتابعة
تصوراً سيئاً عن النساء عموماً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والسبعون

النكت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الأمور المنكرة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام ما يُسمى بالنكت، وهذه النكت قصص مكدوبة يقصد بها إضحاك الآخرين، وإدخال السرور إلى قلوبهم.

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويلٌ للذي يُحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له»^(١).

ومن مفسد هذه النكت ما يلي:

أولاً: الكذب، وهو من أعظم المفسد، وقد نهى الله تعالى عنه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور

(١) سنن أبي داود (٢/٢١٩٧) برقم (٤٩٩٠).

يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب الطويل، وفيه رؤيا النبي ﷺ قال: «أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالَا لي انطلق، وإني انطلقت معهما... وإنا أتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟... قال: قالَا: أما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»^(٢).

وهذه النكت وإن قُصِدَ بها المزاح، فإنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أنه قال: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٣).

وهذا - والله أعلم - إذا لم تتضمن قولاً فاحشاً، أو نشر فاحشة، أو إشاعة منكر، أو استطالة في عرض مسلم، فما كان من هذا ونحوه لا شك أنه من المحرمات، كما سبق في الحديث المتقدم.

(١) صحيح البخاري (٤/٤٠٩) برقم (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم (٤/٢٠١٣) برقم (٢٦٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٤/٣١٠ - ٣١١) برقم (٧٠٤٧).

(٣) سنن أبي داود (٤/٢٥٣) برقم (٤٨٠٠).

قال الإمام أحمد رحمته الله: «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل». وقال الذهبي رحمته الله: «يُطبع المسلم على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب».

ثانياً: ومن مفاصلها أن بعض هذه النكت تحتوي على الاستهزاء بدين الله، أو المؤمنين، وهذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِكُمْ وَأَيُّنِهِمْ رَسُولُهُ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وهو من نواقض الإسلام العشرة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، كفر ولو مازحاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه»^(٢).

ثالثاً: أنها تؤدي إلى السخرية بالناس واحتقارهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه


(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧). (٢) الفتاوى (٧/ ٢٧٣).

المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(١).

رابعاً: أن فيها إضاعة الوقت، وهذا الوقت سيُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٣).

خامساً: أن بعض هذه النكت تحتوي على الفحش وبذاءة اللسان، وهذا لا يليق بالمؤمن، لا قوله، ولا الاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: أي الكذب، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾  [المؤمنون].

وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا مُتفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (١٩٨٦/٤) برقم (٢٥٦٤).

(٢) (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٧).

(٣) (١٧٥/٤) برقم (٦٤١٢).

(٤) صحيح البخاري (٥١٨/٢) برقم (٣٥٥٩)، وصحيح مسلم (١٨١/٤) برقم (٢٣٢١).

الكلمة الخامسة والسبعون

وصايا لطلبة العلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

الوصية الأولى: الحرص على طلب العلم الشرعي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وروى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيراً». وروى الدارمي بسند حسن من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(٢).

(١) البخاري (ص ٥٩٦) برقم (٣١١٦) ومسلم (ص ٣٩٨) برقم (١٠٣٧).

ملاحظة: تم الانتقال في العزو إلى الكتب الستة إلى نسخة بيت الأفكار الدولية.

(٢) (١١٠/١) برقم (٣٤٢).

قال الأوزاعي: «الناس عندنا هم أهل العلم، ومن سواهم فليسوا بشيء»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب». وأهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية وثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١) - وفي رواية: قائمة على أمر الله^(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟».

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه في آخر الزمان يرفع العلم، ويكثر الجهل، ورفع العلم بموت حملته.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٣).

وفي هذه الحال يكون تعلم العلم وتعليمه أوجب وأوكد، وليعلم أن رأس العلوم كلها هو كتاب الله الكريم، فلنحرص على حفظه وفهمه وتدبره، والعمل به، وكذلك تعلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والتفقه فيها، وليكن أخذنا للعلم من أهله، وهم السلف الصالحون، والأئمة المهديون، حتى لا نقع في الفتاوى المضلة، والأهواء المهلكة.

(١) صحيح مسلم (ص ٧٩٥) برقم (١٩٢٠)، وصحيح البخاري (ص ٣٩) برقم (٧١).

(٢) صحيح البخاري (ص ٣٩) برقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري (ص ٤٥) برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم (ص ١٠٧٢) برقم (٢٦٧٣).

الوصية الثانية: الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَرَكِّينَ﴾ [يوسف] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لعلي: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١).

وهذا الحديث يغلط فيه بعض الناس، حيث يقوم بالدعوة، وربما تجرأ على الفتوى وهو من أجهل الناس، وقد يستدل بحديث «بلغوا عني ولو آية»^(٢). ولم يعلم المسكين أن تبليغ آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ لا يكون إلا بعد فهمهما بمراجعة أقوال المفسرين، وشرح الأحاديث حسب الطرق الصحيحة التي سلكها أهل العلم، وبينوها لطلاب العلم.

والدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والمقصود بها دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل، وقال عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب معاذ بن جبل، وقد أرسله إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الله تعالى: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك إلى ذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات..... إلى آخر الحديث»^(٣)، وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ

(١) (١٨٧٢/٤) برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح البخاري، (ص٦٦٦) برقم (٣٤٦٢).

(٣) صحيح مسلم (ص٤٢) برقم (١٩)، وصحيح البخاري (ص٢٨٤) برقم (١٤٥٨).

قال: «بلغوا عني ولو آية»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء»^(٢).

وقال الشيخ عبد العزيز رحمه الله: «الواجب على جميع القادرين من العلماء، وحكام المسلمين، والدعاة، الدعوة إلى الله ﷻ حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا البلاغ الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسول أن يبلغوا... إلخ»^(٣).

الوصية الثالثة: حفظ الوقت، فمن الملاحظ أن بعض الشباب لا يحرص على استغلال وقته، واغتنام شبابه ونشاطه، فتجده ينام الساعات الطوال من غير حاجة، والآخر يضيع وقته في قراءة الجرائد لفترات طويلة، وآخر في الزيارات الكثيرة، وهلم جرا.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن

(١) صحيح البخاري (ص ٦٦٦) برقم (٣٤٦٢).

(٢) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (١/٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»^(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلک، وحياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك»^(٢).

ويقول الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع
الوصية الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء]، وروى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»^(٣)، قال ابن المبارك: «حسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وأن تحتمل ما يكون من الناس».

وبهذا كان ﷺ يوصي أصحابه، فروى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٤).
قال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق،

(١) (٦١٢/٤) ويرقم (٢٤١٦).

(٢) مستدرک الحاكم (٣٤١/٤) برقم (٧٨٤٦).

(٣) (٣٦٢/٤) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي (٣٥٥/٤) رقم (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربّه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. اهـ^(١)، ولا يكتمل إيمان عبد مالم يوفق للخلق الحسن، روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً»^(٢).

ولقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد ﷺ. فعن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعت: لم صنعت، ولا لشيء تركته: لم تركته»^(٣).

الوصية الخامسة: الثبات على هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر]، أي الموت، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، وروى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك»^(٤)، وقد وردت الأحاديث عن النبي ﷺ تبين أن المتمسكين بدينهم في آخر الزمان، الثابتين عليه يكونون غرباء، ولكنهم بذلك ينالون من الأجر مثل ما ناله أصحاب النبي ﷺ حينما كان الإسلام غريباً، وذلك بصبرهم عليه حال الغربة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(٥)، وجاء في الحديث الآخر أنهم: أناس صالحون في أناس سوء كثير، من

(١) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٢) (٤٦٦/٣) برقم (١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) سنن الترمذي (٣٦٨/٤) برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٤) (٢٥١/٦). (٥) (١٣٠/١) برقم (١٤٥).

يعصيههم أكثر ممن يطيعهم^(١)، وذكر النبي ﷺ أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر، وأن له أجر خمسين يعملون من أصحاب النبي ﷺ، فروى أبو داود في سننه من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر قال: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، وزادني غيره قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم، قال: «أجر خمسين منكم»^(٢).

فأوصي نفسي، وإخواني بالثبات على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ۝٢ خَسِيرٌ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٤﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْخُرُوجِينَ ۝١٦﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُتَّقِينَ ۝١﴾ [القصاص: ٨٣]، ولا شك أن المسلم في هذه الأزمنة يواجه فتن الشهوات والملذات العظيمة، لكن من استعان بالله أعانه الله، ومن يتصبر يصبره الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنكبوت].

جعلنا الله وإياكم منهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (١٧٧/٢).

(٢) قطعه من حديث أبي داود (١٢٣/٤) برقم (٤٣٤١).

الكلمة السادسة والسبعون

مخالفات يقع فيها بعض الحجاج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن على المسلم أن يحرص أن يكون حجه موافقاً لحج النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»^(١)، وهناك مخالفات شرعية يقع فيها بعض الحجاج، أحببت التذكير بها أداء لحق الله، وقياماً بواجب النصيحة.

أولاً: إخراج الصلاة عن وقتها، قال الإمام ابن النحاس في ذكره بعض منكرات الحجاج ومنها، وهو أعظمها فتنة، وأجلها في الدين مصيبة، وأكثرها وجوداً وبلية هو تضييع أكثرهم للصلاة في الحج، وكثير منهم لا يتركونها، بل يضيعون وقتها ويجمعونها على غير الوجه الشرعي، وذلك حرام بالإجماع^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ثانياً: ما يفعله بعض الحجاج الذين يقومون بزيارة قبر النبي ﷺ قبل الحج وبعده، من استقبال قبر النبي ﷺ، ودعائه بكشف الضر وجلب النفع، وهذا شرك ينافي التوحيد لا يرضاه الرسول ﷺ، بل نهى عنه وحذر منه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن]، وقال

(١) (٩٤٣/٢) برقم (١٢٩٧).

(٢) تنبيه الغافلين (ص ٢٨٤).

تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مثل ما صنعوا^(١).

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: «أجعلتني والله عدلاً؟! بل ما شاء الله وحده»^(٢).

ثالثاً: التصوير، وهو من المحرمات التي يجهل حرمتها كثير من الحجاج، وقد نهى الرسول ﷺ عن التصوير في أحاديث كثيرة، ولعن فاعله، روى البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث جندب أن النبي ﷺ قال: «من سمع سمع الله به، ومن يراني يراني الله به»^(٤).

هذا أولاً، وثانياً: أن بعض الحجاج يتخذ لنفسه صوراً حال إحرامه، أو رافعاً يديه يدعو، أو يقرأ، أو غير ذلك من أحوال العبادة ليطلع عليها أهله وأقاربه إذا عاد إليهم، وقد يدخل هذا في الرياء المنهي عنه، بل يخشى على فاعل ذلك أن يحبط عمله من حيث لا يشعر.

رابعاً: من أراد الحج أو العمرة فليحرم من الميقات الذي يمر به، ولا يجوز تجاوز الميقات بلا إحرام لمريد الحج أو العمرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «هن لهن

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم (ص ٢١٤) برقم (٥٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد (١/٢١٤).

(٣) (١٩١/٤) برقم (٦٤٩٩)، وصحيح مسلم (٤/٢٢٨٩) برقم (٢٩٨٧).

(٤) (٨١/٤) برقم (٥٩٥٠)، وصحيح مسلم (٣/١٦٧٠) برقم (٢١٠٩).

ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمره^(١).

وأما من يأتي عن طريق الجو في الطائرة، أو البحر في السفينة، فمن الأولى أن يحرم عند محاذاة الميقات، أو قبله بقليل احتياطاً، ولا ينتظر حتى يصل إلى جدة؛ لأن هذا مخالف لما عليه فتاوى علمائنا، كالشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وغيرهما.

خامساً: أن كثيراً من الحجاج يلزم أدعية خاصة في الطواف يقرأها من كتاب مناسك، وقد يكون مجموعة منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها، ويرددونها خلفه بصوت جماعي، وأكثر هذه الأدعية والأذكار لا تثبت عن النبي ﷺ، والدعاء بها بهذه الطريقة بدعة محدثة. روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢). إضافة إلى أن فيه تشويشاً على الحجاج الآخرين.

سادساً: ومن الأخطاء العظيمة المتعلقة بيوم عرفة، أن بعض الحجاج يقفون خارج حدود عرفة حتى تغرب الشمس، ثم ينصرفون إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم؛ لأن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن يعمر أن النبي ﷺ قال: «الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج»^(٣).

سابعاً: ما يتعلق بمزدلفة، فبعض الحجاج لا يتأكد من حدود مزدلفة، ويبيت خارجها، وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل، ولا يبتي فيها، ومن لم يبت فيها من غير عذر فقد ترك واجباً من واجبات

(١) (٤٧١/١) برقم (١٥٢٤)، وصحيح مسلم (٨٣٩/٢) برقم (١١٨١).

(٢) (٢٦٧/٢) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (١٣٤٣/٣) برقم (١٧١٨).

(٣) سنن الترمذي (٢٣٧/٣) برقم (٨٨٩).

الكلمة السابعة والسبعون

التوبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن الأعمار تطوى، والأيام تنقضي، والعمر قصير، والأجل قريب، ولا يدري ابن آدم متى يأتيه الموت، قال الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير مرور الليالي وكر العشي
إذا ليلة هرمت أختها أتى بعد ذلك يومٌ فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وحاجات من عاش لا تنقضي

والله ﷻ حث عباده على التوبة قبل حلول الأجل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) [آل عمران].

ودعا سبحانه جميع عباده إلى التوبة، فدعا إليها من قال: إن الله هو المسيح، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة، ومن ادعى لله صاحبة الولد، فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

الحج، ويلزمه دم مع التوبة، ويرى بعض أهل العلم أن المبيت بمزدلفة، وصلاة الصبح بها ركن من أركان الحج، كالوقوف بعرفة، لأن الله نص عليه، فقال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والنبى ﷺ سواها بعرفة حينما قال: «وجمع كلها موقف»^{(١)(٢)}.

روى أبو داود من حديث عروة الطائي أن النبى ﷺ قال: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد أتم حجه، وقضى نفقه»^(٣).

ثامناً: أن بعض الحجاج ياكلون من يقوم برمي الجمار عنهم، مع قدرتهم على ذلك ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام، ومشقة العمل، وهذا مخالف لقوله تعالى ﴿وَأَمُوا لِحُجَّجِ وَالْعُمْرَةِ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وسئل الشيخ عبد العزيز رحمه الله عن حكم التوكيل عن المريض والمرأة العاجزة كالحبلى والثقيلة والضعيفة التي لا تستطيع رمي الجمار، فأجاب بأنه لا بأس بالتوكيل عنهم^(٤)، أما القوة النشيطة فإنها ترمي بنفسها، ومن عجز عنه نهاراً رمى بالليل.

تاسعاً: أن بعضهم إذا أراد تقصير شعر رأسه يكتفي بأخذ شعرات من رأسه، أو يأخذ من جانب ويدع آخر، والصحيح أن الواجب على الحاج أن يحلق رأسه كله أو يقصره كله، هذا في حق الرجل، أما المرأة فإنها تقص من صفاتها بقدر أنملة فقط. والأفضل أن يبدأ بالشق الأيمن في الحلق أو التقصير.

(١) سنن الترمذي (ص ١٦٣) برقم (٨٨٥).

(٢) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٢٠٢/٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٣٩/٣) برقم (٨٩١).

(٤) فتاوى الحج والعمرة (ص ١١١ - ١١٢).

عاشراً: أن بعضهم إذا تحلل التحلل الأول حلق لحيته أو قصر منها، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذه المعصية من أكثر المعاصي شيوعاً بين المسلمين في هذا العصر، بسبب استيلاء الكفار على أكثر بلادهم، ونقلهم هذه المعصية إليها، وتقليد المسلمين لهم فيها مع نهيه ﷺ إياهم عن ذلك صراحة في قوله ﷺ: «خالفوا المشركين، احفوا الشوارب وأوفوا اللحى»^(١).

وفي هذه القبيحة عدة مخالفات:

الأولى: مخالفة أمره ﷺ الصريح بالإعفاء.

الثانية: التشبه بالكفار.

الثالثة: تغيير خلق الله الذي فيه طاعة الشيطان في قوله كما حكى الله تعالى ذلك عنه: ﴿وَلَا تُزَيِّنْهُمْ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

الرابعة: التشبه بالنساء، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك.

وإن من المشاهدات التي يراها الحريص على دينه أن جماهير من الحجاج يكونون قد وفروا لحاهم بسبب إحرامهم، فإذا تحللوا منه فبدل أن يحلقوا رؤوسهم كما ندب إليه رسول الله ﷺ حلقوا لحاهم التي أمرهم ﷺ بإعفائها، فإننا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

أسأل الله أن يتقبل من المسلمين حجهم، وسائر أعمالهم، وأن يوفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم (ص ١٢٩) برقم (٢٥٩)، وصحيح البخاري (ص ١١٤٨) برقم (٥٨٩٢).

(٢) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر (ص ٨ - ٩)، للشيخ ناصر الدين الألباني.

ودعا إليها فرعون مع زعمه أنه لا إله غيره، وأنه ربهما الأعلى فقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ [طه].

ودعا إليها المشركين قاطبة، فقال لهم بعد الأمر بقتلهم حيثما وجدوا: ﴿إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الْأَيِّنِ وَتَفَضَّلْ الْأَيْمَنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [التوبة].

ودعا إليها المنافقين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿٦٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٦﴾ [النساء].

ودعا إليها من عمل أكبر الكبائر، وهي الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٧١﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ﴿٧٢﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الفرقان].

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها، قال الإمام النووي رحمته الله: «واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو

(١) شرح النووي (٥٩/٦).

بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح^(١).

والمراد بالتوبة التوبة النصوح، وهي التي اكتملت شروطها. أما شروطها فهي: الإقلاع عن الذنب، الندم على فعله، العزم على أن لا يعود إليه، وزاد آخرون: الإخلاص لله في التوبة، لا خوفاً من سلطان، أو حياء من إنسان، أو غير ذلك، وإنما رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه، فإن كان الذنب مرتبطاً بحق آدمي فلا بد من شرط رابع، وهو أن يبرأ من حق صاحبها.

ويشترط للتوبة ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون التوبة قبل الغرغرة، أي قبل حشجة الروح في الصدر عند دنو الأجل، وحضور الموت، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [النساء].

روى الترمذي من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٢).

الثاني: أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِمْتِنَانُ مَا تَمَنَّى مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظُرُونَ ۝١٥٨﴾ [الأنعام].

(١) صحيح مسلم (ص ١٠٩٩) برقم (٢٧٤٧)، وصحيح البخاري (ص ١٢١٤) برقم (٦٣٠٨).

(٢) (ص ٥٥٦) برقم (٣٥٣٧).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﻻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»^(٢).

الثالث: أن تكون قبل نزول العذاب لمن عصى الله تعالى؛ لأن الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُلَّتْ اللَّهُ الْيَقِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥) [غافر].

ولم يستثن من هذه السنة إلا قوم يونس، لحكمة أرادها الله سبحانه، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ فَتَنَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٦) [يونس].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ١١٠٤) برقم (٢٧٥٩).

(٢) (ص ١٠٨٣) برقم (٢٧٠٣).

الكلمة الثامنة والسبعون

شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»^(١).

وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، اختصرت كلامه فيها في هذه العجالة:

فقال: وتفسير هذا أن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة، ويتخذ زوجة صالحة تعينه على إيمانه، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلونه عن الله تعالى، فهو خاسر كما قال تعالى عن الأعراب: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المناقصون: ١].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «جاء جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من

(١) (ص ١٢٤٨) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم (ص ١١٨٨) برقم (٢٩٦٠).

أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، ثم قال: يا محمد، شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس^(١).

فإذا مات ابن آدم، وانتقل من هذه الدار، لم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم، وما ثبت عنه من الشرع، وبما قدمه من ماله بين يديه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

فأما صاحب الأول: الأهل، فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له، ودعا له كما تقدم، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين: أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك يدعو لك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَٰهٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وأما صاحب الثاني: وهو المال، فيرجع عن صاحبه أولاً، ولا يدخل معه في قبره، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره، ودخوله معه.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٣٦٠ - ٣٦١) برقم (٧٩٢١).

(٢) (ص ٦٧٠) برقم (١٦٣١).

قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس»^(١).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما آخر»^(٢).

فلا ينتفع العبد من ماله إلا بما قدمه لنفسه، وأنفقه في سبيل الله ﷻ، فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه، إلا أن يكون فيه نية صالحة، وقيل: بل يثاب عليه مطلقاً، وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالناس نكره الموت؟ قال: لتعظيمك الدنيا، جعلت مالك بين عينيك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحببت اللحق به. قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْآلَاءَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

وكان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله، حتى كان يوماً راكباً على ناقة فأعجبته، فنزل عنها في الحال، وقلدها، وجعلها في سبيل الله ﷻ.

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ويكون معه إذا بعث، ويكون معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمَلِ﴾ [فصلت].

(١) (ص ١١٨٧) برقم (٢٩٥٨). (٢) (ص ١٢٣٦) برقم (٦٤٤٢).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم].

قال بعض السلف في تفسير الآية السابقة: أي يمهّدون لأنفسهم في القبر، فالعمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، بل كل عامل يفتersh عمله ويتوسده من خير أو شر، فالعاقل من عمر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريباً لم يكن مغبوناً بل كان رابحاً.

وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها. قال الحسن: تبع رجل من المسلمين جنازة أخيه فلما دلي في قبره قال الرجل: ما أرى يتبعك من الدنيا إلا ثلاثة أثواب، أما والله لقد تركت بيتي كثير المتاع، أما والله إن أقالني الله حتى أرجع لأقدمه بين يدي، قال: فرجع فقدمه والله بين يديه، وكانوا يرون أنه عمر بن عبد العزيز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والسبعون

فضل التذكير إلى الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم من الطاعات والعبادات ما يتقربون بها إليه سبحانه، ومن تلك الطاعات والقربات التذكير إلى الصلوات الخمس التي جعلهن بفضله خمساً في العمل، وخمسين في الأجر والثواب.

والتذكير إلى الصلوات الخمس من الطاعات التي غفل عنها كثير من المصلين في هذا الزمان، فلا يحضرون إلا عند الإقامة، أو بعد الشروع في الصلاة.

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة، وأصدقها في التذكير إلى الصلاة، يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه: «ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها، وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»، ويقول سعيد بن المسيب: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وما فاتتني صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة»، قال الذهبي: «هكذا كان السلف في الحرص على الخير».

ومن فضل التذكير إلى الصلوات:

أولاً: استغفار الملائكة لمن ينتظر الصلاة، وكونه في حكم

المصلي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تصلي على أحدكم^(١) ما دام في مصلاه ما لم يحدث، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة»^(٢).

ثانياً: إدراك الصف الأول، وما فيه من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»^(٣).

ثالثاً: إدراك تكبيرة الإحرام، وهي من أفضل التكبيرات، ومفتاح الصلاة، روى الترمذي من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان، براءة من النار، وبراءة من النفاق»^(٤).

رابعاً: الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب، روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة»^(٥).

(١) أي تستغفر له.

(٢) صحيح البخاري (٢١٩/١) برقم (٦٥٩)، وصحيح مسلم (٤٥٩/١) برقم (٦٤٩).

(٣) صحيح البخاري (٢٠٨/١) برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم (٣٢٥/١) برقم (٤٣٧).

(٤) (ص ٦٠) برقم (٢٤١). (٥) (ص ٨١) برقم (٥٢١).

خامساً: الدنو والقرب من الإمام، وهذه فضيلة عظيمة، روى الإمام أبو داود من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «احضروا الذكر، وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها»^(١).

سادساً: إدراك السنن القبلية التي قبل الصلاة، كسنة الفجر، روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٢). وكان النبي ﷺ يصلي قبل الظهر أربعاً، وبعدها ركعتين^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من حافظ على أربع قبل الظهر، وأربع بعدها حرمه الله على النار»^(٤)، وروى الترمذي من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعاً»^(٥).

سابعاً: الحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، فالسعي الذي يفعله كثير من الناس لإدراك الصلاة يفوتهم السكينة والوقار، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»^(٦).

ثامناً: قراءة الأذكار والاستغفار، وذكر الله ﻋﻠﯿﻪ ﺳﻼﻡ بين الأذان والإقامة، فلو حضر المصلي إلى المسجد مبكراً لأمكنه على أقل تقدير

-
- (١) (ص ١٣٦) برقم (١١٠٨). (٢) (ص ٢٨٦) برقم (٧٢٥).
 (٣) (ص ٩٠) برقم (٤٢٤). (٤) (ص ١٥٤) برقم (١٢٦٩).
 (٥) (ص ٩٢) برقم (٤٣٠).
 (٦) (ص ١٣٧ - ١٣٨) برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم (ص ٢٣٩) برقم (٦٠٢).

أن يقرأ عشرين آية، وفي اليوم مائة آية، وفي الأسبوع سبعمائة آية، وفي الشهر ثلاثة آلاف آية، وهذا خير كثير، والحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وينبغي للمؤمن أن يُعوّد نفسه على التبكير إلى المسجد حتى يسهل عليه، ويجد الراحة، والسعادة في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثمانون

أسباب انشراح الصدر

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن ضيق الصدر، وما ينتاب المسلم من هموم وغموم، وأحزان أمور لا يكاد يسلم منها أحد.

قال ابن حزم رحمه الله: «فكرت في سعي العقلاء، فرأيت سعيهم كلهم في مطلب واحد، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم في جمعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا في اللغو واللعب، وغير ذلك، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقاً موصلاً إليه، ولعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، وإنما الإقبال على الله وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء ضده، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق، وأوصل منه على لذته، وسعاده»^(١).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أسباب شرح الصدر، فقال:

أولاً: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفُتُورَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

(١) الجواب الكافي (ص ١٧١ - ١٧٢)، وقد لخصه ابن القيم رحمه الله.

كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ ﴿[الأنعام: ١٢٥]، فالهدي والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

ثانياً: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرّج، فصار في أضيق سجن وأصعبه، فنصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَمْ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّتَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الأنعام: ١٢٥]﴾.

ثالثاً: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشراح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم الموروث عن النبي ﷺ، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

رابعاً: الإجابة إلى الله ﷻ، ومحبه بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[النحل: ٩٧]﴾، حتى يقول أحياناً: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحال، فإني إذا لفي عيش طيب، وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، ولا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله ﷻ وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ

عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾، فإن من أحب شيئاً غير الله عذب، وسجن قلبه في محبته ذلك الغير.

خامساً: دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

سادساً: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيّق الناس، وأنكدهم عيشًا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل البخيل والمتصدق، مثل رجلين عليهما جبتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما، فكلما هم المتصدق بصدقته اتسعت عليه حتى تعفى أثره، وكلما هم البخيل بالصدقة انقبضت كل حلقة إلى صاحبتها، وتقلصت عليه وانضمت يداه إلى تراقيه، فسمع النبي ﷺ يقول: فيجتهد أن يوسعها فلا تتسع»^(١).

سابعاً: الشجاعة، فإن الشجاع منشرح الصدر، ومتسع القلب، والجبان أضيّق الناس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل.

ثامناً: إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه

(١) البخاري (ص ٥٦٠) برقم (٢٩١٧)، ومسلم (ص ٣٩٤) برقم (١٠٢١).

وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى بالأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل.

تاسعاً: ترك فضول النظر والكلام، والاستماع والمخالطة، والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل ألماً وغموماً وهموماً في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه، فلا إله إلا الله ما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، ولا إله إلا الله ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة، وكانت همته دائرة عليها، فلهذا نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار]. ولذلك نصيب من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار].

والمقصود أن النبي ﷺ كان أكمل في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحاً ولذة، وقرة عين، وعلى حسب متابعتة ينال العبد من انشراح صدره وقرة عينه، ولذة روحه ما ينال..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) انظر: زاد المعاد (٢/٢٣ - ٢٨).

الكلمة الحادية والثمانون

كفارات الذنوب

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أفضل ما يتمناه المسلم أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له ذنوبه، وضاعف له في حسناته.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل للإنسان أعداء يزينون له الذنوب، ويهونونها عليه، ويبعدونه عن الخير، وهم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَا تَجِدُهُمُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان].

ومن رحمة الله بعباده أن هيا لهم أسباباً يكفر بها عنهم الذنوب، ويمحوها، وهذه الكفارات الماحيات هي الأقوال والأعمال التي شرعها في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمن ذلك:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) [العنكبوت].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً»^(١).

ثانياً: اجتناب الكبائر من الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ (١١) [النساء].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»^(٢).

ثالثاً: التوبة الصادقة، قال سبحانه: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٣).

(١) (ص ١٠٣٥) برقم (٢٥٦٥). (٢) (٢٠٩/١) برقم (٢٣٣).

(٣) (ص ٤٥٨) برقم (٤٢٥٠).

رابعاً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٥].

وروى الإمام أبو داود من حديث زيد بن أسلم أن النبي ﷺ قال: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفر له وإن كان فر من الزحف»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم»^(٢).

خامساً: الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حمran مولى عثمان رضي الله عنه قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ، ثم قال: إن ناساً يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث لا أدري ما هي؟ إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته، ومشيه إلى المسجد نافلة»^(٣).

سادساً: الصلاة، والمشي إليها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ

(١) (ص ١٨٠) برقم (١٥١٧).

(٢) قطعة من حديث (ص ١٠٣٩) برقم (٢٥٧٧).

(٣) (ص ١٢٠) برقم (٢٢٩).

الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»^(١).

سابعاً: الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة]، روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»^(٢).

ثامناً: الحج والعمرة، روى النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٣).

تاسعاً: المصائب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها»^(٤).

عاشراً: صيام رمضان وقيامه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام

(١) (ص ١٢٧) برقم (٢٥١).

(٢) قطعة من حديث (ص ٤٢٥) برقم (٢٦١٦).

(٣) (ص ٢٧٧) برقم (٢٥٧٤).

(٤) (ص ١٠٣٩) برقم (٢٥٧٤).

رمضان إيماناً، واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١)، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام رمضان إيماناً، واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (ص ٣١) برقم (٣٨)، وصحيح مسلم (ص ٢٩٩) برقم (٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري (ص ٣٠) برقم (٣٧)، وصحيح مسلم (ص ٢٩٩) برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية والثمانون

الحسد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها: الحسد، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة منه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ (١) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ (٢) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ (٣) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ (٤)﴾.

قال: الراغب: الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها^(١)، والحسد من صفات أشر عباد الله اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٤٥]، روى البخاري، ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»^(٢)، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ١١٦).

(٢) البخاري (ص ١١٧٣) برقم (٦٠٦٥)، ومسلم (ص ١٠٣٣) برقم (٢٥٥٩).

أتى النبي ﷺ، فقال: «يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك»^(١).

قال ابن رجب: الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ويسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس، حيث حسد آدم ﷺ لما رآه قد فاق على الملائكة بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أخرج منها، ومنهم من يحدث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده في نفسه مستروحاً تمنى زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، وقسم آخر إذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية، فلا خير في ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُتْرُونَ﴾ [النجم: ٢٤]. وإن كانت فضائل دينية فهو حسن، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»^(٢). وهذا هو الغبطة، وسماء

(١) (ص ٩٠٠) برقم (٢١٨٦).

(٢) مسلم (ص ٣١٧) برقم (٨١٥)، والبخاري (ص ٩٩٨) برقم (٥٠٢٥).

حسداً من باب الاستعارة، وقسم آخر إذا وجد من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيراً منه، وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل. اهـ^(١)، قال ابن سيرين: «ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار». اهـ.

وقال أبو الدرداء: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده». وقال ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»، وقال معاوية رضي الله عنه: «كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها»، ولذلك قيل:

كل العداوات قد ترجى إماتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم، أفشوا السلام بينكم»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من

(١) جامع العلوم والحكم، (ص ٢٦٠ - ٢٦٣).

(٢) (ص ٤٠٨) برقم (٢٥١٠).

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

وهذه الذنوب منها كبائر ومنها صفائر، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ [النجم: ٣٢]. أي صفائر الذنوب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود أنه سأل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: إن ذلك لعظيم! قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك»^(١).

ومن الناس من يتساهل في الذنوب والمعاصي، ويقول: ما دمت أؤدي أركان الإسلام وفرائضه فالذنوب أمرها سهل، والله غفور رحيم، وهذا الكلام ليس بصحيح، فإن الله غفور رحيم، وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿يَتَّقْ عِبَادِي اتَّقِ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى محذراً من معصية نبيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال أيضاً: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

(١) صحيح البخاري (ص ٨٤٦) برقم (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم (ص ٦٢) برقم (٨٦).

الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، وقد تعلق نعليه في يده الشمال، وجاء في القصة أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه تبعه في منزله، ثم قال له: يا عبد الله، إني أويت إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيته، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيته، غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطق^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعدة أمور:

- ١ - التعوذ بالله من شره، والتحصن واللجأ إليه.
- ٢ - تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠].
- ٣ - الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.
- ٤ - التوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه.
- ٥ - الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه في خواطر نفسه.
- ٦ - تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.
- ٧ - الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً في دفع العين وشر الحاسد.

- ٨ - وهو من أصعب الأسباب، إطفاء نار الحاسد بالإحسان إليه.
- ٩ - تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، الذي أزمه الأمور بيده سبحانه^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التفسير القيم لابن القيم (ص ٥٨٥ - ٥٩٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضبوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات»^(١).

ومعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة في معركة أحد، عندما أمرهم النبي ﷺ ألا ينزلوا من الجبل، فعصوه ونزلوا، فقتل سبعون، كما جاء في الصحيح^(٢).

ومعصية واحدة كانت سبباً في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»^(٣).

بل إن العبد ليتساهل بالكلمة التي تخرج من فمه، ولا يلقي لها بالاً، تكون سبباً لدخوله النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(٤).

ومعصية واحدة أخرجت آدم من الجنة، قال الشاعر:

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت ربك حين أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد

(١) (ص ١٢٤٥) برقم (٦٤٩٢).

(٢) البخاري (ص ٧٥٧) برقم (٣٩٨٦)، ومسلم (ص ٧٣٢) برقم (١٧٦٣).

(٣) البخاري (ص ٦٣٣) برقم (٣٣١٨)، ومسلم (ص ٩٢٢) برقم (٢٢٤٢).

(٤) البخاري (ص ١٢٤٣) برقم (٦٤٧٧)، ومسلم (ص ١١٩٧) برقم (٢٩٨٨).

الكلمة الثالثة والثمانون

المعاصي وعقوباتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه المعاصي لها أضرارٌ على القلوب، كضرر السموم على الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه المعاصي والذنوب، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء فطرده ولعنه وأبدله بالرحمة لعناً، وبالإيمان كفراً؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ إنها المعاصي والذنوب!!^(١).

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٧ - ٣٨).

قال الأوزاعي رحمه الله: «لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت».

ومن عقوبات المعاصي - وهي كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» -:

أولاً: أنها تورث الذل لصاحبها، فإن العز كل العز بطاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الأعراف].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري»^(١). وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية». وقال الحسن البصري رحمه الله: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله أن يذل من عصاه»^(٢).

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذَّنْبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذَّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذَّنْبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِّنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

ثانياً: أنها تورث الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد وبين الناس، ولو اجتمعت للعبد لذات الدنيا كلها لم تذهب تلك الوحشة، قال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب،

(١) مسند الإمام أحمد (٩٢/٢).

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»^(١).

ويشهد لكلام ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴿١٢٥﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجواب الكافي (ص ٤٩).

الكلمة الرابعة والثمانون

التقوى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

في هذه الآية الكريمة وصى الله سبحانه جميع خلقه الأولين والآخرين بأن يتقوه، وخص سبحانه المؤمنين بوصية التقوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر].

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

قال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا لِيُمدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»^(١). اهـ.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١).

قال شيخ الإسلام: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

قال الشاعر:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التَّقَى
وَاضْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
لَا تَخْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَاباً مِنَ التَّقَى تَقَلَّبَ غُرِيَانَا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَاً
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيَاً

قال الحسن البصري رحمته الله: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

وقد ذكرت التقوى في كتاب الله في أكثر من مائتين وخمسين موضعاً، بل إنه قد تكرر الأمر بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

والمتقون هم أولياء الله وأحبابه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ١٤] والمتقون هم أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة رضي الله عنه قال: حدثني من سمع خطبة

النبي ﷺ في أوسط أيام التشريق أنه قال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟» قالوا: بلغ رسول الله^(١)، وكان النبي ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بالتقوى، ويبدأ بها خطبه ووصاياه، روى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال: «كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش أو صاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً»^(٢)، وقال للصحابي أبي ذر كما في سنن الترمذي: «اتق الله حيثما كنت»^(٣) الحديث.

فطريق السعادة، والعز، والكرامة، والنصر هو التقوى، وإنما تأتي المصائب، والبلايا، والمحن بسبب إهمال التقوى، وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف].

ومن ثمرات التقوى:

أولاً: معية الله للمتقين، بالنصر والحفظ والإعانة والمحبة والتوفيق، وهذه منقبة عظيمة للمتقين، فلو لم يكن للمتقين إلا أنهم حازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً، قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل].

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٤١١). (٢) (ص ٧٢٠) برقم (١٧٣١).

(٣) سنن الترمذي (ص ٣٣٢) برقم (١٩٨٧)، وقال حديث حسن صحيح.

ثانياً: حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

ثالثاً: غفران الذنوب، ومعرفة الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال].

رابعاً: التقى يجعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

خامساً: التقى يوفق للعمل النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُكْمِلْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

سادساً: قبول الله تعالى من المتقين الأعمال الصالحة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه، فعمله خالصاً لله، موافقاً لأمر الله، فمن اتقاه في عمل تقبله منه، وإن كان عاصياً في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعاً في غيره»^(١). اهـ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فلو كانت الحسنه لا تقبل من صاحب السيئه لم تمحها.

سابعاً: ولاية الله تعالى بالتقوى، فإنه بالتقوى تنال ولاية الله، فمن اتقى الله فلا خوف عليه فيما يستقبل، ولا حزن ولا أسف على ما مضى، فإنه سبحانه يعرضه خيراً مما فاتته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس].

ثامناً: تيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] أي من اتقى الله يسر الله له الأمور، وسهل عليه كل أمر عسير.

تاسعاً: الحفاظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَلِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ٨٠].

عاشراً: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [الفلم: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَسُجَّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقُوا بِمَقَازِنِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٧١] ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [٧٢] [مريم].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والثمانون

تحريم الغناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِمْ وَتَخْذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان].

صح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما فسرا لهو الحديث بالغناء، وحلف ابن مسعود ثلاث مرات، فقال: «والله الذي لا إله إلا هو لهو الحديث هو الغناء»^(١).

وقال أيضاً: «الغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع».

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر^(٢) والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم^(٣) يروح عليهم بسارحة^(٤) لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله^(٥) ليلاً، ويضع العلم^(٦) عليهم، ويمسح آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»^(٧).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٤١).

(٢) الحر: أي الزنا.

(٣) علم: أي جبل.

(٤) بسارحة: أي ماشية لهم.

(٥) فيبيتهم الله: أي يهلكهم ليلاً.

(٦) ويضع العلم: أي يسقط الجبل عليهم.

(٧) (ص ١١٠١) برقم (٥٥٩٠).

فهذا الحديث يخبر عن أمر عظيم، وهو إهلاك بعض الأمة بأنواع من الهلاك، بسبب ما يرتكبون من الأمور ظاهرة التحريم، ومنها استحلالهم لآلات الملاهي المحرمة شرعاً، وهي في وقتنا المعاصر مثل: الكمنجا، والعود، والطبل، والبيانو، والربابة، والمزمار، وغيرها من المعازف، ودلالة الحديث على التحريم من وجهين:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «يستحلون» أي يصيرونها حلالاً بعد حرمتها، ففيه التصريح بأن المذكورات في الحديث محرمة، ومنها المعازف.

الثاني: قرن المعازف مع الشيء المقطوع بحرمة بإجماع المسلمين، وهو الزنا وشرب الخمر، ولبس الحرير، وهو دليل على حرمتها.

وروى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ»، فقال رجل من المسلمين: متى ذاك يا رسول الله؟ قال: «إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمر»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله ما خلاصته: «وقد توعد الله سبحانه مستحلي المعازف بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسحهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسط في الذم والوعيد». اهـ^(٢).

قال الشاعر:

فهذا الحق ليس به خفاء فدعني عن بُنيّات الطريق

(١) (ص ٣٦٧) برقم (٢٢١٢).

(٢) انظر: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/٢٢٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما خلاصته: «وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقاد أن الرسول حرمها كانوا كفاراً، ولم يكونوا من أمتي»^(١). اهـ.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على تحريم المعازف، ولو أتلفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف، بل يحرم عندهم اتخاذها. ولما سئل الإمام مالك عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء، قال: إنما يفعله عندنا الفساق^(٢).

ولما سئل الإمام أحمد رحمه الله عنه قال: «الغناء ينبت النفاق في القلب»^(٣).

وأما مذهب أبي حنيفة، فهو من أشد المذاهب، فقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالزممار، والدف، حتى الضرب بالقصب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق وتُرد به الشهادة^(٤).

وقد انتشر الغناء وللأسف في مجتمعنا، فالأغاني في التلفاز والمسجل والراديو، وغيرها من آلات اللهو.

قال يزيد بن الوليد: «إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر. وقال: فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا، أو رقية الزنا».

قال ابن القيم رحمه الله: «ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرّق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه، ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء،

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٤٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٩٥).

(٣) المصدر السابق (١/١٩٨).

(٤) إغاثة اللهفان (١/٢٢٩).

فحينئذ تعطي الليان، فلعممر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع من البلايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وكم خبأ لأهله من آلام منتظره، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلة^(١).

ومما تقدم من الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، وأقوال أهل العلم، يتبين تحريم الغناء، وأنه من كبائر الذنوب، فيجب على المؤمن أن ينأى بنفسه عنه، فإنه لا يجتمع كلام الرحمن، ومزمار الشيطان في قلب امرئ أبداً.

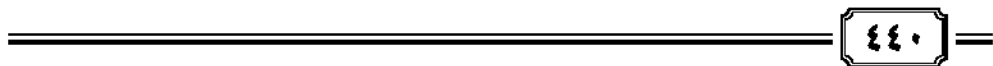
تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسميه أصحاب التسجيلات «الأناشيد الإسلامية»، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله في كتابه تحريم آلات اللهو، بعد أن ذكر الأدلة على تحريم الغناء: «ويتبين أنه لا يجوز التقرب إلى الله إلا بما شرع، فكيف يجوز التقرب إليه بما حرم، وأنه من أجل ذلك حرم العلماء الغناء الصوفي، واشتد إنكارهم على مستحله، فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأصول القوية، تبين له بكل وضوح أنه لا فرق في الحكم بين الغناء الصوفي، والأناشيد الدينية، بل قد تكون في هذه آفة أخرى، وهي أنها قد تلحن على ألحان الأغاني الماجنة، وتوقع على القوانين الموسيقية الشرقية أو الغربية التي تطرب السامعين وترقصهم، وتخرجهم عن طورهم، فيكون المقصود هو اللحن والطرب، وليس النشيد بالذات، وهذه مخالفة جديدة، وهي التشبه بالكفار والمجان، وقد ينتج من وراء ذلك مخالفة

(١) إغاثة اللفهان من وساوس الشيطان (١/٢٠٩ - ٢١٠).

أخرى، وهي التشبه بهم في إعراضهم عن القرآن، وهجرهم إياه، فيدخلون في عموم شكوى النبي ﷺ من قومه كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة السادسة والثمانون

تحريم الزنا وأسبابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ۝﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝﴾ [الإسراء].

فالآيات السابقة يبين الله فيها أن من صفات عباده المؤمنين عدم الإشراك به، وعدم قتل النفس المحرمة، وأنهم يحفظون فروجهم عن الفواحش، وحذر من أنه من يقدم على هذه الفواحش فإن مصيره الخلود في العذاب المضاعف المهيّن، ما لم يرفع ذلك بالإيمان، والعمل الصالح، والتوبة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝﴾ [الفرقان].

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، فقد قرنه الله بالشرك، وقتل النفس، لما فيه من إضاعة الأنساب، وانتهاك الحرمات، وإشعال العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك خراب للعالم، ولهذا كان الزاني المحصن من الثلاثة الذين أحل الله دماءهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١). وقد توعد النبي ﷺ حين قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٢).

وفي صحيح البخاري، في حديث النبي ﷺ الطويل، وفيه: جاء جبريل وميكائيل إلى النبي ﷺ قال: «فانطلقا فأتيا على مثل التنور، وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات. قال: فانطلقنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أي صاحوا من شدة حره. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة، والزواني»^(٣).

ولذلك أخذ النبي ﷺ البيعة من أصحابه على أن لا يقعوا في هذه الفاحشة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا»^(٤) الحديث.

(١) البخاري (ص ١٣١١) برقم (٦٨٧٨)، ومسلم (ص ٦٩٤) برقم (١٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري (ص ١٢٩٨) برقم (٦٨٠٩).

(٣) (ص ١٣٤٨) برقم (٧٠٤٧).

(٤) البخاري (ص ٢٧) برقم (١٨)، ومسلم (ص ٧٠٩) برقم (١٧٠٩).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «ولا أعلم بعد قتل النفس ذنباً أعظم من الزنا»، وقال المنذري رحمته الله: «صح أن مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن، ولا شك أن الزنا أشد، وأعظم من شرب الخمر».

ولما حرم الله الزنا حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها:
أولاً: إطلاق البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، والنظر يكون في الأسواق، والأماكن العامة، وعبر شاشات القنوات الفضائية، والمجلات الهابطة، والتلفاز، وغيره.
ثانياً: خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وهذا التبرج باب عظيم يؤدي إلى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثالثاً: دخول الرجال الأجانب على المرأة، وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها، وأقارب أبويها، فإنهم يترددون غالباً، وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم، روى البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرايت الحمو؟ قال: الحمو الموت^(١)، والحمو هو قريب الزوج.

رابعاً: ما يحدث من بعض المجتمعات الإسلامية من إقامة الحد على الضعيف، وتركه عن القوي، فإن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا، وهذا الذي فعله بنو إسرائيل، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم

(١) البخاري (ص ١٠٣٥) برقم (٥٢٣٢)، ومسلم (ص ٨٩٦) برقم (٢١٧٢).

الضعيف أقاموا عليه الحد»^(١).

خامساً: تأخير من بلغ من الشباب، والشابات عن الزواج، فإنه بمجرد بلوغه تشتد عنده الشهوة، فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئها به، فربما يلجأ إلى الحرام الذي يجلب له العار في الدنيا، والخزي في الآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه، وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»^(٣).

سادساً: انتشار آلات اللهو، والفساد في البيوت، فالغناء هو بريد الزنا، والأفلام الخليعة التي تحكي الغرام بين الرجل والمرأة، كل ذلك مما يدعو إلى الفاحشة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

سابعاً: انحراف بعض الرجال، وخيانتهم لزوجاتهم بمعاشرة النساء الأجنبية على غير الوجه الشرعي، فيكون هذا مدعاة لأن تقابل الزوجة زوجها بمثل ما قابلها به، وفي هذا يقول الشاعر:

يا هاتكاً حرم الرجال وتابعاً	طرق الفساد عشت غير مكرم
من يزن في قوم بألفي درهم	في أهله يزن بربع الدرهم
إن الزنا دين إذا استقرضته	كان الوفاء من أهل بيتك فاعلم

(١) البخاري (ص ٣٤٧٦) برقم (٣٤٧٥)، ومسلم (ص ٧٠٠).

(٢) البخاري (ص ١٠٠٥) برقم (٥٠٦٦)، ومسلم (ص ٥٤٩) برقم (١٤٠٠).

(٣) (ص ١٠٨٠) برقم (١٠٨٤).

وهذا الزوج الفاسق هو الذي سن هذه السيئة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان له وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ.

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسمى بجوال الكاميرا، وكم حدثت مفاسد منه، فكم من نساء محصنات غافلات صورن فيه، وكم من أعراض انتهكت عن طريقه، كم هدم من بيوت، وشتت من أسر، وجلب من مآسي، فينبغي للمؤمن أن يحذر أهله منه، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم»^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (ص ٤٨٣) برقم (٢٥٥٤)، ومسلم (ص ٧٦٣) برقم (١٨٢٩).

الكلمة الثامنة والثمانون

وقفة مع آيات من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْشَاءِ مُتْكُونُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِهِونَ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾﴾، قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم لما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم. قال ابن عباس: فاكهون: أي فرحون، وقال بعض المفسرين: أي في شغل مفكه للنفس ملذ لها من كل ما تهواه النفوس، وتلذذ العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك نكاح زوجاتهم من الحور العين في الجنة اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان، وحسن الأخلاق^(١).

قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْشَاءِ مُتْكُونُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي في ظلال الأشجار على السرر المزينة باللباس المزخرف الفاخر الحسن، متكئون عليها اتكاء يدل على كمال الراحة، والطمأنينة، واللذة.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٧٥)، وتفسير ابن سعدي (ص ٨١٩).

الكلمة السابعة والثمانون

الاستخارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري، والترمذي، والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر، ثم يسميه باسمه، خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي، ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويذكر الأمر، ويسميه - شر لي في ديني، ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»^(١).

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على دعاء الاستخارة: «أن المراد هو حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة،

(١) صحيح البخاري (ص ١٢٢٥ - ١٢٢٦) برقم (٦٣٨٢)، وسنن الترمذي (ص ٩١) برقم (٤٨٠)، والنسائي (ص ٣٤٤) برقم (٣٢٥٣).

فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع، ولا أنجح من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مالأً وحالاً^(١).

وقال بعض أهل العلم: يجوز تكرارها - أي الاستخارة - في الأمر الواحد، وممن ذهب إلى جواز ذلك الحافظ العراقي، ومال إلى ذلك الشوكاني في النيل، فقال: قد يستدل للتكرار بأن النبي ﷺ كان إذا دعا، دعا ثلاثاً، حديث صحيح. هذا وإن كان المراد به تكرار الدعاء في الوقت الواحد، فإن الدعاء الذي تسن الصلاة له تكرر الصلاة له، كالاستسقاء^(٢). اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال قتادة رحمه الله: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هودا إلى أرشد أمرهم»^(٣). اهـ.

قال الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني: إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرفت نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح نفسه. وقال: وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس^(٤). اهـ.

تنبيه: الاستخارة تكون في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، سواء كان متردداً فيه أم جازماً، وليس كما يظن البعض أن الاستخارة في

(١) فتح الباري (١١/١٨٩). (٢) نيل الأوطار (٣/٨٤ - ٨٥).

(٣) الكلم الطيب لابن تيمية (ص ٧١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٩/٢٠٦).

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ فِيهَا فُجُورًا وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٥٧) أي فاكهة كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون: أي يطلبون فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَكْدُّ الْأَعْيُنُ وَانْتَشَرَ فِيهَا خِلْدٌ﴾ (٧) [الزخرف].

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله: في هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكد به بقوله: «قَوْلًا»، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك الرب العظيم الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته الذين أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، وألا تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور لحصل ذلك، فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم^(١). اهـ.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن في الجنة أزواجاً مطهرة يتلذذ الإنسان ويتمتع بهن مع الجلوس على الأرائك، والاتكاء عليها، وتقديم الفواكه من الولدان والخدم كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: «مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبزاق، والمني، والولد».

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِشْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٥٩) [الرحمن]، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ

الأمر الذي يتردد فيه، لأن الاستخارة طلب التوفيق، والنتائج لا يعلمها إلا الله، وكم من أمر ظن صاحبه أن فيه خيراً فكان فيه هلاكه، وكم من أمر ظن صاحبه أن فيه شراً، فكان فيه نجاته، وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن فوائد الاستخارة وثمراتها:

أولاً: إنها دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷻ، وتوكله عليه في سائر أحواله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ ۚ وَالَّذِي يَرْبُّكَ فِيْنَ نَقْمٍ ۚ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ [الشعراء: ٨١].

ثانياً: الاستخارة تزيد ثواب المرء، وتقربه من ربه، وذلك لما تتضمنه من الصلاة والدعاء، وفي الحديث: قلت: فما الصلاة يا رسول الله؟ قال: «خير موضوع»^(١).

ثالثاً: في الاستخارة مخرج من الحيرة والشك، وهي مدعاة للطمأنينة وراحة البال، لأن العبد يفوض أمره إلى ربه الذي أزمه الأمور بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلَمَرَ كَلِمٌ لِلَّهِ﴾.

رابعاً: حصول الخير ودفع الشر؛ لأن ما يختاره الله لعبده أفضل مما يختاره العبد لنفسه؛ لأنه سبحانه هو العالم بمصالح عباده، العالم بغيبات الأمور.

خامساً: حصول البركة في الأمر الذي سيقدم عليه، والبركة ما

(١) جزء من حديث في مسند الطيالسي (٦٥/١) برقم (٤٧٨)، وحسنه الشيخ ناصر الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٧١٩/٢) برقم (٣٨٧٠).

حلّت في قليل إلا كثير، ولا كثير إلا نفع، وفي حديث الاستخارة السابق: «وبارك لي فيه».

سادساً: أن المرء قد يحتقر شيئاً لصغره، ويكون في فعله أو تركه ضرر عظيم، ولذلك شرعت الاستخارة في الأمور كلها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



قال: «لروحة في سبيل الله، أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا، وما فيها»^(١).

وروى الدارمي في سننه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل، والشرب، والجماع، والشهوة»^(٢).

ثانياً: إن في الجنة أنهاراً وفواكه، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً، لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة]. قال ابن عباس: «لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء». روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»^(٣).

ثالثاً: إثبات كلام الرب تعالى لأهل الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿يَمِيتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾. قال ابن كثير: «الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه

(١) البخاري (ص ٥٤٠) برقم (٢٧٩٦)، ومسلم (ص ٧٨٤) برقم (١٨٨٠).

(٢) (٤٣١/٢) برقم (٢٨٢٥).

(٣) البخاري (ص ٦٢٣) برقم (٣٢٤٤)، ومسلم (ص ١١٣٦) برقم (٢٨٢٤).

سلام. أي يوم يسلم عليهم^(١).

رابعاً: أن رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في الجنة، ورضاه عنهم أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب الرومي أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ»، زاد في رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُحْسَنٍ وَزِيَادَةٌ﴾^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك! فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٣).

خامساً: أن أهل الجنة كلما طلبوا شيئاً وتمنوه أدركوه، روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب! فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب!!

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٩٦).

(٢) (ص ٩٩) برقم (١٨١).

(٣) البخاري (ص ١٢٥٤) برقم (٦٥٤٩)، ومسلم (ص ١١٣٧) برقم (٢٨٢٩).

فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب! قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر^(١).

قال: ومصادقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والثمانون

وقفة مع قوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن فضله، وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع ناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله، ومنزلته للتساوي بينه، وبين ذاك. اهـ^(١).

قال ابن عباس: إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ الآية^(٢).

قال ابن كثير: وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء،

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١). (٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١).

وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» ^{(١)(٢)}.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» ^(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢] لما أخبر تعالى عن مقام الفضل، ورفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر تعالى عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤخذ أحداً بذنب أحد، فقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٢٨ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ ٢٩ ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ ٣٠ ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٣١ [المدرثر].

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها قيدت إلحاق ذرية المؤمن إلى درجته في الجنة بالإيمان، أما إذا كانت على غير الإيمان، فإنها لا تنتفع بصلاح الآباء، والأبناء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

(١) المصدر السابق (٢٤٢/٤).

(٢) (٣٥٦/١٦ - ٣٥٧)، وقال محققوه: إسناده حسن، وقال ابن كثير في تفسيره

(٢٤٢/٤) إسناده صحيح.

(٣) (ص ٦٧٠) برقم (١٦٣١).

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٨﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَمَا تَفْعُلُوهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المدثر].

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأني خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلحك؟ فينظر فإذا هو بذئخ ملتطخ^(١)، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار»^(٢).

ثانياً: إن فضل الله واسع، وهو سبحانه لا ينقص المؤمن من عمله شيئاً، بل يضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلَنَّهُمْ مِنَّ عَمَلِهِمْ مِن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿٥١﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: عدل الله ﷻ، فهو لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا

(١) الذئخ: هو الضبع الذكر وقد تلطخ بالنجاسة.

(٢) (ص ٦٤٠) برقم (٣٣٥٠).

كَأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿أَلَا نَزِدُّ بِرِزَّةٍ وَزَرَّةٍ أُخْرَىٰ﴾ ﴿٧٢﴾ [النجم].

رابعاً: أن هذه الآية الكريمة من البشائر العظيمة التي يفرح بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [يونس].

خامساً: الاهتمام بتربية الأبناء تربية إسلامية، كتعليمهم العبادات، وحثهم عليها، وإلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، وتجنبهم المحرمات، والمنكرات، وتحذيرهم منها، والدعاء لهم بالصلاح والهداية، حتى ينتفع بهم آباؤهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ﴿٧٦﴾ [الفرقان]، روى الإمام أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

(١) سنن أبي داود (١/١٣٣) برقم (٤٩٥).

(٢) (ص ٩٩٨) برقم (٥٠٢٧).

الكلمة التسعون

الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجاً إلى التوبة، والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد ﷺ يستغفر الله في جميع الأحوال»^(٣). اهـ.

وقد أمر الله نبيه والمؤمنين بالاستغفار، ووعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَتْ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء]، وقال

(١) (ص ١٠٨٣) برقم (٢٧٠٢). (٢) (ص ١٨٠) برقم (١٥١٦).

(٣) التحفة العراقية (١/٧٩).

تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل].

والاستغفار يكون للنفس وللغير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْرًا مِّنْ حَوْلِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(١).

ولا يجوز الاستغفار للمشرك، ولو كان حبيباً، أو قريباً، قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [النبي]، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما بين له أنه عدو لله تبرأ منه إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى، وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكروا الموت»^(٢).

(١) (٣٥٦/١٦ - ٣٥٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) (٦٧١/٢) برقم (٩٧٦).

كما بين سبحانه أن الاستغفار لهم لا ينفعهم، ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

وصيغ الاستغفار كثيرة، وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك ما رواه أبو داود من حديث زيد بن أسلم مولى النبي ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غفر له، وإن كان ممن فر من الزحف»^(١).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، قال الوليد: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله^(٢).

ومن أفضلها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: من قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل، وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»^(٣).

(٢) (٢/٦٧١) برقم (٩٧٦).

(١) (ص ١٨٠) برقم (١٥١٧).

(٣) (٤/١٥٣) برقم (٦٣٠٦).

والاستغفار يشرع في أي وقت، ويجب عند فعل الذنب الإقلاع عنه، والاستغفار منه، ويستحب بعد الأعمال الصالحة؛ ليجبر ما كان فيها من تقصير، كالاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة، كما مر، والاستغفار في الحج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

ومن أفضل أوقات الاستغفار وقت السحر، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٢٥] أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران].

قال الفضيل بن عياض: استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين. ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

والاستغفار سبب لنزول المطر، والإمداد بالأموال، والبنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ غَافِرًا﴾ [١٢] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا [١٣] وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح]، والاستغفار سبب لدفع البلاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]^(١) قال علي عليه السلام: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة». وقال أبو موسى: «كان لنا أمانان، ذهب أحدهما، وهو كون الرسول ﷺ فينا، وبقي الاستغفار معنا، فإن ذهب هلكنا»^(٢).

(١) (٦٧١/٢) برقم (٩٧٦).

(٢) التوبة إلى الله، للغزالي (ص ١٢٤).

والاستغفار سبب لنزول الرحمة، قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْفَرُ لِمَ
سَتَعْمَلُونَِ السَّيِّئَةَ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونََ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾
[النمل].

والاستغفار كفارة للمجلس، روى الترمذي في سننه من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه،
فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن
لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه
ذلك»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الحادية والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحد، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(١)، وفي رواية: «من أحصاها دخل الجنة»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى: العزيز، قال القرطبي: «العزيز معناه المنيع، الذي لا يُنال، ولا يُغالب»^(٣)، وقال ابن كثير: العزيز: الذي عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا يُنال جنباه لعزته، وعظمته، وجبروته، وكبريائه»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: العزة متضمنة لأنواع ثلاثة:

- ١ - عزة القوة، الدال عليها من أسمائه القوي المتين.
- ٢ - عزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع المعطي المانع.

(١) البخاري (ص ١٢٣١) برقم (٦٤١٠)، ومسلم (ص ١٠٧٥) برقم (٢٦٧٧).

(٢) (ص ١٤٠٩) برقم (٧٣٩٢). (٣) تفسير القرطبي (٢/١٣١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٣٤٣).

٣ - عزة القهر، والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، لا يتحرك منها متحرك إلا بحوله، وقوته^(١)، وقال بعضهم: ذكر العزيز في القرآن في اثنتين وتسعين مرة^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ، وأن من أسمائه: العزيز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأن معناه أن ربه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاؤوا، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحاً جلياً، فمن ذلك قصة موسى ﷺ، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي ينتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزيز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى ﷺ، وتربى في قصر فرعون، وفي بيته، وتحت رعايته، ولما حاول قتله أهلكه الله، وقائده هامان، وجنوده أجمعين، وغيرها من القصص^(٣).

ثانياً: أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٦٦].

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم (٧/ ٢٨٢١ - ٢٨٢٢).

(٢) المنهج الأسامي في شرح أسماء الله الحسنى، للنجدي (١/ ١٣٦).

(٣) انظر: المنهج الأسامي في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١٣٨).

فمن طلب العزة فليطلبها من رب العزة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي من أحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً، وقد ذم الله أقواماً طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظناً منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء].

ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم.

قال فخر الدين الرازي: «وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل، وكان أشد عزة، وأكمل رفعة»^(١).

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال النبي ﷺ: «ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»^(٣)، وكان من دعاء السلف: «اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك»^(٤).

فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري»^(٥).

(١) المنهج الأسمى في شرح آيات الله الحسنى (١/ ١٤٠٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥٦)، وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرك الحاكم (١/ ١٣٠). (٤) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/ ٩٢).

ثالثاً: سؤال الله تعالى، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي، وقل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وتراً»^(١).

روى البخاري، ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»^(٢).

رابعاً: من أسباب العزة والرفعة العفو والتواضع، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٣) فمن عفا عن شيء مع قدرته على الانتقام عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

خامساً: أن ما أصاب المسلمين من ضعف، وذل وهوان، وتخلف عن بقية الأمم في هذه الأزمنة، إنما هو بسبب المعاصي والذنوب، والبعد عن دين الله تعالى، ولو أنهم تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به لأعزهم الله، ونصرهم على الأعداء، ولأصبحوا سادة العالم، وقادة الشعوب، كما حصل للصحابه رضي الله عنهم، فقد وصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن

(١) (ص ٥٦٣) برقم (٣٥٨٨).

(٢) جزء من حديث البخاري (ص ١٤٠٧) برقم (٧٣٨٣)، ومسلم (ص ١٠٨٩) برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

(٣) (ص ١٠٤٢) برقم (٢٥٨٦).

قَلْبِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [التور].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل، والنهار، ولا يترك الله
بيت مدر، ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل،
عزاً يعز به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر».

وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك من أهل بيتي، لقد
أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم
كافراً الذل والصغار، والجزية^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٤/١٠٣).

الكلمة الثانية والتسعون

شكر النعم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا لا تعد، ولا تحصى، بل هي متتابعة، بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْدُوْنَ إِذَا مَا كُنْتُمْ لَهَا كَاذِبِينَ﴾ [النحل].

ومن أعظم هذه النعم نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ فَجَرى مِّنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والعبد دائماً بين نعمة من الله تحتاج إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، إلى آخر ما قال»^(١).

(١) التحفة العراقية (١/٧٩).

ومن هذه النعم على سبيل المثال: نعمة السمع، والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

ومنها نعمة الأمن في الأوطان، فإن حاجة الناس إلى الأمن أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فقد قدمه إبراهيم على الرزق، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ولأن الناس لا يهناون بطعام ولا شراب مع الخوف، قال تعالى ممتناً على قريش بهذه النعمة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿١﴾﴾ الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٢﴾﴾ [قريش]. وغير ذلك من النعم التي لا يستطيع حصرها، ولا الإحاطة ببعضها، وصدق الله إذ قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه النعم بلا شك تحتاج إلى شكر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ لَيْنَ شُكْرِهِمْ لِأَزِيدَنَّاكَ وَلَكِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

ومن الأسباب المعينة على شكر النعم:

أولاً: التأمل في نعم الله، واستحضارها في كل لحظة وحين، وعدم الغفلة عنها، فإن كثيراً من الناس يتنعمون بشتى أنواع النعم من مأكّل، ومشارب، ومراكب، ومساكن، ومع ذلك لا يستشعرون هذه النعم، لأنهم لم يفقدوها يوماً من الأيام، واعتادوا عليها، لذلك فإن الله يريد منا التأمل في هذه النعم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاقْبَلُوا تَوْفِيقِي ﴿١﴾﴾ [فاطر].

ثانياً: أن ينظر كل واحد منا إلى من هو أسفل منه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «انظروا

إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»^(١)، وفي رواية: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال، والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»^(٢).

قال ابن جرير: «هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك، أو يقاربه. هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها، وتواضع وفعل فيه الخير»^(٣). اهـ.

ثالثاً: أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يسأله يوم القيامة عن شكر هذه النعم، هل قام بذلك أو قصر؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسمك، وأرويك من الماء البارد»^(٤)، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أكرمك، وأسودك»^(٥)، وأزوجك، وأسخر لك

(١) صحيح البخاري (ص ١٢٤٤) برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم (ص ١١٨٩) برقم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

(٢) البخاري (ص ١٢٤٤) برقم (٦٤٩٠)، ومسلم (ص ١١٨٨) برقم (٢٩٦٣).

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي (٦/٩٧).

(٤) مستدرک الحاكم (٤/١٥٤) برقم (٧٢٠٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٧٦) برقم (٥٣٩).

(٥) أي أجعلك سيداً على غيرك.

إلا أنني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث نافع - يعني عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: «كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقليل له: هو من المهاجرين، فلم نقصته من أربعة آلاف؟ فقال: إنما هاجر به أبواه. يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا»^(٣)، وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف»، وكان عمر بن عبد العزيز تسرج له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ أطفأها، وأسرج عليه سراج، وقال لامرأته يوماً: «عندك درهم أشتري عنباً. قالت: لا. قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا، أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم. قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم».

وتقدم كلام الشيخ ابن عثيمين أن الاشتباه على نوعين، اشتباه في الحكم، فلا يدري المؤمن هل هو من الحلال البين، أو من الحرام البين، فهذا أمثله كثيرة جداً، لأنها تختلف باختلاف أفهام العلماء، فمنهم من يرى التحريم، ومنهم من يرى الحل، وقد يمثل لذلك ببعض المعاملات، والمساهمات المالية المنتشرة في هذه الأيام^(٤).

(١) (ص ٧٢٩) برقم (٣٨٤٢). (٢) (ص ٧٤٥) برقم (٣٩١٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٥٢/٨) برقم (١٤٦٨٣).

(٤) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «الأسهم المختلطة» للشيخ صالح العصيمي فقد أجاد فيه وأفاد.

الخيل والإبل، وأذكرك ترأس، وتربع؟ فيقول: بلى. فيقول: أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه»^(٢).

رابعاً: شكر هذه النعم بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢] وقال أيضاً: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبا: ١٣] فاستمرار هذه النعم بالشكر بأنواعه الثلاثة، وذهابها بالمعاصي، والذنوب قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٠].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة يا رسول الله: أتصنع هذا، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٣). قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث مسلم في صحيحه (٢٢٧٩/٤) برقم (٢٩٦٨).

(٢) (٦١٢/٤) برقم (٢٤١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري (ص ٢٢٤) برقم (١١٣٠)، ومسلم (ص ١١٣٤) برقم (٢٨٢٠).

الكلمة الثالثة والتسعون

الورع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع، ورغب فيها: الورع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وأما الورع فإنه الإمساك عما قد يضر، فتدخل فيه المحرمات، والشبهات، لأنها قد تضر، فإن من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقع»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الورع ترك ما يضر، ومن ذلك ترك الأشياء المشتبه في حكمها، والمشتبه في حقيقتها، فالأول اشتباه في الحكم هل هو حرام أو حلال؟ والثاني اشتباه في الحال»^(٢)، روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/١٦٨).

الثاني الاشتباه في الحال، وقد يمثل لذلك بالدجاج المستورد من الخارج، فبعض العلماء يرى جوازه؛ لأنه من طعام أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقد تبين لدى بعض طلبة العلم أن كثيراً من هذا الدجاج يذبح بالصعق الكهربائي، أو غيرها من طرق الزكاة غير الشرعية، وهذا من المشتبه حاله، فالورع تركه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن من تورع، وترك الشبهات، فإن الله يعوضه خيراً مما فاتته، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِّلَّهِ ﷻ إِلَّا أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَّكَ مِنْهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٦٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠)، رواه أحمد بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح، وقال الألباني ﷺ في السلسلة الضعيفة (٦٢/١)، وسنده صحيح على شرط مسلم.

الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه»^(١).

وروى البزار من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»^(٢).

وروى النسائي من حديث الحسن بن علي قال: حفظت من النبي ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر، والإثم، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكهرت أن يطلع عليه الناس»^(٤)، وفي حديث آخر رواه أحمد: «وإن أفتاك عنه الناس»^(٥).

والورع بابه واسع يشمل الورع في النظر، والسمع، واللسان، والبطن، والفرج، والبيع، والشراء، وغير ذلك. ويكثر وقوع كثير من الناس في المحرمات والشبهات، بسبب تخلف هذه الأمور الثلاثة: الورع في اللسان، والبطن، والنظر، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر] قال الإمام أحمد بن حنبل: «هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيلحقها بصره»^(٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح مسلم (ص ٦٥١) برقم (١٥٩٩)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ٣٤) برقم (٥٢).

(٢) كشف الأستار (١/ ٨٥) برقم (١٣٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٢١٤).

(٣) (ص ٥٧٥) برقم (٥٧١١). (٤) (ص ١٠٣٢) برقم (٢٥٥٣).

(٥) (٤/ ٢٢٧). (٦) الورع للمروزي (ص ١١١).

«إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق، والمغرب»^(١)، ومعنى ما يتبين أي ما يتفكر فيها، ولا يتأملها هل هي خير أو شر.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: «أن النبي ﷺ سأل زينب بنت جحش عنها، فقالت: «أحمي سمعي، وبصري، ما علمت إلا خيراً»، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع»^(٢).

وقال وهيب بن الورد، ولو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أو حرام.

وقد كان عليه الصلاة والسلام إمام الورعين، فروى البخاري، ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد الثمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها لأكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فآلقها»^(٣)؛ لأن الصدقة محرمة عليه، وعلى أهل بيته.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتفون أثره ﷺ، ويتبعون سنته، فروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراج، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة،

(١) صحيح مسلم (ص ١١٩٧) برقم (٩٨٨)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ١٢٤٣) برقم (٦٤٧٧).

(٢) صحيح البخاري (ص ٩٢٢) برقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم (ص ١١١٢) - (١١١٥)، برقم (٢٧٧٠).

(٣) البخاري (ص ٤٥٧) برقم (٢٤٣٢)، ومسلم (ص ٤١٤١) برقم (١٠٧٠).

الكلمة الرابعة والتسعون

علاج الهموم والغموم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن المؤمن لا تخلو حياته من الهموم والأحزان التي تكدر عليه عيشته، وتنغص عليه لذته، ومع ما في ذلك من تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، فإن فيها فوائد أخرى، من أهمها أنها تدفع المؤمن للجوء إلى الله، والانكسار بين يديه، والتضرع إليه، فيحصل بذلك للقلب من الراحة والطمأنينة، واستشعار القرب من الله ﷻ ما لا يمكن وصفه.

وأيضاً فإن هذه المنغصات تجعل المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ولا يركن إليها، ويقبل على الآخرة على بصيرة بأنها خير وأبقى، إذ لا هم فيها ولا حزن، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١٤) الَّذِي أَلْهَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١٥﴾ [فاطر]، فما أعظم هذه الفائدة لمن عرف حكمة الله تعالى فيها، وهذه بعض الأسباب التي تدفع بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب لمن أحسن استعمالها.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفًى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل)، وهذا وعد من الله لمن آمن وعمل

صالحاً، أن الله يحييه حياة سعيدة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

ثانياً: فرح المسلم بما يحصل له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، جزاء صبره واحتسابه على ما يصيبه من هموم الدنيا، ومصائبها.

روى البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته»^(٣)، وفي رواية أخرى لمسلم: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة»^(٤). فيعلم المسلم أن ما يصيبه من هموم، وغموم إنما هو تكفير لسيئاته، وتكثير لحسناته، قال أحد السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس»، وكان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ثالثاً: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها فانية، متاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدره، لا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلاً، أبكت طويلاً، وإن سرت يسيراً أحزنت كثيراً، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فيوم لك، ويوم عليك، روى مسلم في

(١) (ص ١٢٠٠) برقم (٢٩٩٩).

(٢) البخاري (ص ١١٠٩) برقم (٥٦٤٢).

(٣) (ص ١٠٣٩) برقم (٢٥٧٣). (٤) (ص ١٠٣٨) برقم (٢٥٧٢).

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»^(١)، وهي كذلك دار نصب، وأذى، وغم، وهم، ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقها، روى البخاري، ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة أن النبي ﷺ مر عليه بجنازة، فقال: «مستريح، ومستراح منه». قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدواب»^(٢) فهذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا، يهون عليه المصائب، والهموم؛ لأنه يعلم أن ذلك من طبيعتها.

رابعاً: هموم الدنيا وغمومها تشتت النفس، وتفرق شملها، فإذا جعل العبد الآخرة همه جمع الله له شمله، وقويت عزيمته، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(٣).

خامساً: الدعاء، فإنه علاج نافع لدفع الهم، والغم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه]، وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الهم، والحزن. روى البخاري في صحيحه من حديث

(١) (ص ١١٨٧) برقم (٢٩٥٦).

(٢) البخاري (ص ٦٥٠٩) برقم (١٢٤٨)، ومسلم (ص ٣٦٨) برقم (٩٥٠).

(٣) (ص ٤٠٣) برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١١١١) برقم (٦٥١٦).

أنس بن مالك قال: «كنت أخدم النبي ﷺ إذا نزل فكنت أسمعه كثيراً يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»^(٢).

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعا، وعمل له، وانقلب همه فرحاً، وسروراً.

سادساً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيهِ من كل شيء مما يهمله من أمر الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم، والغموم، وزالت عنه كثيرٌ من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه...»^(٣) إلى آخر ما قال.

والأسباب كثيرة لمن تأملها، وقد اقتصرنا على الأهم منها، وجماع هذه الأسباب قراءة القرآن بتدبر، فإنه ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء الأحزان، وذهاب الهموم والغموم، والشفاء لجميع

(١) (ص ٥٥٦) برقم (٢٨٩٣).

(٢) (ص ٥٤٩) برقم (٥٠٩٠).

(٣) الأسباب المفيدة في الحياة السعيدة، (ص ٢٤ - ٢٥).

الأمراض البدنية والقلبية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمن قرأ هذا القرآن بتدبر وإقبال، ذهب عنه الهموم والغموم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد^(١)].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة الشيخ محمد المنجد: (علاج الهموم).

الكلمة الخامسة والتسعون

قصة نبي الله أيوب عليه السلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قصّ الله علينا في كتابه العزيز قصص الأنبياء والمرسلين، لناخذ منها الدروس والعبر، ولتثبت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية إيمان المؤمنين، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود].

ومن هؤلاء الرسل نبي الله أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [٨٨] [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ يُضَيِّبُ وَعَذَابٍ﴾ [٨٩] أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ [٩٠] وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ [٩١] وَخَذَ بِيَدِكَ مُضْغًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٩٢]﴾ [ص].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: إن أيوب عليه السلام كان رجلاً كثير المال بأنواعه المتعددة، من الأراضي الواسعة، والأنعام والمواشي، وكان ذلك بأرض بثينة بأرض حوران بالشام، قال ابن عساكر: «كانت كلها له، فابتلاه الله بفقد ذلك كله، وابتلي بأنواع البلايا في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، وكان يذكر الله بهما، ويسبح ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأنيس، وعافه القريب والبعيد، ورمي في مزبلة خارج بلده، ولم يبق عنده سوى زوجته، كانت تحفظ حقه، وقديم إحسانه، وشفقته عليها، وكانت تعمل بالأجر عند الناس، وتأتيه بالطعام، مع صبرها على فراق المال والولد، ومرض الزوج بعد النعمة، والحرمة التي كانت فيها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكما تقدم كانت تخدم الناس بالأجر، وتطعم أيوب عليه السلام، ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفاً من أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً، فلما كان من الغد لم تجد أحداً فباعت الضفيرة الأخرى بطعام، فأتته به فأنكره، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها محلوقاً قال في دعائه: ﴿أَيُّ مَسْقَى الْخُبْرِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فجاء الفرج من الله: ﴿أَرْكَضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ ۝﴾ أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله عيناً باردة الماء، وأمره أن يغتسل فيها، ويشرب من مائها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك صحة

ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال مطراً عظيماً، جراد من ذهب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتشي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك»^(١).

وأخلف الله له أهله، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: عوضه الله عنهم في الدنيا بدلهم، وقيل غير ذلك، رحمة منا ورأفة وإحساناً وذكرى للعابدين^(٢).

ومن الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله أيوب عليه السلام:

أولاً: ابتلاء الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وأن هذا البلاء لم يزد إلا صبراً، واحتساباً، وحمداً، وشكراً، حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام، ويضرب المثل بما حصل له من أنواع البلاء. قال السدي: «تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم، والعصب»، روى أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب، والبعيد، إلا رجلان من إخوانه، كانا يغدوان إليه، ويروحان. فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنّب أيوب ذنباً ما أذنّب أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا أدري ما تقولان، غير أن الله يعلم أنني كنت أمر

(١) (ص ٧٥) برقم (٢٧٩).

(٢) البداية والنهاية (١/ ٥٠٧ - ٥٠٩).

بالرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق...»^(١) الحديث.

روى الإمام أحمد في مسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»^(٢).

ثانياً: أن يقال: يا أهل البلاء، يا من ابتليتكم في أموالكم، أو أولادكم، أو أنفسكم اصبروا، واحتسبوا، فإن العوض من الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَكَثِيرٌ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٥٧﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه»^(٤).

ثالثاً: أن من أصيب بمصيبة فصبر واحتسب واسترجع عوضه الله خيراً مما فاته، كما حصل لأيوب عليه السلام، روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها». قالت: فلما توفي أبو سلمة

(١) (٢٩٩/٦) برقم (٣٦١٧). (٢) (١٧٢/١).

(٣) البداية، والنهاية (٥١٣/١).

قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ، ثم عزم الله لي فقلتها. قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ^(١).

رابعاً: أن في هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهن، ولهن في ذلك قدوة امرأة أيوب عليه السلام، وكيف صبرت واحتسبت حتى كشف عن زوجها الغمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه»^(٢).

خامساً: أن الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجاً ومخرجاً، فإن أيوب حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، قال ابن كثير: «فلما عافاه الله ﷻ أفتاه أن يأخذ الضغث، وهو شمراخ النخل، فيضربها ضربة واحدة، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمائة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصديقة البارة الراشدة؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (ص ٣٥٦ - ٣٥٧) برقم (٩١٨).

(٢) (٦٥/٢٠) برقم (١٢٦١٤).

(٣) البداية، والنهاية (١/٥١٤).

الكلمة السادسة والتسعون

الأسباب الجالبة لمحبة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

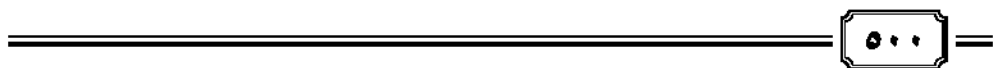
فإن محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وينقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، روى البخاري، ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة:

الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به، قال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْءَانَ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد]، وقال عبد الله بن مسعود: «لا تنثروه كثر الدقل، ولا تهذوه كهذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»^(٢).

(١) صحيح البخاري (ص ٢٦ - ٢٧)، وصحيح مسلم (ص ٥٠) برقم (٤٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).



الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»^(١).

الثالث: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم»^(٢).

الرابع: إيثار محابه على محابك، عند غلبة الهوى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِمَّا جَاءَ بِأَمْرِ اللَّهِ فَتَرْجِسُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة]. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله،

(١) (ص ١٢٤٧) برقم (٦٥٠٢).

(٢) البخاري (ص ١٤١٠) برقم (٧٤٠٥)، ومسلم (ص ١٠٧٥) برقم (٢٦٧٥).

ويوالي فيه، ويعادي فيه، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(١)، وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(٢).

الخامس: مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

السادس: مشاهدة بره، وإحسانه، ونعمه الظاهرة، والباطنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعُدُّونَهَا إِذَا مَسَّكُمُ الْعُسْرُ فَلَا يُؤْوِي إِلَيْكُمْ فَتَعْتُرُونَ﴾ [النحل].

ومن أعظم هذه النعم نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

السابع - وهو أعجبها -: انكسار القلب بين يديه، قال شيخ الإسلام: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس، والعمل»، روى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس

(١) البخاري (ص ٢٦) برقم (١٥)، ومسلم (ص ٥٠) برقم (٤٤).

(٢) (ص ١٢٦٧) برقم (٦٦٣٢).

الكلمة السابعة والتسعون

حوض النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر]، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس ؓ قال: «الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف، قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه مسك أذفر»^(٢).

وهذا الكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر ؓ أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ»^(٣).

(١) (ص ١٢٥٨) برقم (٦٥٧٨). (٢) (ص ١٢٥٩) برقم (٦٥٨١).

(٣) (ص ٩٤٢) برقم (٢٣٠٠).

أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد... فذكر الحديث» فجمع في قوله ﷺ أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والشكر لولي النعمة والإحسان، ومطالعة عيب النفس، والعمل، توجب الذل والانكسار والافتقار في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلساً، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالاً، ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه، ويرى في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله ويتداركه برحمته^(١). اهـ.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الذاريات]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟»^(٢).

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم، وعدم الكلام إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧ - ٨).

(٢) البخاري (ص ٢٢٦) برقم (١١٤٥)، ومسلم (ص ٢٩٨) برقم (٧٥٨).

«لولا ثلاث ما أحببت العيش في الدنيا: الغزو في سبيل الله، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر»^(١) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب سبحانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

(٢) البخاري (ص ١١٨٣) برقم (٦١٣٦)، ومسلم (ص ٥١) برقم (٤٧).

وفي رواية أخرى لمسلم: «يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق»^(١).

وهذا الحوض، وصفته ثبتت بطرق عن جمع من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر ذلك واستفاض، بل تواترت في كتب السنة من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، والحوض هو مجمع الماء.

قال النووي رحمته الله: «وهذا تصريح بأن الحوض حقيقي على ظاهره كما سبق، وأنه مخلوق موجود اليوم»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «والحوض موجود الآن»^(٣) لما رواه البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر، فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ومنبري على حوضي»^(٥).

ولهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض^(٦). اهـ.

وأما في كيفية مائه، فإنه أشد بياضاً من اللبن، هذا اللون، أما في الطعم فإنه أحلى من العسل، وفي الرائحة أطيب من المسك.

(١) (ص ٩٤٣) برقم (٢٣٠١). (٢) شرح صحيح مسلم (٥/٥٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

(٤) البخاري (ص ١٢٦٠) برقم (٦٥٩٠)، ومسلم (ص ٩٤١) برقم (٢٢٩٦).

(٥) البخاري (ص ١٢٥٩) برقم (٦٥٨٨)، ومسلم (ص ٥٤٥) برقم (١٣٩١).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

روى مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(١)، وفي رواية في الصحيحين: «وريعه أطيب من المسك»^(٢).

أما آتيته فعدد نجوم السماء، وهذا ورد في بعض ألفاظ الحديث في الصحيحين^(٣)، وفي بعضها «آتيته كنجوم السماء»^(٤)، وهذا لفظ أشمل لأنه يكون كالنجوم في العدد، وفي الوصف بالنور واللمعان، فآتيته كنجوم السماء كثرة، وإضاءة، وفي بعض روايات الصحيح أن هذه الأباريق من ذهب، وفضة^(٥).

ومساحة هذا الحوض طوله شهر، وعرضه شهر، قال الشيخ ابن عثيمين: وهذا يقتضي أن يكون مدوراً، لأنه لا يكون بهذه المساحة من كل جانب إلا إذا كان مدوراً، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلوم في عهد النبي ﷺ من سير الإبل المعتاد^(٦)، فقد جاء في الصحيحين: «أن عرضه مثل طوله من عمان إلى أيلة»، وعمان بلدة بالبلقاء من الشام، وأيلة بلدة بطرف بحر القلزم من طرف الشام، وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر^(٧).

(١) (ص ٩٤٣) برقم (٢٣٠١).

(٢) صحيح مسلم (ص ٩٤٠) برقم (٢٢٩٢)، وصحيح البخاري (ص ١٢٥٨) برقم (٦٥٧٩).

(٣) البخاري (ص ١٢٥٨) برقم (٦٥٨٠)، ومسلم (ص ٩٤٣) برقم (٢٣٠٣).

(٤) صحيح مسلم (ص ٩٤٠) برقم (٢٢٩٢)، وصحيح البخاري (ص ١٢٥٨) برقم (٦٥٧٩).

(٥) صحيح مسلم (ص ٩٤٤) برقم (٢٣٠٣).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (١٥٩/٢).

(٧) صحيح مسلم (ص ٩٤٢) برقم (٢٣٠٠).

وفي رواية أخرى: «ما بين جرباء وأفروح»، وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام^(١)، وفي رواية أخرى: «قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن»^(٢)، وفي أخرى: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة»^(٣).

وذكر بعض العلماء تأويلات لاختلاف هذه المسافات التي ذكرت في عرض الحوض وطوله.

منها أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، وقيل غير ذلك^(٤).

وزمن الورود على الحوض قبل العبور إلى الصراط، لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل العبور إلى الصراط، وقد رجح بعض أهل العلم ذلك، ومن شرب من الحوض لم يظماً أبداً، لما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: «ومن شرب منه لم يظماً أبداً»^(٥).

أما أسباب الورود على الحوض:

فأولاً: التمسك بالكتاب والسنة، والثبات على ذلك، والبعد عن البدع وكبائر الذنوب، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي

(١) صحيح مسلم (ص ٩٤٢) برقم (٢٢٩٩)، وصحيح البخاري (ص ٢٥٨) برقم (٦٥٧٧).

(٢) البخاري (ص ١٢٥٨) برقم (٦٥٨٠)، ومسلم (ص ٩٤٣) برقم (٢٣٠٣).

(٣) البخاري (ص ١٢٦٠) برقم (٦٥٩١)، ومسلم (ص ٩٤٢) برقم (٢٢٩٨).

(٤) انظر: فتح الباري (١١/٤٧٢).

(٥) البخاري (ص ١٢٥٨) برقم (٦٥٧٩)، ومسلم (ص ٩٤٠) برقم (٢٢٩٢).

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يترفقا حتى يردا على الحوض»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا»^(٢).

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون للكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم^(٣). ١٠هـ.

ثانياً: الصبر على ما يصيب المؤمن من نقص في الدنيا، واستثثار غيره بها، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لأصحابه الأنصار: «ستجدون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض»^(٤).

ثالثاً: المحافظة على الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) (١٧٢/١) برقم (٣١٩) وصححه الحاكم.

(٢) صحيح البخاري (ص ١٢٥٩) برقم (٦٥٨٣ - ٦٥٨٤، ٦٥٩٣)، وصحيح مسلم (ص ٩٤٠) برقم (٢٢٩٠).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٣٧).

(٤) البخاري (ص ٧٢١) برقم (٣٧٩٢)، ومسلم (ص ٧٧١) برقم (١٨٤٥).

حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغربية عن حوضه. قالوا يا رسول الله: وتعرفنا؟ قال: نعم، تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم»^(١).

اللهم أوردنا حوض نبيك، واجعلنا من المتبعين لسنته، اللهم اسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً، اللهم احشرنا في زمرة، واجعلنا من أتباعه مع النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافعي)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة «الشافعي»، والشفاء يشمل شفاء الأبدان، وشفاء الصدور من الشبه والشهوات قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضاً يقول: «أذهب البأس رب الناس، أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٢).

وفي هذا الحديث طلب الشفاء من جميع الأمراض، وليس من ذاك المرض الذي أصيب به المريض، ويشعر للمسلم أن يقول: «يا

(١) البخاري (ص ٥٢٦) برقم (٢٧٣٦)، ومسلم (ص ١٠٧٦) برقم (٢٦٧٧).

(٢) مسلم (ص ٩٠٢) برقم (٢١٩١)، والبخاري (ص ١١٢٥) برقم (٥٧٤٣).

شافي اشفني» فالله ﷻ يشفي من أمراض القلوب كالغل، والحسد، والشهوات، ويشفي من أمراض الأبدان، ولا يدعى بهذا الاسم سواه.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً: أن الله تعالى هو الشافي، ولا شافي إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِضُرٍّ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

ثانياً: أن الله تعالى هو الشافي، لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، وله أسباب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء»^(١).

ومن الأسباب التي جعلها الله شفاء:

الدعاء: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة]، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض»^(٢).

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]،

وكان النبي ﷺ يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله تعالى، كما كان يرقى نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا»^(١)، وكان النبي ﷺ ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات^(٢).

ومنها العسل: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النحل].

ومنها الحبة السوداء: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»، قال ابن شهاب: «والسام الموت»^(٣).

ومنها الحجامة: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة، في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»^(٤).

ومنها ماء زمزم: روى أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له»^(٥)، وكان ابن عباس إذا شرب

(١) البخاري (ص ١١٢٥) برقم (٥٧٤٥)، ومسلم (ص ٩٠٣) برقم (٢١٩٤).

(٢) صحيح البخاري (ص ١١٢٤) برقم (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم (ص ٩٠٢) برقم (٢١٩٢).

(٣) البخاري (ص ١١١٧) برقم (٥٦٨٨)، ومسلم (ص ٩٠٩) برقم (٢٢١٥).

(٤) (ص ١١١٨) برقم (٥٦٨١).

(٥) (٣/٣٥٧).

ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء»^(١).

ومنها ما أنزله الله ﷻ في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده.

ثالثاً: أن هذا الشفاء قد يتأخر لحكمة إلهية، رفعاً لدرجات المريض، وتكفيراً لسيئاته:

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٢) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء]، ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عاماً ابتلاء من الله لنبيه، روى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض»^(٢).

ومما نبه عليه بعض أهل العلم أن بعض المرضى إذا أصيبوا بمرض تعلق قلوبهم بالأسباب، كالمستشفيات، والأطباء، والواجب أن يكون تعلق القلب بالذي أنزل الداء، ولا يرفعه إلا هو.

وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في غيبوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى، وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيبوبة، وقد شفاه الله،

(١) مصنف عبد الرزاق (١١٣/٥) برقم (٩١١٢).

(٢) (ص ٣٩٣) برقم (٢٤٠٢).

وهو حي يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان، وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناساً من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله العزيز الحكيم، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والتسعون

خطورة الدش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن فتنة دخلت بيوت كثير من المسلمين، وحصل منها الكثير من الشرور والمفاسد، إنه الدش؛ والكلام عنها يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية، ثانياً: أقوال العلماء، ثالثاً: شبهات والجواب عنها، برنامج ستار أكاديمي وخطورته.

فمن تلك المخالفات ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصورة كريهة، كوضع

اللحية على رجل ناقص العقل، وتمثيل تعدد الزوجات على أنه خيانة زوجية، ولمز الصالحين، وأهل الخير، ونحو ذلك مما هو استهزاء صريح بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِكُمْ وَأَيُّكُمْ وَرَسُولِهِمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْلَمُونَ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومنها: تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء على أنه لا حرمة فيه، عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور]. روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سألت النبي ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري»^(١)، فكيف بمن يتعمد النظر في النساء الكاسيات العاريات، وهن بكامل زينتهن على شاشات القنوات الفضائية، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل زينتهم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ ظَنٍّ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦١﴾﴾ [لقمان]، وأكثر المفسرين كابن عباس، وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف على ذلك، روى البخاري في

صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف»^(١)، فأخبار النبي ﷺ على أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

ومنها: قتل الغيرة عند المسلمين، وكيف يرضى المسلم الغيور أن تجلس زوجته وبناته أمام شاشات القنوات الفضائية ينظرون إلى الشباب والشابات، وهم في أوضاع جنسية سيئة يندى لها الجبين، ويتفطر لها القلب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»^(٢)، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «شاع في هذه الأيام بين الناس ما يسمى بالدش، أو بأسماء أخرى، وأنه ينقل جميع ما يبث في العالم من أنواع الفتن والفساد، والعقائد الباطلة، والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبثه من الصور النسائية، ومجالس الخمر والفساد، وسائر أنواع الشر الموجود في الخارج، وثبت لدي أنه قد استعمله كثير من الناس، وأن آلاته تباع وتصنع في البلاد، فلهذا وجب علي التنبيه إلى خطورته، ووجوب محاربته والحذر منه، وتحريم استعماله، في البيوت وغيرها، وتحريم بيعه وشرائه، وصنعه أيضاً، لما في ذلك من الضرر العظيم، والفساد الكبير، والتعاون على الإثم والعدوان، ونشر الكفر والفساد بين المسلمين، والدعوة إلى ذلك بالقول والعمل..... إلى آخر ما قال»^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قال النبي ﷺ: «ما من

(١) (ص ١١٠١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري (ص ١٣٠٦) برقم (٧٤١٦)، ومسلم (ص ٦٠٧) برقم (١٤٩٩).

(٣) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ ابن باز (٣٩٩/٧).

عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة^(١). وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى، والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله، لقول النبي ﷺ: «الرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته»^(٢)، وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال، فإنه قد مات وهو غاش لرعيته، وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا الدش الذي ركبه الإنسان قبل موته فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمن، وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم أن تخلف بعدك ما يكون إثماً عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدشوش فإن الواجب عليك أن تكسره؛ لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالباً، ولا يمكن بيعه؛ لأنك إذا بعته مكنت المشتري من استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إذا وهبته، فإنك معين على الإثم والعدوان، ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت، إلا بتكسير هذه الآلة «الدش» التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص، فاحذر يا أخي أن يأتيك الموت فجأة، وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، فإن إثمها ستبوء به، وسوف يجري عليك بعد موتك^(٣).

ومن الشبهات قول بعضهم: «إنه يشاهد في هذا الدش البرامج الدينية، وأخبار العالم، فيقال إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم

(١) صحيح البخاري (ص ١٣٦٤) برقم (٧١٥)، وصحيح مسلم (ص ٨١) برقم (١٤٢)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري (ص ١٧٩) برقم (٨٩٣)، وصحيح مسلم (ص ٧٦٣) برقم (١٨٢٩).

(٣) خطبة للشيخ ابن عثيمين رحمه الله بتاريخ ١٤١٧/٣/٢٥هـ.

وأفضل منه، وقد نصح الشيخ ابن باز رحمته الله بالاستماع إليها، وغيرها من البدائل الأخرى.

سئلت اللجنة الدائمة عن برنامج تعرضه إحدى القنوات الفضائية المسمى باستار أكاديمي، وما يشابهه من البرامج، وبعد دراسة الموضوع رأت اللجنة تحريم بث هذه البرامج، ومشاهدتها، وتمويلها، والمشاركة فيها، والاتصال عليها للتصويت، أو إظهار الإعجاب بها، وذلك لما اشتملت عليه تلك البرامج من استباحة للمحرمات المجمع على تحريمها والمجاهرة بها، ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري قال النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(٢).

وأى مجاهرة بالمحرمات والفواحش تفوق ما تبثه هذه البرامج التي اشتملت على جملة من المنكرات العظيمة، من أهمها:

أولاً: الاختلاط بين الجنسين من الذكور والإناث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»^(٣).

(١) (ص ١١٠١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري (ص ١١٧٣) برقم (٦٠٦٩)، ومسلم (ص ١١٩٨) برقم (٢٩٩٠).

(٣) مسلم (ص ٥٣١) برقم (١٣٤١)، والبخاري (ص ٣٥٤) برقم (١٨٦٢).

فكيف بهذه البرامج التي تقوم فكرتها الرئيسية على خلط الجنسين من الذكور والإناث، وإزالة الحواجز فيما بينهم مع ما عليه الإناث من التبرج والسفور، وإظهار المفاتن مما يسبب الشر والبلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِيكَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

ثانياً: الدعوة الصريحة للفاحشة، ووسائلها، قال تعالى: ﴿لِذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ٢٤].

ثالثاً: الدعوة إلى إماتة الحياء، وقتل الغيرة في قلوب المسلمين بألفة مشاهدة هذه المناظر التي تهيج الغرائز، وتبعد عن الأخلاق والفضائل، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البديري أن النبي ﷺ قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١)، وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني»^(٢).

ولا يكفي في ذلك أيها المسلم أن تترك المشاركة في هذه البرامج والنظر إليها، بل يجب عليك النصح والتذكير لمن تعلم أنه يشارك فيها بأي وجه من الوجوه، لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان^(٣). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (ص ١١٨) برقم (٦١٢٠).

(٢) (ص ١٣٠٦) برقم (٦٨٤٦)، وصحيح مسلم (ص ٦٠٧)، برقم (١٤٩٩).

(٣) رقم (٢٢٨٩٥)، وتاريخ ١٤٢٥/٢/٨ هـ.

ومنها أن المتخلف عن صلاة الفجر يعرض نفسه لعقوبة الله في قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم]، وفي صحيح البخاري قصة رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يثلغ رأسه بالحجر، فسأل عنه، ف قيل له: «إنه الرجل الذي يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة»^(١).

وسئلت اللجنة الدائمة برقم (٥١٣٠) عن شخص لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس فما حكم صلاته؟ وهل يؤثر على الصيام؟ فكان الجواب: تركه لصلاة الصبح من غير نوم ولا نسيان بل تكاسلاً عنها حتى تطلع الشمس كفر أكبر على الصحيح من أقوال العلماء، وعلى هذا القول صيامه غير صحيح. اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ١٣٤٨) برقم (٧٠٤٧).

الكلمة المائة

«فضل صلاة الفجر»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومن بين هذه النعم العظيمة نعمة النوم التي امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ رَحِمْتِهِ جَعَلْ لَكَ الْإِيلَ وَالنَّهَارَ لِتَشْكُرُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصر: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبُلًا﴾ [النبا: ١٢]، فسكون العبد ساعات بالليل بعد حركة النهار المتواصلة مما يساعد على حياة المسلم وبقاء نمائه ونشاطه؛ ليؤدي وظائفه التي خلقه الله من أجلها، ومن بين هذه الوظائف صلاة الفجر جماعة في المسجد، وهي صلاة فاضلة عظيمة.

وإليك أخي المسلم البشائر والفضائل العظيمة لمن أدى صلاة الفجر مع الجماعة:

أولاً: أنه في ذمة الله، أي في ضمان الله، وحفظه ورعايته في الدنيا والآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه

في نار جهنم»^(١).

ثانياً: أنها النجاة للعبد من النار، روى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن روبية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها - يعني الفجر والعصر»^(٢).

ثالثاً: أنها سبب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «من صلى البردين دخل الجنة»^(٣).

رابعاً: شهادة الملائكة لهذه الصلاة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(٤).

خامساً: النور التام يوم القيامة، روى ابن ماجه في سننه من حديث سهل بن سعد الساعدي أن النبي ﷺ قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٥).

سادساً: أنه يكتب له قيام ليلة، روى مسلم من حديث عثمان بن عفان أن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف

(١) (ص ٣٥٨) برقم (٦٥٧). (٢) (ص ٢٥٠) برقم (٦٣٤).

(٣) البخاري (ص ١٢٨) برقم (٥٧٤)، ومسلم (ص ٢٥٠) برقم (٦٣٥).

(٤) البخاري (ص ١٢٤) برقم (٥٥٥)، ومسلم (ص ٢٤٩) برقم (٦٣٢).

(٥) (ص ٩٤) برقم (٧٨١).

الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»^(١).

سابعاً: الأمن من النفاق، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»^(٣)، وقال ابن عمر: «كنا إذا فقدنا الرجل في العشاء، وفي الفجر أسأنا به الظن»^(٤).

ثامناً: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٥)، فإذا كانت سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها من أموال وقصور، وأنهار، وزوجات، وغير ذلك من الشهوات والملذات فكيف إذن بصلاة الفجر.

تاسعاً: رؤية الله ﷻ وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتسابق إليها المتسابقون، روى البخاري ومسلم من حديث جرير البجلي رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر -

(١) (ص ٢٥٨) برقم (٦٥٦).

(٢) مسلم (ص ٢٥٦) برقم (٦٥١)، والبخاري (ص ١٤٠) برقم (٦٥٧).

(٣) (ص ٢٥٧) برقم (٦٥٤).

(٤) صحيح ابن حبان (٤٥٥/٥) برقم (٢٠٩٩).

(٥) (ص ٢٨٦) برقم (٧٢٥).

فقال إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(١).

عاشراً: أن المحافظ على صلاة الفجر من أطيب الناس عيشاً، وأنشطهم بدنأً، وأنعمهم قلباً، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»^(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة فيها التحذير الشديد لمن تهاون في صلاة الفجر فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(٣).

قال بعض أهل العلم: «إن النبي ﷺ ما همَّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنباً عظيماً، وجرمأً كبيراً».

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال: ذكر للنبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح. قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال في أذنه»^(٤)، وحسب من كان كذلك خيبة وخسارة وشرأ.

-
- (١) البخاري (ص ١٢٤) برقم (٥٥٤)، ومسلم (ص ٢٤٩) برقم (٦٣٣).
 (٢) البخاري (ص ٢٢٥) برقم (١١٤٢)، ومسلم (ص ٣٠٦) برقم (٧٧٣).
 (٣) مسلم (ص ٢٥٦) برقم (٦٥١)، والبخاري (ص ١٤٠) برقم (٦٥٧).
 (٤) مسلم (ص ٣٠٦) برقم (٧٧٤)، والبخاري (ص ٢٢٦) برقم (١١٤٤).

الكلمة المائة وواحد

السعادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل إنسان في هذه الحياة يسعى إلى السعادة، وهي مطلب حقيقي لجميع الناس، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والغني والفقير، كلهم يريدون السعادة ولكنهم يختلفون في نظرتهن لها، فمنهم من يراها في جمع المال والدرهم، وآخر يراها في الحصول على المناصب الرفيعة، وآخر يراها في الحصول على الشهادات العالية، ومنهم من يراها في غير ذلك.

والحق أن هذه الأمور جزء من السعادة، وليست السعادة كلها، فهي سعادة وقتية تزول بزوالها، فصاحب المال قد يفقد ماله، وصاحب المنصب قد يزاح من منصبه، بل إن هذا المال الذي هو عصب الحياة إذا لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله يكون وبالاً عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْبُدْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة].

قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
ليس السعيد الذي تسعده دنياه إن السعيد الذي ينجو من النار
كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ

يَوْمَ أَلْقَيْكُمْهُ فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٧٥﴾ [آل عمران].

روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع من السعادة، المرأة الصالحة، والسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٢).

ووصفت هذه المرأة الصالحة في حديث آخر رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره»^(٣).

وذكر الشيخ السعدي رحمته الله أن من أسباب السعادة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، قال ابن عباس: الحياة الطيبة هي الحياة السعيدة^(٤)، وهذه السعادة شعور يضعه الله في قلوب عباده الصالحين وإن كانوا في ضيق الدنيا.

قال ابن القيم رحمته الله وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية رحمته الله: «ومع ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم عيشًا، وأنعمهم قلبًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا الأرض، واشتد بنا الكرب، أتيناها فما هو إلا أن نسمع

(١) صحيح ابن حبان (٣٤٠/٩) برقم (٤٠٣٢).

(٢) (ص ٥٨٥) برقم (١٤٦٧). (٣) (ص ٣٤٢) برقم (٣٢٣١).

(٤) تفسير ابن كثير (٥٨٥/٣).

كلامه ونراه، حتى ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من طيبها وريحها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»^(٢).

وقال أيضاً عندما قيل له إن السلطان قد أمر بنفيك إلى قبرص أو قتلك، أو سجنك، فقال: «والله إن بي من الفرح والسرور ما لو قسم على أهل الشام لوسعهم، والله إنني كالغنم لا تنام إلا على صوف، إن نفيت إلى قبرص دعوت أهلها إلى الإسلام».

ويقول أحد السلف: «إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب»، ويقول آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيف».

ثانياً: من أسباب السعادة الإيمان بقضاء الله وقدره، فإن الإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر، أحس براحة نفس، وانشرح صدر بما وقع له، وإن كان مما يكره، فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدرُوا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدرُوا عليه»^(٣).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨١). (٣) قطعة من حديث (١/٣٠٧).

قال عمر رضي الله عنه: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر».

ثالثاً: الإكثار من ذكر الله تعالى، فإن له سرّاً عجيباً، في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وذكر ابن القيم مائة فائدة للذكر، منها: أن الذكر يطرد الهم والحزن، ويجلب الفرح والسرور وطيب العيش.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

رابعاً: القناعة برزق الله، فإن من قنع بما قسم الله سبحانه له انشرح صدره، وارتاحت نفسه، روى مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»^(١).

خامساً: أن يعلم المؤمن علم اليقين أن السعادة الحقيقية في الآخرة، وأن الدنيا دار المصائب والنكد والأحزان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البعد].

وقال تعالى حاكياً عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الزمر] الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ [٢٥] [فاطر].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٢).

ولما سئل الإمام أحمد رحمته الله: متى يرتاح المؤمن؟ قال: أول ما يضع قدمه في الجنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة المائة واثنان

فتنة الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر النبي ﷺ أمته منها في آخر الزمان فتنة الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «إني أنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»^(١).

قال الإمام السفاريني رحمه الله: «وينبغي لكل عالم أن يبت أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، لا سيما في زماننا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنن فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٢).

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، وردت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه

(١) البخاري (ص ١١٩٠) برقم (٦١٧٥)، ومسلم (ص ٩٥) برقم (١٦٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٠٦ - ١٠٧).

المؤمنون، فلا يفتنون به. ومن صفاته أنه رجل أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، ممسوح العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، أي لحمية تنبت في مقدمة العين، ومكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤها كل مسلم، كاتب أو غير كاتب، وهو عقيم لا يولد له.

ويخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، قال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة بها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالة الخضراء، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتقين، فيفر الناس منه إلى الجبال، ويسيروا في الأرض، فلا يترك بلداً إلا دخله، إلا مكة والمدينة، فقد حرم الله عليه دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما^(١).

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم، وذلك بسبب ما يجريه الله معه من الخوارق العظيمة، التي تبهر العقول، وتحير الألباب، فقد ورد أن معه جنة وناراً، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض.

ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث، استدبرته الريح، إلى غير ذلك من الخوارق، كل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، محنة

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٠٥/١٩).

من الله واختباراً، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين، ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تاجج، فإذا أدركن أحد، فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأ رأسه فليشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض، قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفيها فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله، وما إسرعه في الأرض؟، قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبث، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحليين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيحاسب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ،

(١) (ص ١١٧٦) برقم (٢٩٣٤).

فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة^(١).

أما الوقاية من فتنة الدجال، فقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، ومن ذلك:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزّه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانياً: التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(٢).

ثالثاً: معرفة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ التي بين فيها صفات الدجال، وزمن خروجه، ومكانه، وطريق النجاة منه، وقد ذكرت بعض ذلك، ومن أراد التوسع فليراجع النهاية لابن كثير، أو إتحاف الجماعة للشيخ التويجري، أو أشرط الساعة للشيخ الوابل، أو غيرها.

رابعاً: حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتمها، روى

(١) (ص ١١٧٧) برقم (٢٩٣٧). (٢) (ص ٢٣٤) برقم (٥٨٨).

مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»^(١)، وفي رواية: «من آخر الكهف»^(٢).

قال النووي: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وكذلك آخرها، قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُوْفِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف]^(٣).

خامساً: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه، والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد أخبر النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال، روى أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «من سمع بالدجال فليأمن به، فوالله إن الرجل ليأمن به وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات، هكذا قال»^(٤).

نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (ص ٣١٦) برقم (٨٠٩).

(٢) (ص ٣١٦) برقم (٨٠٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٩٢ - ٩٣).

(٤) (ص ٤٧١) برقم (٤٣١٩).

الكلمة المائة وثلاثة

شرح اسم الله (الحكيم)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتابه: «الحكيم»، قال ابن كثير: «الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها بحكمته وعدله»^(٢).

وللحكيم معنيان: أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٨٤).

(١) (ص ٥٢٦) برقم (٢٧٣٦).

قال تعالى: ﴿وَمَا اخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى].

وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللاتقة بها.

ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزاء مقرونة بالحكمة ومربوطة بها، فلم يخلق سبحانه شيئاً عبثاً، ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فما أعطى الله شيئاً إلا لحكمة، ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة، ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة، وما أمر الله بشيء إلا لحكمة، والحكمة في فعله والتزامه، ولا نهى عن شيء إلا لحكمة. قال تعالى مقررّاً هذه الصفة العظيمة في الحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١١٥، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ١١]، قال بعضهم: ذكر الحكيم في أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيم والعليم، مما يدل على أن حكمته صادرة عن عزة وعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿نَزَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣] وقال أيضاً: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، وما جاءت إلا لإسعاد البشرية، فليس هناك أعدل من الله في حكمه لمن

(١) انظر الضياء اللامع من الخطب الجوامع (١/ ٨٦ - ٨٧).

عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخِشُوا اللَّهَ يَحْكُمُ اللَّهُ يُخَيِّرُ اللَّهُ بَيْنَ خَيْرِ الْخَيْرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة].

ثانياً: أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً فَمَا تُغْنِ الْأَنْذُرُ﴾ [القمر]، قال ابن القيم رحمته الله وهو يتحدث عن الحكمة: «وله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها»^(١).

ثالثاً: أن كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين، وقد وصف الله القرآن العظيم، وهو كلامه المنزل على نبيه محمد صلوات الله عليه بأنه حكيم ومحكم في ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢].

فالقرآن حكيم في أسلوبه الرائع، حكيم في تشريعاته، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في قصصه وأخباره، حكيم في كل ما اشتمل عليه.

رابعاً: أن الله يؤتي الحكمة من يشاء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتنوعت

عبارات المفسرين في المراد بالحكمة، وقد اختصرها بعضهم بقوله: «يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً».

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(١).

خامساً: خلق الله ﷻ محكم، لا خلل فيه ولا قصور، قال تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبًا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ١٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

سادساً: أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته سبحانه: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥١ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ ٥٢ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٥٣ [الذاريات: ٥١-٥٣].

سابعاً: كراهة التكني بأبي الحكم، روى أبو داود في سننه من حديث هانئ بن يزيد أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تكني أبا الحكم؟ قال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: ما

(١) البخاري (ص ٤٠) برقم (٧٣)، ومسلم (ص ٣١٧) برقم (٨١٦).

أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: لي شريح، ومسلم وعبد الله.
 قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح^{(١)(٢)}.
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ٥٣٦) برقم (٤٩٥٥).

(٢) انظر: المنهج الأسى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١ - ٢٥٧).

الكلمة المائة وأربعة

نعمة الهداية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى عن الأعراب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات] وقال تعالى ممتناً على نبيه بهذه النعمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى]، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى] وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد أن النبي ﷺ قال للأَنْصَار: «ألم أجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي»^(١). وامتن الله على أهل الجنة بهذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ فَجَرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. والهداية على قسمين:

١ - هداية الدلالة والإرشاد والبلاغ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لعلي: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

٢ - هداية التوفيق لقبول الحق والإعانة عليه، وهي التي تفرد بها سبحانه فقال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٧].

ومن أنواع الهداية:

أن يهدي الله العبد للقيام بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة مع الناس، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: «اللهم اغفر لي أخطائي وذنوبي كلها، وانعمني، وأحييني، وارزقني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت، ولا يصرف عن سيئها إلا أنت»^(٢).

ومن أعظم أنواع الهداية أن يهدي الله العبد للقيام بالتوحيد، والبعد عن الشرك، فإن من قام بذلك نال الأمن في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وكان النبي ﷺ يسأل ربه الهداية، روى مسلم في صحيحه من

(١) (٤/١٨٧٢) برقم (٢٤٠٦). (٢) (٣/٥٢٣) برقم (٥٩٤٢).

الكلمة المائة وخمسة

الزكاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركانه العظام، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ لَا يَحِبُّ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»^(٢). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى

(١) البخاري (ص ٢٥) برقم (٨)، ومسلم (ص ٤٠) برقم (١٦).

(٢) البخاري (ص ٢٨) برقم (٢٥)، ومسلم (ص ٤٣) برقم (٢٢).

حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(١)، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأصحابه بالهداية، وأرشد أمته إلى ذلك، روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله أنه قال: لقد شكوت إليه - أي النبي ﷺ - إني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: «اللهم اهد دوساً، واث بهم»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: قل: «اللهم اهدني وسدني، واذكر بالهدى، هدايتك الطريق والسداد، سداد السهم»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث البراء بن عازب قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب، حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلاً كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا	إذا أرادوا فتنة أبينا ^(٥)

(١) (ص ١٠٩٠) برقم (٢٧٢١).

(٢) البخاري (ص ٥٨٠) برقم (٣٠٣٦)، ومسلم (ص ١٠٠٤) برقم (٢٤٧٥).

(٣) البخاري (ص ٥٦٣) برقم (٢٩٣٧)، ومسلم (ص ١٠٢٠) برقم (٢٥٢٤).

(٤) (ص ١٠٩١) برقم (٢٧٢٥).

(٥) البخاري (ص ٥٨٠) برقم (٣٠٣٤)، ومسلم (ص ١٠٢٠) برقم (١٨٠٣).

قال شيخ الإسلام: «والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، وهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، وهذا الهدى لا يحصل إلا بهدى الله»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «إن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملًا، وقبل أوامره، وصدق بأخباره كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ»^(٢)، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الْمُبَارَكُ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿تَحْنُ نَفْسُ عَلِيكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف].

وأخبر رحمه الله أن من أراد هدايته لهذا الدين فإنه يشرح صدره له، وعلى العكس من ذلك من أراد له الشقاء والغواية، فإنه يضيق بهذا الدين ذرعاً، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام].

ومن أسباب الثبات على الهداية:

الدعاء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «دعوات كان رسول الله ﷺ يكثّر يدعو بها: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله، إنك تكثّر تدعو بهذا الدعاء. فقال: «إن قلب الأدمي بين إصبعين من أصابع الله ﷻ، فإذا شاء أزاغهُ، وإذا شاء أقامهُ»^(٣).

(٢) الفوائد (١/ ١٣٠).

(١) الفتاوى (٣٧/ ١٤).

(٣) (٩١/ ٦).

النبي ﷺ فقال: دلي على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»^(١).

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوفٌ بِهَا جَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٢٥﴾ [التوبة].

فكل ما لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»^(٢).

وجاء في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما خلاصته أن صاحب الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤدي حقها، بطح له يوم القيامة بقاع قرقر، أي أنه يبطح على وجهه في أرض مستوية واسعة، ثم تأتي هذه البهائم فتطؤه بأخفافها وأظلافها،

(١) البخاري (ص ٢٧٢) برقم (١٣٩٧)، ومسلم (ص ٣٩) برقم (١٤).

(٢) (ص ٣٨١) برقم (٩٧٨).

ومنها المسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ
فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً ۖ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا
أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ٩٧ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ ٩٨﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



وتنطحه بقرونها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب، وهو يفر منه، ويقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به، فإذا رأى أنه لا بد منه، أدخل يده في فيه، فجعل يقضمها كما يقضم الفحل»^(٢).

والشجاع: الحية الذكر، والأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل: الشجاع الذي يواثب الراجل والفارس ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري، يتبع صاحبه الذي منع الزكاة.

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم، وهي التي ترعى في البراري، والذهب والفضة، وعروض التجارة، وهي السلع المعدة للبيع، ويدخل في ذلك الأراضي، والعمارات، والسيارات المعدة للبيع، وغير ذلك من أصناف السلع، ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه، وله تفصيل معروف في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

والزكاة حق لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، ولا أن يقي بها ماله، أو

(١) مسلم (ص ٣٨٢) برقم (٩٧٨)، والبخاري (ص ٨٨٩) برقم (٤٦٥٩).

(٢) مسلم (ص ٣٨٣) برقم (٩٨٨)، والبخاري (ص ٢٧٣) برقم (١٤٠٣).

يدفع بها عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها
لكونهم من أهلها لا لغرض آخر، مع طيب النفس، والإخلاص لله في
ذلك حتى تبرأ ذمته، ويستحق جزيل التوبة والخلف، وقد أوضح الله
سبحانه في كتابه الكريم أصناف المستحقين للزكاة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْفَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

ولو أعطيت الزكاة لمستحقيها لما بقي فقير في الإسلام.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وستة

صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم الواجبات والفرائض بعد الشهادتين، وقد أثنى الله ﷻ على عباده المحافظين على أدائها في المساجد فقال: ﴿فِي يَوْمِئِذٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِيهَا بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ، فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه، اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»^(١)، وفي رواية: «صلاة الجماعة

(١) البخاري (ص ١٣٩) برقم (٦٤٧)، ومسلم (ص ٢٦١) برقم (٦٤٩).

تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «وقد أكثر الله ﷻ من ذكر الصلاة في كتابه الكريم، وعظم شأنها، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين، فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ﴾ [البقرة] وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها، وتعظيمه لها، وقد تخلف عن أدائها مع إخوانه، وتهاون بشأنها^(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا آسِيحتهم﴾ [النساء: ١٠٢]، وقال أيضاً ﷻ: «فأوجب سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب وشدة الخوف، فكيف بحال السلم؟ ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافون للعدو المهددون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك»^(٤). اهـ.

والنصوص التي تبين وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلموا ما

(١) (ص ١٣٩) برقم (٦٤٥). (٢) (ص ١٢٧) برقم (٢٥١).

(٣) (١٢/١٤ - ١٥). (٤) (١٢/١٥ - ١٦).

فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(١).

قال بعض أهل العلم: «إن النبي ﷺ ما همّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنباً عظيماً، نسأل الله السلامة والعافية»، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم. قال: فأجب»^(٢). وفي رواية لأبي داود قال: «لا أجد لك رخصة»^(٣). وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه أنه قال: «من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له

(١) ص (٢٥٦) برقم (٦٥١)، وصحيح البخاري (ص ١٤٠) برقم (٦٥٧).

(٢) ص (٢٥٧) برقم (٦٥٣). (٣) ص (٨٣) برقم (٥٥٢).

(٤) ص (٨٣) برقم (٥٥١)، قال الألباني رحمه الله: صحيح دون جملة العذر، ويلفظ ولا صلاة له، صحيح سنن أبي داود (١/١١٠).

بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»^(١).

وأجاب العلماء عن حديث صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين درجة، أن المراد بيان ثواب صلاة الجماعة، وأن أجرها أكثر، وليس حكم صلاة الجماعة، والأفضلية لا تدل على عدم الوجوب فقد ثبت الوجوب بآيات وأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

يُضاف إلى ذلك ما فيها من المصالح والمنافع العظيمة، التي تدل على أن الحكمة تقضي بوجوبها.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

أولاً: إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، وهي الصلاة؛ لأن الناس لو بقوا يصلون في بيوتهم ما عرف أن هناك صلاة.

ثانياً: التواد بين الناس؛ لأن ملاقة الناس ومصافحتهم لبعضهم البعض توجب المحبة والمودة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

ثالثاً: شعور الناس بالمساواة، لأنه في هذا المسجد يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا فيشعر الناس

(١) (ص ٢٥٧) برقم (٦٥٤).

(٢) (ص ٥٣) برقم (٥٤).

بالمساواة؛ ولهذا أمر بمساواة الصفوف، وكان النبي ﷺ يقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»^(١).

رابعاً: ما يحصل من تفقد الأحوال، أحوال الفقراء والمرضى، والمتهاونين بالصلاة، فإن الفقير إذا علم بحاله جماعة المسجد تصدقوا عليه، وواسوه، وكذلك إذا تخلف عن صلاة الجماعة عرف الناس أنه مريض، فقدموا له المساعدة أو متهاوناً فبادروه بالنصيحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (ص ١٨٥) برقم (٤٣٢).

الكلمة المائة وسبعة

مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على عباده نعمة الزواج، وهو من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِطَائِفَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد].

وقد حث عليه الشارع لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»^(١).

وتكثر في هذه الأيام حفلات الزواج، وهذا شيء طيب يبشر بالخير؛ إلا أنه مما ينافي شكر هذه النعمة، وقوع كثير من المخالفات، فمن ذلك:

أولاً: المغالاة في المهور بما لا يطاق، والمشروع أن يكون قليلاً ميسراً، روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «خير الصداق أيسره»^(٢). وقال عمر رضي الله عنه: «ألا لا

(١) مسلم (ص ٥٤٩) برقم (١٤٠٠)، والبخاري (ص ١٠٠٥) برقم (٥٠٦٥).

(٢) (١٩٨/٢) برقم (٢٧٤٢).

تغالوا صدقة النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها نبي الله ﷺ، ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه، ولا أنكح شيئاً من بناته، على أكثر من اثنتي عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهماً^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أنها سئلت: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشأ، قالت: أتدري ما النش؟ قال: قلت لا قالت: نصف أوقية، فتلك خمس مائة درهم، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه»^(٢).

وفي زيادة المهور مفاصد كثيرة من أعظمها تأخر كثير من الرجال والنساء عن الزواج، أو تركه بالكلية، وفي ذلك ما لا يخفى من المفاصد.

ثانياً: دبلة الخطوبة، حيث يلبس الرجل دبلة تسمى دبلة الخطوبة، وهي عبارة عن خاتم يضعه في يده، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة، خاصة إذا كانت من الذهب، وقد حرم لبس الذهب على الرجال بأدلة كثيرة، منها ما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»، ف قيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٣).

قال الشيخ الألباني: ووضع خاتم الخطوبة في يد العروس من

(١) سنن الترمذي (٤٢٣/٣) برقم (١١١٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) (ص ٥٦١) برقم (١٤٢٦). (٣) (ص ٨٦٧) برقم (٢٠٩٠).

عادات النصراري، وقد أمرنا بمخالفتهم^(١)، وقال النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

ثالثاً: المنصة، وهي جلوس الزوج والزوجة في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرات، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ومن المنكرات العظيمة وضع منصة للعروسين أمام الحاضرات من النساء، فينظر الرجل إلى النساء الأجنيات، وهن بكامل زينتهن، وقد يدخل معه بعض أقارب الزوج أو الزوجة، فيحصل الاختلاط والفتنة»^(٣).

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموت»^(٤). والحموم قريب الزوج، وفي هذا تحريك للغرائز والشهوات، وما يتج عن ذلك من فتنة وفساد.

رابعاً: التصوير، وهو من كبائر الذنوب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم أحيوا ما خلقتم»^(٥). وخاصة إذا كان التصوير للنساء، فإن الفتنة بهن أعظم، وتقوم بعض النساء بتصوير الحاضرات في الحفل وهن بكامل زينتهن، وهذا من أعظم المفاسد، وهل يرضى أحد منا أن تلتقط صورة ابنته أو أخته وتنتشر بين الناس، فإلى الله المشتكى.

(١) انظر: آداب الزفاف (ص ٢١٢ - ٢١٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/٢٩٢).

(٣) انظر: التبرج وخطره، رسالة صغيرة للشيخ عبد العزيز بن باز.

(٤) البخاري (ص ١٠٣٥) برقم (٥٢٣٢)، ومسلم (ص ٨٩٦) برقم (٢١٧٢).

(٥) (٢/٢٦).

خامساً: إحضار المغنيات ليغنين في حفلات الزواج مع الآلات والمعازف، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»^(١). وإنما أجاز الشارع الضرب بالدف عند النساء بشرط أن لا يصحبه غناء ماجن من قبل النساء.

سادساً: الإسراف في الولائم، واستئجار الفنادق، وقصور الأفرح بأموال طائلة، فينبغي الاقتصاد في ذلك، وترك الإسراف، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

سابعاً: لبس كثير من النساء في حفلات الزواج اللباس العاري، أو المفتوح، أو الضيق الذي يصف البشرة، أو الخارج عن الحياء، حتى لو كان عند النساء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٢).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمته الله عن حضور الحفلات المشتملة على المنكرات، فقال: حضورها واجب إذا كان الإنسان يستطيع بحضوره أن يغير المنكر، وأما إذا كان لا يستطيع تغييره فإن حضورها منكر محرم عليه، ولا يجوز في ذلك طاعة الوالدين، ولا طاعة الزوج،

(١) (ص ١١٠١) برقم (٥٥٩٠). (٢) (ص ٨٨١) برقم (٢١٢٨).

حتى لو فرض أن الوالد والوالدة إذا لم يحضر الولد من ذكر أو أنثى هذه الحفلات حصل منهم غضب أو زعل، ولا يعد ذلك من العقوق؛ لأن هذا من طاعة الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة بالمعروف»^(١).

والمنكر لا طاعة فيه لأحد، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» اهـ^(٢).

ثامناً: السهر حتى ساعة متأخرة من الليل، وربما في بعض الحفلات إلى قرب صلاة الفجر، وهذا يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ (٥٩) [مريم].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»^(٣).

تاسعاً: من المنكرات التي ترتكب بمناسبة الزواج ذهاب الزوجين بعد زواجهما إلى بلاد الكفار، أو بلاد أخرى تماثلها في الفساد لقضاء شهر العسل زعموا، وفي ذلك مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ، فقد روى الترمذي وأبو داود من حديث جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح مسلم (ص ٧٦٩) برقم (١٨٤٠)، وصحيح البخاري (ص ٨٢٠) برقم (٤٣٤٠).

(٢) هذه الفتوى عليها توقيع الشيخ رحمه الله بتاريخ ١٦/٩/١٤٠٩ هـ.

(٣) (ص ٢٥٨) برقم (٦٥٧).

«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهрани المشركين، لا تتراءى ناراهما»^(١).

وما ينتج عن ذلك السفر من مفسد، وخلع للحجاب، واختلاط المرأة بالأجانب، وذهاب إلى أماكن اللهو والفساد، وغير ذلك من المفسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي (٤/١٥٥) برقم (١٦٠٤).

شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت^(١) له الدنيا»^(٢).

قوله أصبح: أي أصبح في ذلك اليوم، وفيه إشارة إلى أن المؤمن عليه ألا يحمل هم المستقبل، فإن أمره بيد الله، وهو الذي يدبر الأمور، ويقدر الأقدار، وعليه أن يحسن الظن بربه، ويتفائل بالخير.

قوله: آمناً في سربه: قيل المعنى: في أهله وعياله، وقيل: في مسكنه وطريقه، وقيل: في بيته، فهو آمن أن يقتله أحد، أو يسرق بيته، أو يتتهك عرضه.

والأمن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، ولا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدوها، كالذين يعيشون في البلاد التي يختل فيها النظام والأمن، أو الذين عاصروا الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل، فهم ينامون على أزيز الطائرات وأصوات المدافع، ويضع الواحد منهم يده على قلبه ينتظر الموت في أي لحظة،

(١) وحيزت: جمعت.

(٢) (٤/٥٤٧) برقم (٢٣٤٦).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنعام].

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن إن حققوا التوحيد وأخلصوا الإيمان، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾ [يونس].

قوله: معافى في بدنه: أي صحيحاً سالماً من العلل والأسقام، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام، ومن سيئ الأسقام»^(١).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه صباحاً ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، روى الإمام أبوداود من حديث عبد الله بن عمر ؓ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي..» الحديث»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن رفاعة عن أبيه قال:

قام أبو بكر الصديق على المنبر، ثم بكى، فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى، فقال: «سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن الكثير من الناس مفرط ومغبون في هذه النعمة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس ؓ قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢).

وأرشد النبي ﷺ أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال: «اغتنم خمساً قبل خمس.. وذكر منها: صحتك قبل سقمك»^(٣).

وكان ابن عمر ؓ كما في صحيح البخاري يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(٤).

والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها ليحمد الله ﷻ صباحاً ومساءً على نعمة العافية، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم].

(١) (ص ٥٥٩) برقم (٣٥٥٨). (٢) (ص ١٢٣٢) برقم (٦٤١٢).

(٣) (٣٤١/٤) رقم (٧٨٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٤/١) رقم (١٠٧٧).

(٤) (ص ١٢٣٢) برقم (٦٤١٦).

النعاس، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سَبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١).

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه، كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٢) لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٤٤﴾ وَكُلُّهُمْ مَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٤٥﴾ [مريم].

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، هذا من عظمته وجلاله، وكبريائه ﷻ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]^(٣).

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٤) [النجم].

وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ: «فأنطلق فأتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحني على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع»^(٥).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تعالى إخباراً عن

(١) (ص ٩٨) برقم (١٧٩). (٢) (ص ٩٨) برقم (١٧٩).

(٣) البخاري (ص ٩٠٦) برقم (٤٧١٢)، ومسلم (ص ١٠٩) برقم (١٩٤).

قوله: «عنده قوت يومه»، أي: قدر ما يغديه ويعشيه، والطعام من نعم الله العظيمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ آلَ الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قریش].

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من الجوع، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بشس الضجيع»^(١).

ولقد كان النبي ﷺ يسأل ربه الكفاف، أي مقدار ما يكفيه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»^(٢).

ومما تقدم يتبين أن من اجتمعت له هذه الخصال الثلاث في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها، وقد اجتمع لكثير من الناس أضعاف أضعاف ما ذكر في هذا الحديث، ومع ذلك فهم منكرون لها، محتقرون ما هم فيه، فهم كما قال تعالى: ﴿يُكْفِرُونَ مَا أُكْفِرُهُمْ أَكْفَرُونَ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ودواء هذا الداء أن ينظر المرء إلى من حرم هذه النعم، أو بعضها، كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله»^(٣).

قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن

(١) (ص ١٨٣) برقم (١٥٤٧).

(٢) البخاري (١٨٤/٤) برقم (٦٤٦٠)، ومسلم (٢٢٨١/٤) برقم (١٠٥٥).

(٣) البخاري (١٨٩/٤) برقم (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٢٧٥/٤) برقم (٢٩٦٣).

الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها، وتواضع، وفعل فيه الخير. اهـ^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً سأله فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين، فقال عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/٦).

(٢) (ص ١١٩٤) برقم (٢٩٧٩).

الملائكة: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [١٤] ﴿[مريم].

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ قال ابن كثير: أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله ﷻ، وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (١).

قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس ؓ أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره» (٢). وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي، أنه يسع السموات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي.

وقوله: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ أي لا يشغله ولا يكثره حفظ السموات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو العلي بذاته، فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته، العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة.

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩).

(٢) (٢/٣١٠) برقم (٣١١٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير (١/٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو (ص ٧٦)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ٤٥).

الكلمة المائة وتسع

تفسير آية الكرسي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلقد كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها رداً للإنسان في أوقاته صباحاً ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات. اهـ^(١).

وتسمى آية الكرسي لذكر الكرسي فيها.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وهو الحي في نفسه، الذي لا يموت أبداً، القيم بغيره، ومن تمام حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، والسنة هي

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ١١٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها أعظم آية في القرآن، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»^(٢).

ثانياً: سعة علم الله وإحاطته بكل شيء، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥١﴾ [الأنعام].

ثالثاً: عظمة الله سبحانه، وسعة سلطانه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٧﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الله تعالى لا يشق له ولا يكثره حفظ السموات والأرض، بل ذلك سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وعشرة

حفظ اللسان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على الإنسان، نعمة اللسان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البعد].

وهذا اللسان إن لم يستخدم في طاعة الله، كان وبالاً على صاحبه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النور].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تحث على حفظ اللسان، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٨٨﴾﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل].

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن عمل يقربه إلى الجنة ويباعده من النار، فأخبره النبي ﷺ برأس الأمر وعموده وذروة سنامه، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا نبي الله، قال: فأخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا». فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك

يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(٢).

قوله: ما يتبين فيها، أي لا يدري هل هي في طاعة الله أو معصيته؟

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث سفيان الثقيفي قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به. قال: «قل: ربي الله، ثم استقم»، قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»^(٥).

وقال عبد الله بن مسعود: «أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته»^(٦).

(١) (ص ٤٢٥) برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مسلم (ص ١١٩٧) برقم (٢٩٨٨)، والبخاري (ص ١٢٤٣) برقم (٦٤٧٧).

(٣) (ص ١٢٤٢) برقم (٦٤٧٤). (٤) (ص ٣٩٤) برقم (٢٤٠٦).

(٥) (ص ٣٩٤) برقم (٢٤١٠).

(٦) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ٢٤١).

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم»^(١).

وقال الأوزاعي: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه»^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود: «والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من هذا اللسان»^(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. اهـ^(٤).

وشر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضمر ما يكون على العبد.

قال ابن القيم: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر، ومن النظر الحرام، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن

(١) إحياء علوم الدين (٣/١٢٠). (٢) إحياء علوم الدين (٣/١١٢).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٠٠).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/١٩).

الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول. اهـ^(١).

وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ حدث أن رجلاً قال: «والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك»^(٢). أو كما قال.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: تكلم بكلمة أويقت دنياه وآخرته، وتكلم رجل في حق رجل، فقال له صاحبه: أغزوت الروم؟ قال: لم أفعل. قال: سلم منك النصراني، ولم يسلم منك أخوك المسلم!. وقال بعضهم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان
قال بعض أهل العلم: في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى، آفة السكوت عن الحق، أو آفة الكلام بالباطل، وقد تكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاص لله، مرء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه مثل من يرى المنكرات أمام عينيه مع قدرته على التغيير ولا يفعل.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٠).

(٢) (ص ١٠٥٣) برقم (٢٦٢١).

فلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان^(١).

الآفة الثانية: التكلم بالباطل، وهو شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط هم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أنها تضره في آخرته يوم القيامة.، عندما يأتي بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكره الله وما اتصل به. اهـ^(٢).

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٦٩/١) برقم (٤٩).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٢).

الكلمة المائة وإحدى عشرة

الحور العين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعيم الجنة الذي وعد الله به المؤمنين، مما تشتاق إليه النفوس، وتهفو إليه القلوب، الحور العين، فقد وصفهن الله بأحسن الصفات، وحلاهن بأجمل الحلي، وشوق الخطاب إليهن، حتى كأن المؤمنين يرونهن رأي العين، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ ۝٥١﴾ فَإِنَّ آيَةَ رِزْقِكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ [الرحمن].

قال الحسن وعامة المفسرين: «في صفاء الياقوت، وبياض المرجان»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٧٢﴾ كَأَمْثَلِ الذُّلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٧٣﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۝٧٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٧٦﴾ عُرًّا أَرْوَاحًا ﴿٧٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧٨﴾ [الواقعة].

والحور جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٨/٤).

البيضاء، شديدة سواد العين، قالت عائشة رضي الله عنها: «البياض نصف الحسن». وقال عمر رضي الله عنه: «إذا تم بياض المرأة في حسن شعرها، فقد تم حسنها».

والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:

بيضٌ أوانس ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلام

قوله: (عرباً) في الآية الكريمة، العرب جمع عروب، وهي التي جمعت إلى حلاوة صورتها، حسن التأني والتبعل والتحبب إلى الزوج بدلها وحديثها، وحلاوة منطقتها، وحسن حركاتها. وذكر المفسرون في تفسير العرب بأنهن العواشق المتحبات، الغنجات، الشكلات، المتعشقات، الغلمات، المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم^(١).

قوله (أتراباً): قال ابن عباس: وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة^(٢).

وقد أودع سبحانه في الحور العين من حسن الخلق والخلق، وجمال الصورة، ورقة البشرة ما يبهز العقول، وتعجز الألسن عن وصفه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخضون، ولا يتغوطون، أنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن،

(١) بدائع التفسير (٤/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٢).

لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها - يعني الخمار - على رأسها خير من الدنيا وما فيها^(٢)».

والحور العين مطهرات من كل أذى وقذر ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة].

قال جمع من المفسرين: المطهرة من طهرت من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من

(١) البخاري (ص ٦٢٣) برقم (٣٢٤٥)، ومسلم (ص ١١٣٩) برقم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري (ص ٥٤٠) برقم (٢٧٩٦)، وأخرج مسلم أوله (ص ٧٨٣) برقم (١٨٨٠)، والغدوة الذهاب أول النهار للغزو في سبيل الله، والروحة الذهاب آخره للغزو في سبيل الله.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٦٣).

أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ^(١).

وإن من أعظم ما أتحف الله به عباده في دار كرامته، زواجهم من الحور العين، فهذا الزواج تتحقق السعادة وتكتمل اللذة، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس].

قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم: «شغلهم افتضااض الأبقار»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً»^(٣).

وهذه الخيام غير الغرف والقصور التي في الجنة، فذاك نعيم آخر، روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، هل نصل إلى نساتنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»^(٤).

والحور العين يشتقن إلى أزواجهن من المؤمنين، فتدعو الواحدة منهن على من يتعرض لزوجها في الدنيا، فكيف إذا قدم عليها وبشرت

(١) بدائع التفسير (١/٢٩٧). (٢) تفسير ابن كثير (٣/٥٧٥).

(٣) مسلم (ص ١١٤) برقم (٢٨٣٨)، والبخاري (ص ٦٢٣) برقم (٣٢٤٣).

(٤) (٢/٦٨) برقم (٧٩٥) وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على شرط الصحيح، تفسير ابن كثير (٤/٢٩٢).

بذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»^(١).

وعرائس الجنان من الحور العين لا يزددن مع مرور الدهور والأحقاب إلا حسناً وجمالاً وحباً وتودداً لأزواجهن في الجنة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»^(٢).

والصالحون في هذه الدار بعدما علموا ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم في شأنهن - أي الحور العين - يكونون في أشد الشوق والحب إليهن، مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعة مولاهم، وأن يقر أعينهم بهن، قال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن شباب، فقال: يا معشر الشباب، أما تشاقون إلى الحور العين؟^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله:

يا خاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلب ت بذلت ما تحوي من الأثمان

(١) (٤١٧/٣٦) برقم (٢٢١٠١) وقال محققوه: إسناده حسن، والدخيل الذي يرحل سريعاً.

(٢) (ص ١١٣٨) برقم (٢٨٣٣).

(٣) انظر: رسالة (بشرى المحبين بأخبار الحور العين) للشيخ سعد الحمدان.

أو كنت تدري أين مسكنها جع
ولقد وصفت طريق مسكنها فإن
أسرع وحث السير جهدك إنما
فاعشق وحدث بالوصال النفس
واجعل صيامك قبل لقاءها ويد
واجعل نعوت جمالها الحادي وسر
ملت السعي منك لها على الأجفان
رمت الوصال فلا تكن بالواني
مسراك هذا ساعة لزمان
وابذل مهرها ما دمت ذا إمكان
يوم الوصل يوم الفطر من رمضان
تلقى المخاوف وهي ذات أمان
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة واثنتا عشرة

الابتلاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

أي نخبركم بالمصائب تارة، وبالنعمة تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس: «ونبلوكم: أي نبتليكم بالشر والخير، أي بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال»^(١). ثم قال تعالى: «وإلينا ترجعون» أي فنجازيكم على مواقفكم من هذه الأحوال، فمن وقف موقف المؤمن واتقى الله في كل حالة نال المثوبة، ومن أساء نال العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الْغَابِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٧٨).

وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ رَجِعُونَ ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْتَدُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿البقرة﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَوَىٰ تَصَرَّ اللَّهُ لَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿البقرة﴾.

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الارت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

وروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةً اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(٢).

وسأل رجل الشافعي رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل: أن يمكن فيشكر الله ﷻ، أو يبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا يُمكن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم الله فلا يظن أحد أن يخلص من

(١) (ص ٦٩٠) برقم (٣٦١٢). (٢) (ص ٣٩٣) برقم (٢٣٩٨).

الآلم البتة. اه^(١).

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن القيم رحمه الله: والله أسأل أن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبداً، فإن العبد دائم القلب بين هذه الأطباق الثلاثة. اه^(٢).

والمؤمن يصيبه البلاء تكفيراً لسيئاته، ورفعة لدرجاته، وحتى يتميز الخبيث من الطيب،، وغير ذلك من الحكم.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل» ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، مرض فما سواه، إلا حظ الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يصب منه»^(٤).

قال أبو عبيدة الهروي: أي يبتليه بالمصائب ليثبته عليها، وقد تبتلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاء واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٩٤).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣).

(٣) (ص ١١٢) برقم (٥٦٦٠). (٤) (ص ١١٠٩) برقم (٥٦٤٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَا نُفْتَنُوهُمْ﴾ [العنكبوت].

وما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل مكان، واتحادهم ضد المسلمين، ما هو إلا مصداق لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»^(١).

ولن يكون الخلاص والنجاة من ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله، ويجب على المؤمن أن يكون على ثقة ويقين بنصر الله القريب، وإن كثر الأعداء، وعظمت قوتهم، فإن الله سينصر دينه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنْ نَّشَأُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُّوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [٥١] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [٥٢] [غافر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة المائة وثلاث عشرة

الزهد في الدنيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وصف ربنا ﷺ حال الدنيا وأهلها فيها، وكشف حقيقتها، وبين قصر مدتها، وانقضاء لذتها، فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرْنَهُ مُمْسِراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

فبين لنا العليم الحكيم في هذه الآية حال الدنيا التي افتتن الناس بها، وبين أنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب، وهو يشغل صاحبه ويلهيهِ عما ينفعه في آخرته، وزينة تخدع المفتون بها، وتفاخر بالأنساب والعظام البالية، ومباهاة بكثرة الأموال والأولاد، وعظم الجاه، وأشار سبحانه إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال، كمثل غيث أعجب الزراع نباته الناشئ منه، ثم يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدره الله له، فسرعان ما تراه مصفراً متغيراً ذابلاً بعد أن كان أخضر نضراً، ثم يعود إلى اليبس هشياً متكسراً، ففيه تشبيه جميع ما في الدنيا من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل ويتلاشى في أقل من سنة، إشارة إلى سرعة زوالها وقرب فنائها.

ثم أشار سبحانه إلى عظم شأن الآخرة بما فيها من الآلام

والعذاب الشديد لمن عصاه، والمغفرة والرضوان الموجب لكمال النعيم لمن أطاعه.

وقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُ حُسْنِ الْمَآبِ ۝٤٦﴾ ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِمَا نَذَرْتُكُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٤٧﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَآ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن فهر أن النبي ﷺ قال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم، فليُنظر بم يرجع»^(١).

وروى ابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اضطلع النبي ﷺ على حصير، فأثر في جلده، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئاً يقيك منه، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا والدنيا، إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر

(١) (١٢٩٣/٤) برقم (٢٨٥٨). (٢) (ص ٤٤٥) برقم (٤١٠٩).

الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وحزن وغم بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها، ولا بد من دوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا، فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النافع العاجل، واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل، واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدق بذلك ولم يؤثر كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه. اهـ^(١).

قال الشاعر:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهزم
وقد توعده سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن

بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس].

وقد عاتب سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا، ورضاه بها يكون تشاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١١٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١١٦﴾ مَا أَهْوَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهَلٌ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحاف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة ابن أختها: «إن كنا ننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه»^(١).

وأوصى النبي ﷺ جماعة من الأنصار أن يكون بلاغ أحدهم من

(١) (١٨٤/٤) برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم (٢٢٨٣/٤) برقم (٢٩٧٢).

الدنيا كزاد الراكب، ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وأن يعد نفسه من أهل القبور.

قال ابن القيم رحمه الله: والزهد زهد في الحرام، وهو فرض عين، وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه. وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحفظ، والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع. إلى آخر ما قال^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفوائد (ص ١٧٢).

قال: «اغتنم خمساً قبل خمس.. ذكر منها: صحتك قبل سقمك»^(١):
 وكان ابن عمر كما في صحيح البخاري يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر
 المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك،
 ومن حياتك لموتك»^{(٢)(٣)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٤١/٤) برقم (٧٨٤٦)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،
 ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤)
 برقم (١٠٧٧).

(٢) (١٧٦/٤) برقم (٦٤١٦).

(٣) انظر: رسالة الشيخ عبد الهادي وهبي «الوسيلة الكافية لتحقيق العافية».

الكلمة المائة وأربع عشرة

العافية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، نعمة العافية، قال تعالى عن نبي الله هود عليه السلام وهو يخاطب قومه: ﴿وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٥١) [هود].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأكثر من ثمنها، فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: رجل مغبون.

وروى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(٢).

قوله: «آمناً في سربه» أي آمناً على نفسه وأهله وعياله وماله.

قوله: «معافى في جسده»، أي من الأمراض، أي صحيحاً سالماً من العلل والأسقام.

قوله: «عنده قوت يومه»، أي كفاية قوته وحاجته من وجه حلال.

قوله: «فكأنما حيزت له الدنيا» أي ضمت وجمعت، فمن جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته.

وإن من أعظم المطالب، وأرفع المراتب التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها سؤال الله العافية، روى ابن حبان في صحيحه من حديث رفاعة بن رافع قال: قام أبو بكر الصديق على المنبر، ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى، فقال: «سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله تعليقاً على الحديث المذكور: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة»^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني

(١) (٢١٦/٤) برقم (٨٨٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٢٥).

(٢) تحفة الذاكرين (ص ٣٠٥).

أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن أفضل ما سأل به العباد أن يعافيه الله، لأن العمدة الكبرى، والمنحة العظمى في نيل السعادة الدنيوية والأخروية هي العافية.

وروى البزار في كشف الأستار من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ مر بقوم مبتلين، فقال: «أما كان هؤلاء يسألون الله العافية»^(٢)، وفي الحديث دليل على أن سؤال الله العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء؟ وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم، بهذه الدعوة الكافية، وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطاً والقلوب بصيرةً، باستعمال هذا الدواء عند عروض كل داء، ومساس كل محنة، ونزول كل بلية، قال أحد الصالحين: «أكثرُوا من سؤال العافية، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه لا يأمن ما هو أشد منه، وإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم». والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها، ليحمد الله ﷻ صباحاً ومساءً على نعمة العافية.

(١) (ص ٤١٢) برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).

(٢) (٣٦/٤) برقم (٣١٣٤) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢١٩٧).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه العافية صباحاً ومساءً، وحتى عند نومه، فروى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(١). قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث، يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللهم خلقت نفسي.. الحديث، وقال في آخره: اللهم إني أسألك العافية»، فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر، من رسول الله ﷺ^(٢).

والعافية في الدنيا هي دفع الله عن العبد جميع الأسقام والبلايا وجميع ما يكرهه ويشينه، والعافية في الآخرة هي دفع الله عنه جميع أهوال الآخرة وأفزاعها، ولا يخرج مطلوب العبد من هذين القسمين.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من سئ الأسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سئ الأسقام»^(٣).

وأرشد عليه الصلاة والسلام أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، فروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

(١) (ص ٥٤٧) برقم (٥٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٤٨).

(٢) (ص ١٠٨٧) برقم (٢٧١٢). (٣) (٣/ ١٩٢).

الكلمة المائة وخمس عشرة

مكانة المرأة في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن المرأة، وسيكون الكلام فيها حول الأمور التالية:

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام.

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: واجبنا نحو ذلك.

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في بعض مجتمعات الجاهلية تعيش فترة عصيبة، فقد كانوا يكرهون ولادتها، فمنهم من يدفنها وهي حية تحت التراب خوفاً على نفسه من العار، ومنهم من يتركها تبقى في حياة الذل والمهانة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ٦٠ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٦١﴾ [التكوير].

والموودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، والمرأة في الجاهلية ليس لها حظ في الميراث مهما عانت من الفقر والحاجة؛ لأن الميراث يختص بالرجال، بل إنها كانت تورث عن زوجها الميت كما يورث سائر المتاع، وكان الجمع الكثير من النساء يعشن تحت زوج واحد، حيث كانوا لا يتقيدون بعدد محدد من الزوجات، ولا يبالون بما ينالهن من المضايقات والظلم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم»^(١).

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام:

فقد رفع عنها المظالم، وأعاد لها مكانتها، وجعلها شريكة الرجل في الثواب والعقاب وسائر الحقوق، إلا ما اختص الله به النساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَا حَيَوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

روى الترمذي في سننه من حديث أم عمارة رضي الله عنها أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَفَظِينَ وَالْحَفَظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٥)

[الأحزاب] (٢).

(۲) (ص ۵۱۰) برقم (۳۲۱۱).

(١) (ص ٥٩٤) برقم (١٤٧٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنما النساء شقائق الرجال»^(١).

وحرم الإسلام اعتبار المرأة من موروثة الزوج، كما هو الحال في الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩].

فضمن لها استقلال شخصيتها، وجعلها وارثة لا موروثة، وجعل للمرأة حقاً في مال قريبها من الميراث، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً»^(٢).

وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(٣).

ثالثاً: شبهات والجواب عنها:

يردد أهل الشهوات عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن المرأة تعاني من الظلم، وأنها شق معطل، وأن البيت سجن لها، والقوامة سيف وصلت عليها أن تتخلص منه، وقد أوجد ذلك وللأسف أثراً عند بعض النساء. أما القول بأن المرأة تعاني من الظلم، فقد سبق الكلام عن مكانة المرأة في الإسلام، وكيف رفع المظالم التي كانت عليها في

(١) (٢٥٦/٦).

(٢) (ص ١٠٢٦) برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم (ص ٥٨٦) برقم (١٤٦٨).

(٣) (ص ٢١٤) برقم (١٩٧٧).

الجاهلية، وهي ليست شق معطل، بل إن بقاءها في بيتها وتربيتها لأولادها من أعظم الأعمال التي تثاب عليها، وتخرج ثمراتها إلى المجتمع المسلم.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت בעلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»^(١).

والذي ينظر إلى المجتمعات الغربية وكيف خرجت المرأة لتزاحم الرجال، وتركت أطفالها في رعاية الخدم، أو الحضانه، أو غيرها، وما جنى هؤلاء الغربيون من الفساد، وانحلال الأخلاق، وكثرة أولاد الزنا، والتفكك الأسري، وانتشار المخدرات والمسكرات، وغير ذلك، ليدرك عظمة هذا الدين، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أما القوامة فقد جعلت لحماية المرأة وصيانة عرضها من الرجال، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير: «أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت».

قال ابن عباس: «الرجال قوامون على النساء: يعني أمراء عليهن، أي طيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله»^(٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٩١).

(١) (٤٧١/٩) برقم (٤١٦٣).

رابعاً: واجبنا نحو ذلك:

أولاً: تربية أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا تربية صالحة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [التحریم].

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أدبواهم وعلموهم الخير»، وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته»^(١).

ولو أن كل رجل اهتم بأسرته، ورباهم على الكتاب والسنة؛ لصلح المجتمع كله.

ثانياً: التزود بالعلم الشرعي، وبالعالم يكتشف المؤمن ضلال المضلين، وانحراف المنحرفين من العلمانيين وأهل الأهواء والشهوات، ويستطيع الرد عليهم وكشف مخططاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩٩﴾﴾ [الزمر: ٩٩].

ثالثاً: الدعوة إلى الله ﷻ، وتحذير الناس من أهل الشر، وما يخططون له من إفساد المرأة، وإبعادها عن دينها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [يوسف].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري (ص ٤٨٣) برقم (٢٥٥٨)، ومسلم (ص ٧٦٤) برقم (١٨٢٩).

(٢) (١٨٧٢/٤) برقم (٢٤٠٦).

الكلمة المائة وست عشرة

التحذير من الربا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي حرّمها الله ورسوله، ولعن فاعلها، الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ أكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال «هم سواء»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي ﷺ، وجاء فيه: «.. أُناني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، فأتينا على نهر - حسب أنه كان يقول - أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح

(١) (ص ٦٥١) برقم (١٥٩٨).

يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه، فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً، قال: قلت لهما: ما هذان؟ قالاً: أما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة، فإنه أكل الربا^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات... وذكر منها الربا»^(٢).

ومن صور الربا المحرم شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، وإن من الجرائم العظيمة، والأمور الخطيرة ما نسمعه ونشاهده هذه الأيام من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل والدعايات لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها، وأنها من الربا الذي حرمه الله ورسوله.

جاء في الفتوى رقم (١٧٦١١): يتداول بين الناس في الوقت الحاضر بطاقة فيزا سامبا، صادرة من البنك السعودي الأمريكي، وقيمة هذه البطاقة الذهبية (٤٨٥) ريالاً، وإذا كانت فضية (٢٤٥) ريالاً، تسدد هذه القيمة سنوياً لمن يحمل بطاقة فيزا للاستفادة منها كاشتراك سنوي، ويحق لحامل هذه البطاقة أن يسحب من فروع البنك المبلغ الذي يريده سلفة، ويسدد بنفس القيمة خلال مدة لا تتجاوز

(١) (ص ١٣٤٧) برقم (٧٠٤٧).

(٢) البخاري (ص ٥٣٣) برقم (٢٧٦٦)، ومسلم (ص ٦٣) برقم (٨٩).

أربعة وخمسين يوماً، وإذا لم يسدد المبلغ المسحوب سلفة خلال الفترة المحددة يأخذ البنك عن كل مائة ريال فوائد قيمتها ريال وخمس وتسعين هللة (١,٩٥)، ويحق لحامل هذه البطاقة شراء البضائع من المحلات التجارية التي تتعامل مع البنك، دون أن يدفع مالا نقدياً، وتكون سلفة عليه للبنك، وإذا تأخر عن سداد القيمة عن مدة أربعة وخمسين يوماً يأخذ البنك عن كل مائة ريال ريالاً وخمساً وتسعين هللة، فما حكم استعمال هذه البطاقة، والاشتراك السنوي مع هذا البنك.

الجواب: إذا كان حال بطاقة فيزا سامبا كما ذكر، فهذا إصدار جديد من أعمال المرابين، وأكل لأموال الناس بالباطل، وتأثيمهم، وتلويث مكاسبهم، وتعاملهم، وهو لا يخرج عن حكم ربا الجاهلية المحرم في الشرع المطهر (إما أن تقضي، وإما أن تربى)، ولهذا لا يجوز إصدار هذه البطاقة، ولا التعامل بها. اهـ.

ومن صورته كذلك بيع العينة، ويسميه بعض الناس الدينة، ومثاله: أن يبيع شخص سلعة على شخص آخر بمبلغ ألف ريال مؤجلة لمدة سنة، ثم في نفس الوقت يشتري البائع سلعته من المشتري بمبلغ خمسمائة ريال معجلة، وتبقى الخمسمائة ريال في ذمة المشتري الأول، وقد ورد النهي الصريح من النبي ﷺ عن بيع العينة، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(١).

ومن الشبهات التي يرددها بعض الناس قول بعضهم: أنا مضطر

لأخذ القرض من هذا البنك الربوي، فعندي ضائقة مالية، أو أريد أن أتزوج، أو أريد أن أبني مسكناً ولم أجد من يقرضني من الناس، والضرورات تبيح المحظورات، والجواب عن ذلك أن يقال: إن الضرورة إنما تكون عند خوف الشخص على حياته، فتباح له بقدر الحاجة، كأن يكون في خارج البلد، واشتد به الجوع والعطش حتى كاد أن يموت، ولم يجد إلا خمرأ أو ميتة، فتباح له بقدر ما يسد رمقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٣﴾ [البقرة].

وقال بعض أهل العلم: إنه يتناول ثلاث لقم ولا يزيد عليها، وأيضاً يقال لهذا وأمثاله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ٢١٦﴾ وَبَرِّزْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٢٢٠﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن الشبهات كذلك قول بعضهم: إن هذه البنوك مؤسسات تجارية، فهي تدفع رواتب للموظفين، وتدفع إيجاراً للمبنى، وتحتاج إلى أجهزة تشتريها بمبالغ مالية، وغير ذلك، فالقروض التي تعطيها للناس بفوائد إنما هي للمصاريف الإدارية، وهذا كلام فيه تضليل؛ لأن صورة الربا التي وردت النصوص الشرعية بتحريمها موجودة، ومنطبقة على هذه البنوك، وسواء سميت مصاريف إدارية، أو فوائد، أو غير ذلك، فالأسماء لا تغير الحقائق، وقد صدرت فتاوى من علماء هذه البلاد بتحريم التعامل مع هذه البنوك، عملاً أو شراءً أو اقتراضاً أو غير ذلك، جاء في الفتوى رقم (٣١٩٧): ما حكم الزيادة التي تأخذها البنوك؟

الجواب: الفائدة التي تأخذها البنوك من المقترضين، والفوائد

التي تدفعها للمودعين عندها، هذه الفوائد من الربا الذي ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ.

وجاء في الفتوى رقم (١٠٨٠): هل ينطبق على كاتب الحسابات في بنك حديث لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه؟

الجواب: البنوك تتعامل بالربا مع من تقرضه، ومع من يودع فيها نقوداً، ومع غيرهم، ولا بد لمن عمل فيها كاتباً للحسابات أن يتولى حساب المعاملات الربوية، ويقيد في الدفاتر ما على كل من أطراف المعاملات، وما له، ويتحدد بذلك المدين من الدائن، وعلى ذلك ينطبق الحديث المذكور على كاتب الحسابات في البنوك الربوية، وما في حكمها من المصارف. اهـ^(١).

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وسبع عشرة

وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكُرْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكُرْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَنَزَّلُ الْأَنْجِلِيُّونَ فِيهَا جُنُّيًا ۖ﴾ [مريم].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذا خطاب لسائر الخلائق برهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه»^(١). اهـ.

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه»^(٢).

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين، والصراط الذي وردت الإشارة إليه في الأحاديث هو جسر منصوب على متن جهنم، وهو صراط دقيق جداً كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ٥٨٠). (٢) (ص ٥٠٢) برقم (٣١٥٩).

«بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حديث طويل: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة - قال في الحاشية: «الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر» - فيه خطاطيف وكلايب، وحسك - الخطاف هو الحديد المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، والكلايب هي حديدة معطوفة الرأس، ويعلق عليها اللحم، والحسك هي شوك صلبة معروفة - فيمر المؤمنون كطرف العين، والبرق، والريح، والطير، وكأجويد الخيل، والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً... الحديث»^(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ۖ﴾

[مريم].

قال ابن كثير: أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار، والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجي الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا^(٣). اهـ.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن الورود على النار لا بد منه لكل الناس، روى الإمام

(١) صحيح مسلم (ص ١٠٢) برقم (١٨٣).

(٢) صحيح مسلم (ص ١٠٢) برقم (١٨٣)، وصحيح البخاري (ص ٨٧٠) برقم (٤٥٨١) مختصراً.

(٣) (١٣٤/٣).

أحمد في مسنده من حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة، فقال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية» قالت حفصة: أليس يقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَأَرْدَاهَا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»^(٢).

ثانياً: الصراط حق يجب الإيمان به، والاستعداد له بالعمل الصالح، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «والصراط حق، يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك، نسأل الله السلامة في الجواز»^(٣).

ثالثاً: أن التقوى سبب النجاة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقَيْنِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الظلم عاقبته الهلاك في الدنيا والآخرة، لقوله في هذه الآية: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ يُوَئِهِمْ خَاوِبَةٌ إِمَّا ظَلُمُوا إِتٍ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ:

(١) (٣٦٢/٦).

(٢) صحيح البخاري (ص ١٢٧١) برقم (٦٦٥٦)، وصحيح مسلم (ص ١٠٥٥) برقم (٢٦٣٢) واللفظ له.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٧١﴾
[هود^(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الْفَالِغُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤١﴾ [إبراهيم].

خامساً: أن سرعة مرور المؤمن على الصراط بقدر أعماله التي كانت في الدنيا؛ فلذلك ينبغي له المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٣١﴾ [فاطر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب»^(٢).

ومن أمثلة المبادرة إلى الأعمال الصالحة التبكير في الحضور إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة أو الجمعة، والإكثار من نوافل الصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، والصدقة على الفقراء والمساكين، وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري (ص ٨٩٧) برقم (٤٦٨٦)، ومسلم (ص ١٠٤٠) برقم (٢٥٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٥).

الكلمة المائة وثمانية عشرة

تحريم الدخان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف المسلمين، وابتلي بها كثير من الناس شرب الدخان، ولا يخفى على كل عاقل مطلع على مقاصد الشريعة الإسلامية تحريم هذا الدخان، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: أنه من الخبائث، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولا شك أن الدخان من الخبائث، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو صاحب هوى، وكثير من الذين شربوا الخمر، واستخدموا المخدرات كانت البداية هي الدخان، ثم تطور الأمر بعد ذلك، والمعصية تقول: أختي أختي، وثبت طبياً أن ٨٠٪ من الذين استخدموا المخدرات كانت البداية هي التدخين.

ثانياً: أن في شربه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُقْلُوا يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من تحسّى سماً فقتل نفسه، فسّمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»^(١).

وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك أن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة»^(٢).

ولا شك بأن شارب الدخان إذا مات بسببه فإنه يعد قاتلاً لنفسه بتلك المواد السامة في السجائر وإن كان القتل بطيئاً، إذ لا خلاف بأن من تسبب في قتل نفسه، سواء كان القتل بطيئاً أو سريعاً فإنه يأثم بذلك.

ثالثاً: أن في شربه أضراراً صحية على البدن، وقد تعالت صيحات الأطباء بالتحذير منه، وقالوا: إن الدخان يحتوي على مواد سامة، من أهمها مادة النيكوتين، وهذه المادة لو وضع منها نقطتان في فم كلب لمات في الحال، وخمس نقاط تكفي لقتل جمل، ويقول أحد الأطباء: إن الكمية الموجودة من هذه المادة في سيجارة واحدة كافية لقتل إنسان لو أعطيت له بواسطة الوريد. وقد ذكر بعضهم أن أخوين تراهنا أيهما يدخن أكثر من الآخر، فمات أحدهما قبل السيجارة السابعة عشر، ومات الآخر قبل أن يتم الثامنة عشر.

ومن أشد الأمراض التي يحدثها التدخين مرض السرطان، يقول الأطباء: إن نسبة كبيرة من مرضى السرطان أصيبوا بهذا المرض بسبب الدخان، وأيضاً أمراض القلب والجهاز التنفسي.

(١) البخاري (ص ١١٣١) برقم (٥٧٧٨)، ومسلم (ص ٦٩) برقم (١٠٩).

(٢) مسلم (ص ١٠٩) برقم (١١٠) والبخاري (ص ١١٧٨) برقم (٦١٠٥).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»^(١).

رابعاً: أن في شربه إضاعة للمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء].

ولا شك بأن شارب الدخان من أكثر المبذرين، ولو رأينا شخصاً يمسك الدراهم بيده، ويشعل النار فيها لقلنا إنه مجنون.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»^(٢).

خامساً: أن الدخان لا يقتصر ضرره على صاحبه، بل يتعدى ضرره إلى زوجته وأولاده وأقربائه وجلسائه، وقد تقرر عند الأطباء ذلك، وهو واضح من تلوث الهواء بالغازات السامة التي تنبعث منه، وتقدم في الحديث قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

سادساً: أن الدخان تنبعث منه رائحة خبيثة تكون في فم المدخن وبدنه وثيابه، تؤذي الجليس والأنيس، وخصوصاً عند دخوله المسجد واختلاطه بالمصلين، وقد أمر النبي ﷺ من وجدت منه رائحة الثوم والبصل ونحوها أن يخرج من المسجد، مع أنهما مما أحله الله، فكيف يكون نهيه إذاً لصاحب الدخان؟ وهو القائل: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(٣).

(٢) (٦١٢/٤) برقم (٢٤٢٦).

(١) (٣١٣/١).

(٣) صحيح مسلم (ص ٢٢٤) برقم (٥٦٤)، وصحيح البخاري (ص ١٧٣) برقم (٨٥٤).

ومما ينبغي التنبيه عليه مقاطعة المحلات التجارية التي تباع هذه السموم على الناس، وفي المقابل تشجيع المحلات والدكاكين التي تمتنع عن بيع الدخان، وهذا من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قد يقول البعض من الناس: لا أستطيع ترك الدخان، فيقال له: أنت تترك الدخان في رمضان أكثر من عشر ساعات، فالمسألة تحتاج إلى عزيمة وإرادة، وقد جرب أناسٌ كثيرون فتعبوا في بداية الأمر، ولكن الله علم منهم صدق النية، فأعانهم وتركوه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

وهناك عيادات متخصصة لمعالجة المدخنين، ويقوم عليها إخوة أفاضل، وقد نفع الله بها، وترك الكثير من المدخنين شرب الدخان بعد مراجعة هذه العيادات وأخذ العلاج اللازم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إنك لن تدع شيئاً لله ﷻ إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (٣٦٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠): رواه أحمد بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٦٢/١): وسنده صحيح على شرط مسلم.

الكلمة المائة وتسع عشرة

الجمعة ومكانتها والسنن التي تعمل في ذلك اليوم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله تعالى خص أمة محمد ﷺ بخصائص ومميزات عن بقية الأمم، ومن ذلك أنه جل وعلا اختار لهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها»^(٢).

(١) (ص ٣٣٢) برقم (٨٥٦)، ورواه البخاري بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(ص ١٧٧) برقم (٨٧٦).

(٢) (ص ٣٣١) برقم (٨٥٤).

ومن فضائل هذا اليوم أن الله جعله عيداً للمسلمين، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن هذا اليوم عيد، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل»^(١) الحديث.

ومنها أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئاً إلا أعطاه، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه، وقال بيده يقللها، يزهدا»^(٢).

واختلف العلماء في وقتها على أقوال، أرجحها قولان:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحنة هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى أن عبد الله بن عمر قال له: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئاً؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»^(٣).

الثاني: أنها بعد العصر، وهو أرجح القولين، لما روى النسائي من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا آتاه إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»^(٤).

وهذا القول هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، أما

(١) (ص ١٢٤) برقم (١٠٩٨).

(٢) مسلم (ص ٣٣٠) برقم (٨٥٢)، والبخاري (ص ١٠٤٨) برقم (٥٢٩٤).

(٣) (ص ٣٣١) برقم (٨٥٣). (٤) (ص ١٦٤) برقم (١٣٨٩).

حديث أبي موسى السابق فقد أعل بعلة كثيرة أشار إليها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري^(١).

ومنها أنه يوم تكفير السيئات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»^(٢).

ومن آداب يوم الجمعة التي ينبغي للمؤمن الحرص عليها:

أولاً: استحباب قراءة الإمام «الم، تنزيل» السجدة، و«هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ» في فجر يوم الجمعة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة «الم، تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر»^(٣).

ثانياً: استحباب كثرة الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وليلتها، لقول النبي ﷺ فيما رواه النسائي من حديث أوس بن أوس: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ أي يقولون: قد بليت، قال: إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ﷺ»^(٤).

وروى البيهقي في سننه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً»^(٥).

(١) انظر: فتح الباري (٢/ ٤٢١ - ٤٢٢).

(٢) (ص ١٢٢) برقم (٢٣٣). (٣) (ص ٣٣٨) برقم (٨٧٩).

(٤) (ص ١٦٢) برقم (١٣٧٤). (٥) (٣/ ٢٤٩) برقم (٥٧٩٠).

الكلمة المائة وعشرون

الأمثلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة التي وصف الله بها أنبياءه وعباده المؤمنين الأمانة. فوصف بها موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ووصف بها يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِدِيَارِي أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمُوهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

وكذلك غيرهما من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،
حيث كان كل واحد منهم يقيم الحجة على قومه بوجوب طاعته؛
لأن الله ائتمنه على رسالته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء].

ورسلنا محمد ﷺ كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهوراً بينهم بأنه الأمين، فكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر النبي ﷺ وكل علياً رد الودائع إلى أصحابها، وجبريل عليه السلام أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْأَمِينِ ﴿١٢١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٢٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال:

ثالثاً: الأمر بالاغتسال فيه، وهو أمر مؤكد جداً، ويرى بعض العلماء وجوب الغسل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن، وأن يمس طيباً إن وجد»^(١).

رابعاً: استحباب مس الطيب والسواك، ولبس أحسن الثياب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها»^(٢).

خامساً: استحباب قراءة سورة الكهف، روى الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٣).

سادساً: استحباب التبكير إلى صلاة الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس الثقفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل واغتسل، وغدا وابتكر، ودنا فاقرب، واستمع وأنصت، كان له بكل خطوة يخطوها أجر قيام سنة وصيامها»^(٤).

(١) البخاري (ص ١٧٧) برقم (٨٨٠)، ومسلم (ص ٣٢٩) برقم (٨٤٦).

(٢) (٨١/٣). (٣) (٣٩٩/٢) برقم (٣٣٩١).

(٤) (٢٠٩/٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»^(١).

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة من السنن العظيمة، التي قصر فيها كثير منا، ولعل فيما تقدم من الأحاديث الواردة في فضل التبكير ما يقوي العزائم، ويشحذ الهمم للمسارعة إلى هذا الفضل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (ص ١٧٨) برقم (٨٨١)، وصحيح مسلم (ص ٣٢٩) برقم (٨٥٠).

أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه أمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي^(١).

وهي من صفات المؤمنين المفلحين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ (١١)﴾ [المؤمنون].

وبهذه الأمانة يحفظ الدين، والأعراض، والأموال، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝ (٧٦)﴾ [الأحزاب].

قال بعض المفسرين: المعنى أن الله تبارك وتعالى عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقاً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بالذي فيه الحظ له. اهـ^(٢).

قال ابن جرير تعليقاً على الآية الكريمة: وأولى الأقوال في ذلك

(١) البخاري (ص ٥١٠) برقم (٢٦٨١)، ومسلم (ص ٧٣٦ - ٧٣٧) برقم (١٧٧٣).

(٢) تفسير الطبري (١٠/٣٣٩).

بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عني بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا^(١).

قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين، ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، وقال بعضهم: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٢).

روى الطبراني في المعجم من حديث شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن فقدان الأمانة من علامات الساعة، فروى البخاري من حديث أبي هريرة ؓ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة»، وحدثنا عن رفعها فقال: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنقط فتراه منتبراً - أي مرتفعاً - وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني

(١) تفسير الطبري (٣٤٢/١٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٤/١٤ - ٢٥٥).

(٣) (٣٥٣/٩) برقم (٩٧٥٤). (٤) (ص ٣٦) رقم (٥٩).

فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات النفاق، فروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٢).

وقد ذكرت الأمانة في القرآن على ثلاثة أوجه، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال]. والمراد الفرائض.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. والمقصود الودائع، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبْكَأَتِ أُسْتَجِيرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أُسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصاص]. والمراد العفة والصيانة.

ومن الأمانة حفظ الأسرار الزوجية، فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من أشرف الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»^(٣).

ومنها عدل الحاكم بين الرعية، فروى مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»^(٤).

(١) البخاري (ص ١٢٤٦) برقم (٦٤٩٦)، ومسلم (ص ٨١) برقم (١٤٣).

(٢) البخاري (ص ٣٠) برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٣) (ص ٥٧٠) برقم (١٤٣٧). (٤) (ص ٧٦٣) برقم (١٨٢٥).

ومما تقدم يتبين أن الأمانة أوسع مما يتصور بعض الناس أنها مقصورة على الودائع، فإنها تشمل أمانة الرجل على دينه أن يقوم به ويحافظ عليه، فوقت المسلم أمانة، وعرضه أمانة، وماله أمانة عنده، وسمعه وبصره ولسانه أمانة، وجوارحه على وجه العموم أمانة.

ومنها أمانة الراعي على رعيته، والرجل على أهل بيته، والمرأة على بيتها وأولادها، والمدير على موظفيه الذين يعملون عنده، والموظف في وظيفته، والمدرس على طلابه، وبالجمله فإن الأمانة تشمل جميع وظائف الدين، كما قال القرطبي رحمته الله.

اللهم اجعلنا ممن إذا أوثمن أدى الأمانة، اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة وسائر الصفات الذميمة، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، واجعلنا من الراشدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وإحدى وعشرون

صلة الأرحام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أنفس القرب، وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والآخرة، صلة الأرحام، والأرحام هم أقارب الرجل نفسه، كأمه وأبيه، وابنه، وابنته، وأخته، وأخيه، وكل من كان بينه وبينه صلة من قبل أبيه، أو أمه، أو ابنه، أو ابنته، ولا يدخل في ذلك أقارب الزوج أو الزوجة، فهؤلاء يحسن إليهم، لكن ليسوا أرحاماً، وإنما هم أصهار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال].

وقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام: وجعل الوصية بصلة الأرحام قرينة الوصية بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بفعل طاعته، وترك معصيته، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لكن صلوها وبروها كما قال ابن عباس وغير واحد من السلف.

قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الروم].

فبين سبحانه أن صلة الرحم حق لازم واجب الأداء، سواء كان حقاً مادياً أو معنوياً.

ولقد كانت الدعوة لصلة الرحم من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ أول بعثته، ففي الصحيحين في قصة أبي سفيان مع هرقل حين سأله هرقل: فماذا يأمركم؟ يعني النبي ﷺ، قال أبو سفيان: قلت: يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة^(١).

وصلة الأرحام سبب لبسط الرزق وطول العمر في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ففي الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وفق، أو لقد هُدي»، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد. فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة»^(٢). وفي رواية: «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة»^(٣)، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من سره أن يُبسط له في رزقه، أو يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»^(٤).

(١) البخاري (ص ٢٣) برقم (٧)، ومسلم (ص ٧٣٧) برقم (١٧٧٣).

(٢) مسلم (ص ٣٩) برقم (١٣)، والبخاري (ص ٢٧٢) برقم (١٣٩٧).

(٣) صحيح مسلم (ص ٣٩) برقم (١٣).

(٤) البخاري (ص ٣٩١) برقم (٢٠٦٧)، ومسلم (ص ١٠٣٣) برقم (٢٥٥٧).

وقطיעة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، التي توعدها الله صاحبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطיעة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك». قال رسول الله ﷺ: «فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» [محمد] ^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطיעة الرحم» ^(٢).

وقاطع الرحم مهدد بعدم دخول الجنة، ففي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» ^(٣).

والواصل لرحمه هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت

(١) البخاري (ص ١١٦١) برقم (٥٩٨٧)، ومسلم (ص ١٠٣٢) برقم (٢٥٥٤).

(٢) (ص ٤٠٩) برقم (٢٥١١) قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري (ص ١١٦٠) برقم (٥٩٨٤)، وصحيح مسلم (ص ١٠٣٣) برقم (٢٥٥٦). واللفظ لمسلم.

رحمه وصلها»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسقهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٢).

قال شراح الحديث: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، ولكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم بحقه، وإدخالهم الأذى عليه.

وتحصل صلة الرحم بالإحسان إليهم بما يتيسر من أنواع الإحسان، قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، والعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء.

قال القرطبي: تجب مواصلتها - يعني الرحم - بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم. والمعنى الجامع للصلة أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، بحسب الوسع والطاقة لكل شخص منهم بحسب منزلته وحاله، ومناسبة صلته، وتيسر ذلك. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال الإمام النووي: قال أصحابنا: «يستحب أن يقدم الأم في البر، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجندات، ثم الإخوة

(١) (ص ١١٦١) برقم (٥٩٩١). (٢) (ص ١٠٣٣) برقم (٢٥٥٨).

والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام، كالأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب^(١)، إلى آخر ما قال.

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ فسمعتة يقول: «أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك»^(٢).

والصدقة على ذي الرحم تضاعف لصاحبها، روى الترمذي من حديث سلمان بن عامر أن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ميمونة بنت الحارث أنها أعتقت وليدة، ولم تسأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: «أو فعلت؟»، قالت: نعم. قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرک»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/١٠٣).

(٢) (٤/١٦٧).

(٣) (ص ١٢٨) برقم (٦٥٨)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) البخاري (ص ٤٩١) برقم (٢٥٩٢)، ومسلم (ص ٣٨٧) برقم (٩٩٩).

الكلمة المائة واثنان وعشرون

وقفة مع سورة الماعون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر، سورة الماعون، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ۚ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْمَعُونَ أَلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ۚ ﴿١﴾﴾ أي: أرايت يا محمد الذي لا يصدق بالجزاء وما فيه من ثواب وعقاب، وقيل: إنه عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، وهؤلاء هم الذين ينكرون البعث، ﴿وَكَاذِبًا يَقُولُوتَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ۖ إِنَّا لَبَعُوثُونَ ﴿٦﴾﴾ [الواقعة]، ويقول القائل منهم: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ ﴿١﴾﴾ أي الذي يقهر اليتيم، ويظلمه حقه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه، واليتيم هو الذي مات أبوه، وهو دون سن البلوغ، ذكراً كان أو أنثى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ ﴿٢﴾﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله، أو تكذيبه بالجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ فويل: أي عذاب لهم، قال بعض المفسرين: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج الوقت.

روى أبو يعلى في مسنده من حديث مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال: قلت لأبي: يا أبتاه، أرايت قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾ أين لا يسهو، لا يحدث نفسه؟ قال: ليس ذاك، إنما إضاعة الوقت يلهو حتى يضيع الوقت^(١).

قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ ﴿٥٩﴾ [مريم].

وقال آخرون: يتركونها فلا يصلونها، وقد ورد ذلك عن ابن عباس، وقال: هم المنافقون الذين يتركون الصلاة سرّاً، ويصلونها علانية^(٢).

قال ابن كثير رحمته الله: أي يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت دائماً أو غالباً، وإما يقصرون عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، وكل من اتصف بشيء من ذلك له قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل النفاق العملي، كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنفقها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(٣).

(١) (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٤١): إسناده حسن.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٥٤). (٣) (ص ٢٤٦) برقم (٦٢٢).

وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن، ولا خشع أيضاً، ولهذا قال: لا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولعله إنما حملة على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يُصل بالكلية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وقال تعالى ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (١) وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) أي: لا أحسنوا عبادة ربهم بإخلاص العبادة له، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به، ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم كالإناء، والدلو، والفأس، فهؤلاء؛ لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن فيها الحث على إطعام اليتيم والمساكين، والتحضيض على ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»، وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر» (٣).

ثانياً: الحث على أداء الصلاة في وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٥٤). (٢) (ص ١١٦٣) برقم (٦٠٠٥).

(٣) صحيح مسلم (ص ١١٩٥) برقم (٢٩٨٢)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ١١٦٤) برقم (٦٠٠٧).

مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»^(١).

ثالثاً: الحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء، والدلو، والكتاب، والفأس، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أربعون خصلة، أعلام من منحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»^(٢).

قال حسان: فعدنا ما دون منحة العنز، من رد السلام، وتشميت العاطس، وإمالة الأذى عن الطريق، ونحوه، فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة^(٣).

رابعاً: الحث على الإخلاص في العمل، والتحذير من الرياء والسمعة، كما قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرْبُدُ مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ [الإنسان].

روى البخاري ومسلم من حديث جندب أن النبي ﷺ قال: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»^(٤).

المعنى: أن من سمع فضحه الله، وبين للناس أن الرجل ليس مخلصاً، ولكنه يريد أن يسمعه الناس فيمدحونه على عبادته، ومن رأى كذلك يفضحه الله، ويبين أمره إن عاجلاً أو آجلاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري (ص ١٢١) برقم (٥٢٧)، ومسلم (ص ٦٢) برقم (٨٥).

(٢) (ص ٤٩٧) برقم (٢٦٣١). (٣) (ص ٤٩٧).

(٤) البخاري (ص ١٢٤٦) برقم (٦٤٩٩)، ومسلم (ص ١١٩٦) برقم (٢٩٨٧).

الكلمة المائة وثلاث وعشرون

كلمة توجيهية للمدرسين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المدرسين، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها.

أولاً: إخلاص النية لله تعالى في تعليمهم أبناءهم وإخوانهم الطلاب، وتربيتهم على ما يرضي ربهم جل وعلا، والصبر على ذلك احتساباً للأجر منه، وابتغاء ثوابه، قال بعض أهل العلم: «الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجاز سواه، وهو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي مِثْلِي رَحِمَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيمَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۞ [الأنعام].

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين:
الأول: أن يكون العمل ظاهره موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بيّنه رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

الثاني: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

قال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة^(٣).

ومن أعظم الدلائل على الإخلاص أن العبد يعمل العمل الصالح، ثم لا يبالي باطلاع الناس عليه، بل لو نسب إلى غيره لأفرحه ذلك لعلمه أنه محفوظ عند الله تعالى.

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس له فيها نصيب - أي من الدنيا -.

ثانياً: تقوى الله ﷻ، ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله ﷻ وصيته للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بتقوى الله، ففي حديث العرياض بن سارية أن النبي ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة»^(٤).

(١) البخاري (٢٦٧/٢) برقم (٢٦٩٧)، ومسلم (٣/٣٤٣) برقم (١٧١٨).

(٢) البخاري (ص ١٣١١) برقم (١)، ومسلم (٣/١٥١٥) برقم (١٩٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/٩٣).

(٤) سنن أبي داود (ص ٥٠٤) برقم (٤٦٠٧).

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

والحذر من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، ويدخله مدخلاً كريماً، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء]. أي كثير الخير والبركة، والحذر من صغائر الذنوب، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات»^(١).

قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات.

قال الأوزاعي: «لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت».

ثالثاً: القدوة الحسنة، فمن المعلوم أن الطالب يتأثر بمعلمه، ويحب تقليده والاقتراء به، فيجب على المربين والمعلمين ألا يخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لا تنه عن خلقي وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

رابعاً: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٥٧﴾ [الإسراء].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿١٣١﴾ [فصلت].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم في أقواله وأعماله؛ في عبادته لربه، وتعامله مع عباده، قال عبد الله بن المبارك: «حسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وأن تحتمل ما يكون من الناس».

فأوصي أخي المدرس أن يكون حسن الخلق مع زملائه، ومع طلابه، ومع أولياء أمورهم، وأن يكون رفيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢).

ولقد كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعت: لم صنعت؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟»^(٣).

(١) (٣٦٢/٤) برقم (٢٠٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) (ص ١٠٤٣) برقم (٢٥٩٣).

(٣) (٣٦٨/٤) برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

خامساً: أن يحرص المدرس على تربية طلابه تربية صالحة فيعلمهم أمور الإسلام والإيمان، ويغرس محبة الله وتعظيمه في قلوبهم، ويحبب إليهم النبي ﷺ، ويبين لهم وجوب اتباعه، والعمل بسنته، والافتداء به، ويعلمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، كآداب المسجد، والمجلس، واحترام المعلم والكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، ويعودهم على الكلام الحسن، ويحذرهم من الألفاظ القبيحة، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وأربع وعشرون

غض البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن التي يواجهها المسلم في هذه الحياة فتنة النظر إلى النساء وهذه الفتنة تواجهه في السوق، وفي الطرقات، وفي الأماكن العامة، وفي الجرائد والمجلات، وفي غير ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»^(٢).

ومن الأمور المعينة للتغلب على هذه الفتنة:

أولاً: استحضار النصوص الواردة في الأمر بغض البصر، والنهي عن إطلاقه في الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

(١) البخاري (ص ١٠١٠) برقم (٥٠٩٦)، ومسلم (ص ١٠٩٥) برقم (٢٧٤٠).

(٢) (ص ١٠٩٦) برقم (٢٧٤٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(٣).

ثانياً: استحضار العبد اطلاع الله عليه، وإحاطته به لكي يخاف، ويستحي منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ فَنَسُوهُ وَخَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاء في الأحاديث المختارة عن سعيد بن زيد أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي الله ﷻ كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك»^(٤).

ثالثاً: أن يتذكر العبد شهادة العينين عليه يوم القيامة، قال

(١) مسلم (ص ١٠٦٦) برقم (٢٦٥٧)، والبخاري (ص ١٢٠٢) برقم (٦٢٤٣).

(٢) (ص ٨٩١) برقم (٢١٥٩). (٣) (ص ٢٤٤) برقم (٢١٤٩).

(٤) الأحاديث المختارة (٣/ ٢٩٩) برقم (١٠٩٩)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٩٨) برقم (٢٥٤١).

تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فيقول: فإنني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانها: انطقي، قال: فتتطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه، وبين الكلام. قال: فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل»^(١).

رابعاً: أن يتذكر العبد منافع، وثمرات غض البصر، قال ابن القيم رحمه الله: «ومن ثمراته:

أ - أن في غضه امتثال لأمر الله، الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

ب - أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه، قال الشاعر:

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
ج - أنه يورث القلب سروراً، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك بقهر عدوه بمخالفة نفسه وهواه^(٢)، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال:

(١) (ص ١١٩١) برقم (٢٩٦٩).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

«إنك لن تدع شيئاً لله ﷻ، إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه»^(١).

د - أنه يكسب القلب نوراً، كما أن إطلاقه يكسب القلب ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان^(٢).

خامساً: الزواج وهو من أنفع العلاج وأقواه في معالجة هذا الأمر، روى البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»^(٣).

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شر البصر الذي يؤدي إطلاقه إلى كل شر، فروى البخاري في الأدب المفرد من حديث شكل بن حميد ؓ أنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاءً أنتفع به. قال: «قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر مني»^(٤).

(١) (٣٦٣/٥).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

(٣) مسلم (ص ٥٤٩) برقم (١٤٠٠)، والبخاري (ص ١٠٠٥) برقم (٥٠٦٦).

(٤) (٦٦٣) واللفظ له، وأبو داود (ص ١٨٣) برقم (١٥٥١)، وصححه الألباني =

قوله: وبصري: كي لا أنظر إلى محرم، وفي هذا الحديث
 الالتجاء إلى الله تعالى بالمعافاة من شر السمع والبصر واللسان
 والقلب، والمني؛ لأن هذه الحواس والأشياء خلقت للطاعة^(١).
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



= في صحيح الأدب المفرد (٥١٥).

(١) الشرح الممتع (٢٢/٤).

الكلمة المائة وخمسة وعشرون

تحريم حلق اللحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين حلق اللحية.

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «الله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جرير رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: «فيما استطعت» والنصح لكل مسلم^(٢).

وعملاً بهذا التوجيه النبوي الكريم كانت هذه الكلمة للتذكير بتحريم حلق اللحية.

واللحية اسم جامع للشعر النابت على العارضين والخدين والذقن، وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير من حلقها، أو أخذ جزء منها، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: أنه تغيير لخلق الله، قال تعالى حاكياً عن إبليس لعنه الله:

(١) (ص ٥٤) برقم (٥٥).

(٢) (ص ٥٤) برقم (٥٦).

وعمل بالجوارح، فلا يكفي التصديق بالقلب، بل لا بد من العمل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



﴿وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَلَئِنْ كُنَّ إِذْ ذَاكَ الْأَنْعَامُ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾
[النساء: ١١٩].

فالواجب على المسلم أن لا يتعرض لشيء مما خلقه الله بالتغيير، إلا ما أذن الشرع في أخذه، مثل شعر الرأس، والشارب، والإبطين، والأظافر، وغير ذلك مما أذن فيه الشرع، وإذا كانت المرأة التي تقوم بتنف الحاجبين، وتفلج الأسنان للحسن، قد لعنها رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»^(١).

وعلة ذلك أنها غيرت خلق الله، مع أنه مباح لها الزينة، فالرجل من باب أولى، قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم].

ثانياً: أن اللحية من سنن الفطرة، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «عشر من الفطرة... وذكر منها: قص الشارب، وإعفاء اللحية»^(٢).

ثالثاً: أن في حلقها مخالفة للأحاديث الصحيحة الموجبة لإعفائها، وهي كثيرة، ومقتضى الأمر الوجوب ما لم يأت صارف عن هذا الأمر، فدل على أن إعفاءها أمر واجب على كل مسلم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(١) البخاري (ص ١١٥٤) برقم (٥٩٤٣)، ومسلم (ص ٨٨٠) برقم (٢١٢٥).

(٢) (ص ١٢٩) برقم (٢٦١).

ومن هذه الأحاديث ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهكوا الشوارب - يعني حفوا الشوارب - وأعفوا اللحي»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: أنه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحية^(٢)، وقد عد النووي الألفاظ التي وردت في اللحية، فبلغت خمساً، وهي: أعفوا، وأرخوا، وأوفوا، وأرجوا، ووفروا، وهذه تدل على ترك اللحية وافرة، وعدم التعرض لها بشيء من الحلق أو التفف أو التقصير^(٣).

رابعاً: أن في حلقها تشبهاً بالمشركين والمجوس واليهود والنصارى، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين، وفروا اللحي وأحفوا الشوارب»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديثه أن النبي ﷺ قال: «جزوا الشوارب، وأرخوا اللحي، خالفوا المجوس»^(٥). وذلك أن المجوس يطيلون الشوارب، ويقصون اللحي، وبعضهم يحلقها تماماً، فنهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم في هذا وذاك، وفي الحديث الذي رواه ابن جرير، وابن سعد في الطبقات في قصة رسولي كسرى حينما رأهما النبي ﷺ وقد حلق كل واحد منهما لحيته، ووفرا شاربيهما، فأعرض عنهما النبي ﷺ وقال: «ويلكما، من أمركما بهذا؟»، فقالا: أمرنا ربنا،

(١) البخاري (ص ١١٤٨) برقم (٥٨٩٣)، ومسلم (ص ١٢٩) برقم (٢٥٩).

(٢) (ص ١٢٩) برقم (٢٥٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٥١).

(٤) البخاري (ص ١١٤٨) برقم (٥٨٩٢)، ومسلم (ص ١٢٩) برقم (٢٥٩).

(٥) (ص ١٢٩) برقم (٢٦٠).

يعنيان كسرى، فقال لهما النبي ﷺ: «ولكن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأن أقص شاربي»^(١).

فإذا كان النبي ﷺ أنكر على هذين الرجلين، مع العلم بأنهما كافران من المجوس، فالمسلم من باب أولى.
إضافة إلى أن اللحية زينة وجمال للرجل.

خامساً: أن في حلقها مخالفة لسنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، والخلفاء الراشدين والصحابة من بعدهم، قال تعالى حاكياً عن هارون وهو يخاطب موسى ﷺ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه].

قال الشنقيطي رحمه الله: إذا ضمت هذه الآية إلى آية الأنعام التي ذكر فيها ﷺ والأنبياء، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَمُهُ﴾.

دلت على لزوم إعفاء اللحية وهذا دليل من كتاب الله.
وإعفاء اللحية من السمات التي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمات الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والعجب من الذين مسخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفرون من صفات الذكورية، وشرف الرجولة إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء، حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى، وهو اللحية، وقد كان ﷺ كث اللحية، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة، والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (١/١٤٧/٢)، وهو حسن انظر: تخريج فقه السيرة (ص ٣٥٩) للألباني، والعزو منه.

ليس فيهم حالق، نرجوا الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه^(١). اهـ.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية^(٢)، وفي صحيح البخاري من حديث أبي معمر، قال: «قلنا لخباب: أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم. قلنا: بم كنتم تعرفون ذاك؟ قال: باضطراب لحيته»^(٣)، وهذا دليل على أنه كان يعفيها ولا يأخذ منها شيئاً، وهكذا الصحابة جميعاً ولم يعرف حلق اللحية إلا في الأزمنة المتأخرة.

وبعض الناس يثير شبهة إذا نصحته بعدم حلق اللحية، فيقول: الإيمان بالقلب، وليست القضية تربية اللحية، فكم من إنسان حلق اللحية خدّم الإسلام والمسلمين، وكم من إنسان أعفى لحيته وعليه من التقصير ما الله به عليم؟

فالجواب عن ذلك أن على المؤمن الالتزام بأوامر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٦١﴾ [آل عمران]. وقال ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم»^(٤).

وهذه شبهة باطلة، لو أخذنا بها لتركنا كثيراً من الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع. ثم إن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب،

(١) أضواء البيان (٣/٦٤).

(٢) قطعة من حديث (ص ٩٥٥) برقم (٢٣٤٤).

(٣) (ص ١٥٥) برقم (٧٤٦).

(٤) صحيح مسلم (ص ٩٥٩) برقم (١٣٣٧)، وصحيح البخاري (ص ١٣٨٩) - (١٣٩٠) برقم (٧٢٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران عظيمان، وهما:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالة فيه، وتكفير من تركه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى (لا إله إلا الله) الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة السواء هي (لا إله إلا الله)، أي لا معبود بحق إلا الله، فلا دعاء ولا استغاثة، ولا ذبح، ولا نذر، ولا غير ذلك من العبادات إلا لله سبحانه، وهذه هي دعوة الرسل عليهم السلام.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والشرك محبط لجميع الأعمال، كبيرها وصغيرها، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، ولا فرضاً ولا نفلاً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا

إِلَّا مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿١٣﴾ [الفرقان] (١).

وإن مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية، وغيرها من الوسائل من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر الحذر، وهذا هو الخطر الأول.

أما الخطر الثاني: فمما يلاحظ انتشار الكهانة والسحر، وكثرة المرتادين لهم بعذر التداوي ونحوه، ولا يجوز للمسلمة الذهاب إلى هؤلاء الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات، لتعرف منهم مرضها، كما لا يجوز لها أن تصدقهم فيما يخبرونها به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، روى مسلم في صحيحه من حديث صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (٢).

وهناك الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد، والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلهما.

الوصية الثانية: المحافظة على هذه الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة].

وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في

(١) انظر: مجموعة التوحيد (ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) (ص ٩١٧) برقم (٢٢٣٠).

المعجم الأوسط من حديث عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال: «أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»^(١).

وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة»^(٣).

واعلمي أختي المسلمة أنه لا يكتمل إسلام المرأة إلا بالقيام بأركان الإسلام الخمسة، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»^(٤).

الوصية الثالثة: التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه أن

(١) (٢٤٠/٢) برقم (١٨٥٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٥٨).

(٢) سنن ابن ماجه (٩٠٠/٢) برقم (٢٦٩٧).

(٣) (ص ١٧٢) برقم (١٤٢٠).

(٤) البخاري (٢٠/١) برقم (٨)، ومسلم (٤٥/١) برقم (١٦).

النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين»^(١).

لذلك ينبغي للمرأة المسلمة أن تحرص على تعلم أمور دينها، كحضور الدروس والمحاضرات، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وقراءة الكتب النافعة، ومن أهمها حفظ كتاب الله، فهو رأس العلوم كلها، ومنبع الحكم، ورياض الصالحين، والعصمة من الضلال لمن تدبره وعمل به، تقول عائشة رضي الله عنها: «نعم نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء من السؤال عن دينهن».

الوصية الرابعة: تقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله وصية الله للأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]^(٢).

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بتقوى الله، وفي حديث العرياض بن سارية أن النبي ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة»^(٣).

والحذر من المعاصي، كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، وأن يدخله مدخلاً كريماً، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

الوصية الخامسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ عَلَى مَا أُحْضِرَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ فَلَا تَحْضَمْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

(١) البخاري (ص ٥٩٦) برقم (٣١١٦)، ومسلم (ص ٣٩٨) برقم (١٠٣٧).

(٢) صحيح البخاري ص ٥٠.

(٣) سنن الترمذي ص ٤٣٣ برقم (٢٦٧٦).

وهذا خطاب لنساء النبي ﷺ، صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مخاطبات بذلك. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [التوبة].

فعلى المرأة المسلمة أن تحرص على هذه الشعيرة العظيمة، خاصة في بيتها مع أولادها وأقاربها، وإذا رأت من أخواتها المسلمات تقصيراً في طاعة الله في صلاتهن أو صيامهن، أو حقوق أزواجهن، أو غير ذلك، فعليها أن تنصحن بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، مقتدية في ذلك بنساء الصحابة رضي الله عنهن.

الوصية السادسة: الاتصاف بصفة الحياء، قال تعالى عن موسى عليه السلام عندما سقى المرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنَّى يَدْعُوكَ لِجَعْلِكَ أَجَرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

والملاحظ أن خلق الحياء أصبح ضعيفاً عند كثير من النساء، ومن صور ذلك خروج المرأة مع السائق بمفردها، أو لبس النقاب الذي يوضع على منتصف الأنف، فيستر ما تحت ذلك، ويظهر العينين والجبهة، أو لبس البنطال أمام النساء، أو وضع العباءة على الكتف، أو لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة، أو العارية. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما... وذكر أحدهما: نساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

فعلى المرأة المسلمة أن تنتبه لما يريده أعداء الله، فهم يريدون انحلالها، وأن تصبح سلعة رخيصة بأيديهم، ويريدون سلخها من إيمانها ودينها، وخروجها عن فطرتها التي فطرها الله عليها، فعليها أن تكون على حذر من ذلك.

الوصية السابعة: الإكثار من الصدقة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ وعظ النساء، وقال: «أكثرن من الصدقة، فإن أكثرن حطب جهنم»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة، ويحث عليها، ويدعو إليها بماله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر. اهـ^(٢).

ومن أفضل أنواع الصدقة التي تستمر للعبد بعد وفاته الصدقة الجارية، كحفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين، ونحو ذلك.

(١) (ص ٣٤٢) برقم (٨٨٥).

(٢) زاد المعاد (٢٢/٢ - ٢٣) بتصرف.

الوصية الثامنة: الابتعاد عن رفيقات السوء، فقد أخبر تعالى أن الإنسان يندم يوم القيامة على مصاحبته للجليس السوء الذي أضله وأبعده عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُورُ يَلْتَمِسُ أُنْخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۖ﴾ ﴿٧﴾ ﴿يَوْمَ لَقَىٰ لَيْتَىٰ لَمَّا أَخَذَتْهُمَا لِلْكَافِرِ لَعَنَ الْكَافِرُ وَلَعَنَ الرَّسُولُ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ﴾ ﴿٨﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۖ﴾ ﴿٩﴾ [الزخرف].

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»^(١).

وكم من فتاة فشلت في دراستها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة انتهكت عرضها، وخسرت كرامتها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة وقعت في المخدرات والمسكرات، وما ترتب على ذلك من مآسي كثيرة بسبب ذلك.

لذلك أوصي أخواتي المسلمات بالحرص على الرفقة الصالحة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (ص ١٠٩١) برقم (٥٥٣٤)، ومسلم (ص ١٠٥٥) برقم (٢٦٢٨).

الكلمة المائة وسبع وعشرون

خطورة التلفاز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا هذا اليوم عن فتنة دخلت كل بيت إلا من رحم الله؛ إنه التلفاز، ولعل الكلام فيه يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية فيه.

ثانياً: أقوال العلماء فيه.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: الحل.

فمن تلك المخالفات الشرعية: ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب بهم، والميل إليهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [المجادلة].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصور كريهة، كوضع اللحية على رجل ناقص العقل، وتشويه صورة الحجاب، ولمز الصالحين وأهل الخير، ونحو ذلك مما فيه استهزاء بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ وَإِنَّا بِلَهِهِمْ كَافِرُونَ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْزِدُوهُمْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومنها: ما يسمى بأفلام الكرتون، وتعرض هذه الأفلام بطريقة خبيثة يتلقى فيها الأطفال ما يخالف العقيدة الإسلامية، والآداب الفاضلة، من الكفر والضلال والعشق، فقد ذكرت الأخت طيبة يحيى في كتابها «بصمات على ولدي»، بعد مشاهدتها لعدد من برامج الأطفال ما خلاصته: «أن هذه البرامج تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة، مثل صور الصليب، والتبرج، والاختلاط، وسماع الموسيقى، وشرب الدخان»، وفيها يقول أحدهم وهو يخاطب زميله: كما كنت حين صنعتك، وكأنه الخالق الذي يخلق البشر، وقول آخر: «إن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية»، وهذا كفر، فنظام من ذلك الذي يسيطر على كل المجرات تلك السيطرة إلا ناموس الخالق جل وعلا. وينبغي على الآباء أن يعلموا الأبناء أن أكثر برامج التلفاز، وخاصة المسلسلات والأفلام، وحتى الكارتونية منها مصدرها الدول الأجنبية (الكافرة) المعادية

للإسلام والمسلمين، والتي لا شيء أحب إلى قلبها من إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم وخلقهم وتراثهم الخير، حتى يبقوا دائماً وأبداً تحت سيطرتهم، مع إعلامهم أن اليهودية العالمية هي التي تسيطر على جميع وسائل الإعلام، والوكالات في الغرب، لذلك لا تقدم لنا إلا الشر بأثواب براقة خداعة^(١).

وغير ذلك من المخالفات الكثيرة، مما يقدح في عقيدة الطفل وسلوكه وأخلاقه.

ومن المخالفات الشرعية الأخرى تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء، على أنه أمر عادي لا حرمة فيه عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري»^(٢).

فكيف بمن يتعمد النظر إلى النساء العاريات وهن بكامل زينتهن على شاشة التلفاز، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل زينتهن، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنَ

(١) انظر: (ص ٥٧، ٦٧، ٨١). من كتاب الأخذ طيبة الريحى.

(٢) (ص ٨٩١) برقم (٢١٥٩).

يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾ [لقمان].

وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود على أنه الغناء.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف»^(١).

أقوال العلماء فيه: سئل المشايخ عبد الله بن حميد، وعبد العزيز ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله عن التلفاز، هل هو حرام أو حلال؟ فأجابوا بأن التلفاز آلة لا نستطيع أن نحرمها، تستخدم للخير أو الشر، فإن استخدم التلفاز في محرم، مثل الغناء الماجن، وإظهار صور فاتنة، وتمثيلات هابطة، فيها كذب وخيانات زوجية، واختلاط بين الرجال والنساء، ومسلسلات بوليسية إجرامية، فإنه حرام، وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن، وإبانة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك جائز، وإن تساوى الأمران، أو غلب جانب الشر كما هو الحال الآن، فهو حرام^(٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التلفاز، فقالوا: إنه آلة تستخدم للخير والشر، بحسب الحال التي تستخدم فيه، ولكن الأحوط ترك إدخاله، لأنه قد يكون وسيلة إلى سماع ما يحرم، وذريعة إلى رؤية ما تنشأ منه فتنة من الصور العارية، وحركاتها الفاتنة^(٣).

(١) (ص ١١٠١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) انظر: رسالة الجواب المفيد في حكم التصوير، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، وبها ملحق عن حكم التلفاز.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، رقم (٢١٣٣) (٢٦/ ٢٧١ - ٢٧٢).

شبهات والجواب عنها:

قد يقول قائل: ما هو البديل للتلفاز؟

وهذا هو الخطأ الفادح، وهو مطالبة المسلم دائماً بالبدايل في كل شيء منع منه، وحرم عليه، مع أن الواجب على المسلم أن يقول: سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

والبدائل كثيرة، منها: حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو المحاضرات القيمة التي تقام في المساجد أو المؤسسات الخيرية، أو شراء الكتب النافعة، أو الأشرطة المفيدة، أو المسابقات الثقافية، وغير ذلك من البدائل التي لا تخفى على الجميع.

ومن الشبهات كذلك: قول بعضهم: إنه يشاهد في هذا التلفاز الصلاة في الحرم المكي، والبرامج الدينية، والأخبار، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم، وأفضل منه، وقد نصح الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله بالاستماع إليها.

ومنها قول بعضهم: أعلم أن التلفزيون بوضعه الحالي لا يجوز بقاءه في بيتي، ولكن إذا لم أحضره للأولاد ذهبوا يشاهدونه عند الجيران، أو في أماكن أخرى، فيقال:

أولاً: إن المنكر لا يزال بمنكر مثله، بل ينبغي أن تبين لهم أن المشاهدة لتلك البرامج حرام هنا وعند الجيران.

ثانياً: المنكر المترتب على اقتناء التلفزيون في البيت أعظم من المنكر المترتب على ذهابهم للمشاهدة عند الجيران؛ لأن ذهابهم عند الجيران سيقصر على أوقات محدودة، أما وجوده في البيت فسوف يسهل لهم رؤية المنكرات في كل وقت.

أخيراً: تذكر يا عبد الله أن الموت قد يأتيك بغتة، وهذا الجهاز في بيتك، واسمع إلى هذا الحديث الذي تفزع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص: روى البخاري ومسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسلم (ص ٨١) برقم (١٤٢)، والبخاري (ص ١٣٦٤) برقم (٧١٥٠).

الكلمة المائة وثمان وعشرون

ذم الترف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَزَجْنَا لَهَا تَدْمِيرًا ۖ﴾ [الإسراء].

المترف: هو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، والمعنى أن الله تعالى أمر هؤلاء المترفين بطاعته فلم يمتثلوا أمره، بل فسقوا وأفسدوا، فحق عليهم العذاب والدمار، وقد أخبر ﷺ عن حال هؤلاء المترفين، وأنهم أتتهم آيات الله ونذره فأعرضوا عنها واستكبروا عليها، فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ۖ﴾ لا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنَّا لَا تَصُرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْذِرُ عَلَيْكُمْ فَاكْتَرْتُمْ عَلَىٰ عَفْوِيكُمْ نُلَاقِصُونَ ﴿١٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون].

وقد أخبر ﷺ أن الترف من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُبُورٍ وَحِمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظُلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة] أي منعمين مقبلين على الشهوات والملذات، وقد بين سبحانه أن عاقبة الترف وخيمة في الدنيا والآخرة، فقال عن نبيه صالح، وهو يخاطب قومه ثمود، وكانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى

وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة، وتسمى الآن مدائن صالح: ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْئَا ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿٤٩﴾﴾ إلى أن قال ﴿فَلَاخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء]، قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى واعظاً لهم، ومحذرههم نعم الله أن تحل بهم، ومذكراً بنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزرع والشمرات، ولهذا قال: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ قال: إذا رطب واسترخى، وتنتحون من الجبال بيوتاً فارهين، قال ابن عباس وغير واحد: حاذقين، وفي رواية عنه: شريين أشربين، وهو اختيار مجاهد وجماعة، ولا منافاة بينهم، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً ويطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. اهـ^(١).

الشاهد أنهم كانوا يعيشون حياة الترف، فكذبوا رسولهم، فكان عاقبتهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن المترفين في الدنيا ينسون ما كانوا فيه من النعيم في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بأَنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٤٣).

بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(١).

ولقد كان نبينا محمد ﷺ من أبعد الناس عن الترف، روى البخاري ومسلم من حديث عمر رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، وقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟» ثم قال ﷺ: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، وفي رواية: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»^(٢).

ومن مظاهر هذا الترف في وقتنا الحاضر: الإغراق في الكماليات بشكل عجيب، فعلى سبيل المثال بعض الأسر تغير أثاث المنزل بشكل سنوي حتى لو كان بحالة جيدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها قيام بعض الأسر بشراء المأكولات والمشروبات بشكل يومي من المطاعم الغالية الثمن من غير حاجة إلى ذلك.

ومنها أن بعض النساء تقوم بتغيير ملابسها بشكل مستمر في كل مناسبة أو عرس، حتى لو كان هذا الثوب لم يستعمل إلا مرة واحدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها سفر بعض الناس للسياحة سنوياً، ويدفعون في ذلك المبالغ الطائلة حتى لو كانت هذه المبالغ بالدين، وغير ذلك من مظاهر الترف. ومن المفاسد التي تنتج عن الترف:

(١) (ص ١١٢٩) برقم (٢٨٠٧).

(٢) البخاري (٣/٣١٣) برقم (٤٩١٣)، ومسلم (٢/١١٠٥) برقم (١٤٧٩).

أولاً: الأمراض الكثيرة في وقتنا الحاضر، كمرض السمنة، وأمراض القلب، والجلطات، وغيرها.

ثانياً: أنه يؤدي إلى الكسل، والراحة، والتعلق بالدنيا، مما يسهل على الأعداء تسلط على الأمة، وإفساد عقيدتها، ونهب خيراتها، وثرواتها، وأمة الإسلام ينبغي أن تكون أمة مجاهدة قوية تعد نفسها للدعوة إلى الله ونشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ولا يكون هذا إلا بالعمل الجاد، وليس بالترف والراحة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ثالثاً: أنه يؤدي إلى ضياع ثروات الأمة، ومقدراتها، فيما لا فائدة فيه، والأمة بأمس الحاجة إلى استغلال هذه الثروات، في بناء قوتها الاقتصادية، والعسكرية لتأخذ مكانتها بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعاً: أن الترف يؤدي إلى ضعف الأمة، وحاجتها إلى مساعدة الآخرين، وعدم اعتمادها على شبابها ومقدراتها، وهذا يؤدي بدوره إلى تسلط الأعداء عليها، ونهب خيراتها، وإفساد دينها، وغير ذلك من المفاسد.

وهذا كله فيما إذا كان الترف مقتصرًا على التوسع والانبساط في المباح، فأما إذا تجاوز ذلك إلى الشهوات المحرمة فإن الأمر يكون قد وصل إلى مرحلة الخطر، ومنذر بالهلاك والدمار، كما مر في الآيات السابقة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة المائة وثلاثون

أخطاء في الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ، وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال: «أول ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقياماً بواجب النصيحة، فمن ذلك:

أولاً: عدم إقامة الصلب في الركوع أو السجود، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا

(١) (ص ١٣٧) برقم (٦٣١).

(٢) (٢/ ٢٤٠) برقم (١٨٥٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم (١٣٥٨).

الكلمة المائة وتسع وعشرون

أخطاء في الطهارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الطهارة شرط من شروط الصلاة، التي لا تقبل إلا بها، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين تتعلق بالطهارة، أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقياماً بواجب النصيحة.

أولاً: أن بعض الناس، أو كثير منهم يعبدون الله على جهل، فيقعون في أخطاء فاحشة، في الطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات، بل قد يتعدى ذلك إلى الخطأ في أمور في التوحيد والأيمان، وللأسف قد يكون بعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم من المثقفين، غير أن ثقافتهم ثقافة ضحلة لا تتعدى الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية، والواجب على المسلم أن يعرف دينه من كتاب الله

(١) (ص ١١٩) برقم (٢٢٤).

(٢) البخاري (ص ٥٢) برقم (١٣٥)، ومسلم (ص ١١٩) برقم (٢٢٥).

وسنة رسوله ﷺ، ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه من ذلك، قال تعالى: ﴿فَتَشَاوَرُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْيَمِينِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ [النحل].

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١).

وروى البخاري من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٢)، وكان يقول في حجته فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه»^(٣)، وقد يبلغ الأمر ببعض الناس إلى الإعراض عن تعلم الدين، وفي هذا خطر عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٧) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٩﴾ [طه].

ثانياً: من الأخطاء ما يتعلق بالوضوء، فمن ذلك ترك إسباغ الوضوء، ومعنى الإسباغ إعطاء كل موضع من مواضع الوضوء حقه، وعلى المصلي أن ينتبه عند الوضوء إذا كان في يده ساعة أو خاتم أو غير ذلك، فلا بد أن يصل الماء إلى العضو، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ويلٌ للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء»^(٤).

(١) (ص ٣٩) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧/٢) برقم (٣٩١٣).

(٢) (ص ١٣٧) برقم (٦٣١). (٣) (ص ٥١٢) برقم (١٢٩٧).

(٤) (ص ١٢٤) برقم (٢٤١).

تجزئ صلاة لأحد لا يقيم فيها ظهره في الركوع والسجود»^(١).

وقد جعل الرسول ﷺ لص الصلاة وسارقها شراً من لص الأموال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أسوأ الناس الذي يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»، أو قال: «لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»^(٢).

أما الركوع فإن بعض الناس يخفض ظهره أكثر من اللازم، أو يرفعه، وهذا خطأ، فإن النبي ﷺ إذا ركع بسط ظهره وسواه^(٣)، حتى لو صب الماء عليه لاستقر^(٤).

وروى النسائي من حديث أبي حميد قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع اعتدل، فلم ينصب رأسه، ولم يقنعه، ووضع يديه على ركبتيه^(٥).

وأما السجود فإن بعض المصلين إذا سجد لا يمكن جبهته من الأرض، وبعضهم يرفع قدميه عن الأرض، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، الجبهة، وأشار بيده على أنفه، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين»^(٦).

وهذا الحديث يدل على أن أعضاء السجود سبعة، وأنه ينبغي للمصلي أن يسجد عليها كلها.

(١) (١٢٢/٤). (٢) (٣١٠/٥).

(٣) صحيح البخاري (ص ١٦٩) برقم (٨٢٨).

(٤) سنن ابن ماجه (ص ١٠٣) برقم (٨٧٢).

(٥) (ص ١٢٧) برقم (١٠٣٩).

(٦) البخاري (ص ١٦٧) برقم (٨١٢)، ومسلم (ص ٢٠٢) برقم (٤٩٠).

والعقب هو مؤخر القدم، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه، قال: أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع ثم صلى^(١).

ومنها: عدم إكمال غسل اليدين إلى المرفقين، والواجب عليه غسل يديه كلها من أطراف الأصابع إلى المرافق؛ لأن الكفين داخلان في مسمى اليد، وقد نبه على ذلك بعض أهل العلم من المعاصرين.

قال الشيخ ابن عثيمين وهو يتحدث عن صفة الوضوء: وغسل اليدين إلى المرافق من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ويجب أن يلاحظ المتوضئ كفيه عند غسل ذراعيه، فيغسلهما مع الذراعيين، فإن بعض الناس يغفل عن ذلك، ولا يغسل إلا ذراعيه، وهو خطأ^(٢).

ومنها: أن بعضهم عند غسل الوجه لا يغسل صفحة وجهه كاملة، بل تبقى أجزاء من الوجه، جهة الأذنين لم يمسه الماء، والصحيح أن حدود الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحيين والذقن طولاً، وعرضاً إلى أصول الأذنين.

ومنها: أن بعضهم يكتفي بمسح مقدم رأسه، أو يمسخ إلى منتصف الرأس، والصحيح أن عليه أن يمسخ جميع الرأس، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم قال: ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما، وأدبر، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه^(٣).

(١) (ص ١٢٥) برقم (٢٤٣).

(٢) انظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٢/٥٢).

(٣) البخاري (ص ٦٠) برقم (١٨٥)، ومسلم (ص ١٢٣) برقم (٢٣٥).

ومنها: عدم تخليل أصابع اليدين والرجلين، فقد روى أبو داود من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ بذلك أصابع رجله بخنصره^(١).

وروى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأت فخلل بين أصابع يديك ورجليك»^(٢).

ومنها: الإسراف في الماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد^(٣).

وقد نهى النبي ﷺ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات، روى النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ٣٩) برقم (١٤٨).

(٢) (ص ٢٦) برقم (٣٩).

(٣) البخاري (ص ٦٣) برقم (٢٠١)، ومسلم (ص ١٤٨) برقم (٣٢٥).

(٤) (ص ٣٢) برقم (١٤٠).

ومنها: عدم الطمأنينة في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة، لا تصح بدونه، روى البخاري في صحيحه من حديث زيد بن وهب قال: رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود، قال: ما صليت، ولو مُت مُت على غير الفطرة التي فطر الله محمداً ﷺ عليها^(١).

وفي هذا دليل على وجوب الطمأنينة في الركوع والسجود، وأن الإخلال بها مبطل للصلاة؛ لأنه قال له: ما صليت، وهو نظير قوله ﷺ للمسيء صلاته في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تُصل»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل فإنك لم تُصل» ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني! فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها»^(٢).

ومنها: مسابقة الإمام، وقد جاء النهي الصريح من النبي ﷺ عن ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك ؓ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أيها الناس! إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالانصراف، إني أراكم أمامي ومن خلفي» ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم

(١) (ص ١٦٢) برقم (٧٩١).

(٢) البخاري (ص ١٥٧) برقم (٧٥٧)، ومسلم (ص ١٧٠ - ١٧١) برقم (٣٩٧).

كثيراً»، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قال: سمع الله لمن حمده لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع النبي ﷺ ساجداً، ثم تقع سجوداً بعده^(٣).

ومنها: أن بعضهم إذا سلم الإمام التسليمة الأولى، وعليه قضاء بعض الركعات لا ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية، وإنما يقوم مباشرة ليكمل ما تبقى من الركعات، وهذا خطأ. والأولى أن ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية^(٤).

ومنها: الصلاة بثياب مسبلة، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٥).

(١) (ص ١٨٣) برقم (٤٢٦).

(٢) مسلم (ص ١٨٣) برقم (٤٢٧)، والبخاري (ص ١٤٧) برقم (٦٩١).

(٣) (ص ١٤٧) برقم (٦٩٠).

(٤) خروجاً من خلاف من يرى ركنيتها، وعليه يحكم ببطان صلاته.

(٥) (ص ٦٨) برقم (١٠٦).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار»^(١).

وبعض أهل العلم يُشدد في الأمر إذا كان الإسبال في الصلاة؛ لأن من شروط الصلاة ستر العورة، والذي يصلي في الثياب المسبلة قد ستر عورته بثياب محرمة، ولذلك فإن صلاته في خطر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ١١٣٢) برقم (٥٧٨٧).

الكلمة المائة وإحدى وثلاثون

خطر النفاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم الذنوب عند الله تعالى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَدَ لَهُمْ فَصِيْرًا ۖ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والنفاق ينقسم إلى قسمين: اعتقادي وعملي، فأما الاعتقادي فهو على ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر، كافر الباطن. أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة، كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوْراً، وأما كفره باطناً فما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وهذا الصنف من الناس هم أشد أعداء الله ورسوله، ولهذا كان جزاؤهم أعظم من جزاء الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِي بَدَلًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة].

وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ووصفهم بأنهم كذابون يصدون عن سبيل الله، وأنهم يستكبرون، كما وصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، ولا يعقلون. ومن أبرز سماتهم - قاتلهم الله - موالاتهم للكفار، وعقدهم اللقاءات معهم في العلن تارة، وفي السر تارات، قال تعالى: ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشُوهُ أَنْ نَصِيبًا دَائِرَةً فَعَسَىٰ أَنَّ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [١٥] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [١٦] فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَتَرَفْتُمْ﴾ [١٧] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [١٨] [محمد].

قال الشنقيطي رحمه الله في تعليقه على الآية الكريمة: ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ...﴾: هم المنافقون، يعتذرون عن موالاتهم الكفار من اليهود بأنهم يخشون أن تدور عليهم الدوائر، أي دول الدهر الدائرة من قوم إلى قوم، كما قال الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
يعنون إما بقحط فلا يمironنا، ولا يتفضلون علينا، وإما بظفر
الكفار بالمسلمين، فلا يدوم الأمر للنبي ﷺ وأصحابه، زعماً منهم
أنهم عند قلب الدهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين
على صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمل الصديق من صديقه، وأن
المسلمين يتعجبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم إنهم لمع
المسلمين، وبين في هذه الآية أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها
على صداقة اليهود، أنها لا تدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور
على المسلمين، بقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا
عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِيعًا﴾ [المائدة: ٥٢].

وعسى من الله نافذة؛ لأنه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلا فيما
يعطي، والفتح المذكور قيل هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل
الفتح الحكم، كقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وعليه فهو حكم الله، بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم،
وإجلاء بني النضير، وقيل: هو فتح مكة، وهو راجع إلى الأول^(١).

وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ
مَا نَبَيَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد] قال
بعض العلماء: إنها نزلت في المنافقين، وقال بعضهم: إنها نزلت في
اليهود، وإن المنافقين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله:
سنطيعكم في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ، والتشيط عن الجهاد،
ونحو ذلك.

(١) انظر: أضواء البيان (١/٣١٤).

والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله^(١).

القسم الثاني: النفاق العملي، وهو خمسة أنواع:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»، وقال مسلم في صحيحه «إذا وعد أخلف» مكان «إذا أؤتمن خان»^(٢).

وقد ذكر ابن رجب أن من النفاق العملي أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك^(٣).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم لسعة علمهم، وعميق إيمانهم، يخشون على أنفسهم من النفاق، قال البخاري رحمته الله في صحيحه، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قال إبراهيم التيمي: «ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مُكذَّباً». وقال ابن أبي مليكة: «أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل»، ويذكر عن الحسن رحمته الله أنه قال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق، وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]^(٤).

(١) انظر: أضواء البيان (٥/١٤٨).

(٢) البخاري (ص ٣٠) برقم (٣٤)، ومسلم (ص ٥٥ - ٥٦) برقم (٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١). (٤) صحيح البخاري (ص ٣٣).

وروي عن الحسن أنه كان يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو: ما مضى مؤمن قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. اهـ^(١).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة: أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله ﷺ من المنافقين؟ قال: لا ولا أزكي أحداً بعدك^(٢).

فعمرو رضي الله عنه لم يقل ذلك رياءً، ولكن العبد كلما ازداد علماً زاد خوفه من ربه، والصحابة لعظم خوفهم من ربهم، وسعة علمهم لم يكونوا يحتقرون الذنوب، بل كانوا يستعظمونها، ويخافون عواقبها، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات»^(٣).

قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات.

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال أناس لابن عمر: «إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعدها نفاقاً»^(٤).

وإن من صور النفاق ما يطالب به بعض الناس الذين هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بالسنتنا، ويدعون أنهم يريدون إصلاح المجتمع،

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩١)، وانظر: رسالة الشيخ عبد الرحيم المالكي (النصيحة والتحذير من الوقوع في الخطر الكبير) (ص ١٢ - ١٦).

(٣) (ص ١٢٤٥) برقم (٦٤٩٢). (٤) (ص ١٣٧٠) برقم (٧١٧٨).

ونفع الأمة، ويرددونه بين الفينة والأخرى من هتك للحجاب، والدعوة للتبرج والسفور واختلاط الشباب بالفتيات في الأعمال، ومقاعد الدراسة، وأن في قوامة الرجل على المرأة كبتاً لحريتها، فيطالبون بالمساواة، زعماء منهم أن فيها إنصافاً وعدلاً بينها وبين الرجل، وإلى نشر الموسيقى في المدارس والمراحل التعليمية الأخرى، وإلى تقليص المواد الدينية، وتخفيضها، وإلى قيادة المرأة للسيارة.

ومن صوره كذلك مطالبتهم للناس بالاعتماد على البنوك الربوية في بيعهم وشرائهم، وقروضهم، وسائر شؤونهم، وأن ما تأخذه البنوك من فوائد إنما هو لمصلحة المجتمع، ويدعم اقتصاده، وينشرون هذا عبر الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة].

إلى غير ذلك من المطالب والأساليب الماكرة التي يخططون لها ليلاً ونهاراً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة واثنان وثلاثون

الظلم وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الذنوب العظيمة التي حرمها الله على عباده، ورتب عليها العقوبة في الدنيا والآخرة الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم]. وقال ﷺ: ﴿فَتِلْكَ يُؤْتِيهِمْ خَاوِبَةً يَمَّا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١).

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظلم العبد نفسه بالكفر والشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

(١) (ص ١٠٣٩) برقم (٢٥٧٧).

يُظْلَمُ ﴿ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان: ١٣] ^(١).

فهذا النوع من الظلم لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه، بل هو ملعون مطرود من رحمة الله في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

القسم الثاني: ظلم بين العبد وبين الناس، وله صور كثيرة منها: أكل أموال الناس بالباطل ظلماً وعدواناً، مثل أكل مال اليتيم، أو عدم إعطاء العمال رواتبهم، أو بخسها، أو السرقة، أو الغش، أو الربا، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» ^(٢).

ومنها الاعتداء على أراضي المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» ^(٣).

ومعنى طوقه: أي يجعل طوقاً في عنقه، يحمله، لا من أرض واحدة، بل من السبع الأرضين، نسأل الله العافية.

ومنها ظلم الناس بالقتل والضرب والشتيم، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار

(١) مسلم (ص ٧٥) برقم (١٢٤)، والبخاري (ص ٣٠) برقم (٣٢).

(٢) صحيح مسلم (ص ١٠٤٠) برقم (٢٥٧٨)، وصحيح البخاري (ص ٤٦١) برقم (٢٤٤٧)، من حديث ابن عمر.

(٣) البخاري (ص ٤٦٢) برقم (٢٤٥٣)، ومسلم (ص ٦٥٧) برقم (١٦١٢).

لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس»^(١).
وما يفعله اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة، بإخواننا المسلمين في فلسطين من قتل وتشريد وانتهاك للحرمات لهو من أعظم الظلم وأشنع، ولا غرابة في ذلك، فهم قتلة الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمْ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران].
ومنها: اتهام الآخرين ورميهم بما ليس فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بِيَدِهِ يَرَبِّهَا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء].

ومنها: مطل الغني، أي منع قضاء ما استحق أدائه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مطل الغني ظلم»^(٢).
فمن كان مديوناً لرجل، واستطاع السداد فلا يجوز المماطلة؛ لأن هذا من الظلم.

ومنها: ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، أو الاستيلاء على مالها، وغير ذلك من الأحوال، فمن وقع في شيء من الظلم فليسارع بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولا يغتر بإمهال الله له، فإنه يمهل ولا يهمل.
روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود]^(٣).

(١) (ص ٨٨١) برقم (٢١٢٨).

(٢) البخاري (ص ٤٢٧) برقم (٢٢٨٧)، ومسلم (ص ٦٣٩) برقم (١٥٦٤).

(٣) مسلم (ص ١٠٤٠) برقم (٢٥٨٣)، والبخاري (ص ٨٩٧) برقم (٤٦٨٦).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تبارك وتعالى العقوبة لصاحبه في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»^(١).

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ويروى أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»^(٢).

ودعوة المظلوم مستجابة كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب ﷻ: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»^(٣).

القسم الثالث: ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [القصص].

وهذا النوع من الظلم - وهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب التي دون الشرك - فإن صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وستره.

(١) (٣٨/٥). (٢) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).

(٣) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا.. أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

ويجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين، وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة، حيث لا درهم ولا دينار، وإنما هي الحسنات والسيئات.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري ص ٤٦٠ برقم (٢٤٤١)، ومسلم (ص ١١٠٨) برقم (٢٧٦٨).

(٢) (ص ٤٦٢) برقم (٢٤٤٩).

الكلمة المائة وثلاث وثلاثون

تحريم الإسبال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ قَدْ أَزَلْنَا عَنْكَ لِئَاسًا يُوْزَىٰ سَوَاءَ نِكَمٍ وَرِشًا وَلِبَاسٍ الْتَقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنِّي أَلَيْسَ اللَّهُ لَعَلَّهٖمُ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف].

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده لستر العورات، ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد جاءت الشريعة بأحكامه مفصلة، مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس، والمحرم والمكروه والمباح مقداراً وكيفية.

ومما وردت به تحريم ما نزل عن الكعبين من كل ما يلبس من إزار أو ثوب أو بشت أو سروال أو بنطال إلى غير ذلك، مما يلبسه الرجال، فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الإسبال في الإزار والقميص، والعمامة، من جر منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(١)، وأحاديث النهي عن الإسبال بلغت مبلغ التواتر المعنوي في الصحاح والسنن والمسانيد، وغيرها، برواية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم، وجميعها تفيد النهي

(١) (ص ٤٤٧) برقم (٤٠٩٤).

الصريح، نهي التحريم، لما فيها من الوعيد الشديد، ومعلوم أن كل متوعد عليه بعقاب من النار، أو غضب، أو نحوها، فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يقبل النسخ، ولا يرفع حكمه، بل هو من الأحكام الشرعية المؤبدة في التحريم.

والإسبال فيه عدة محاذير:

أولاً: مخالفة السنة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أزرة المؤمن إلى عضلة ساقه»^(١)، ثم إلى نصف ساقه، ثم إلى كعبه، فما كان أسفل من ذلك في النار»^(٢) ووفي رواية أخرى: «فإن أبيت فأسفل، فإن أبيت فلا حق للإزار في الكعبين»^(٣)، والكعبان هما العظمان الناتان في جانبي مفصل الساق من القدم.

ثانياً: الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»^(٤).

ثالثاً: أنه من الخيلاء التي تورث في النفس العجب، والترفع، والكبر، ونسيان نعمة الله على عبده، وكل هذا من موجبات مقت الله للمسبل، ومقت الناس له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

رابعاً: التشبه بالنساء، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن

(١) وعضلة الساقين هي حد أعلى من أنصاف الساقين بقليل.

(٢) (٢٧٨/٢).

(٣) سنن الترمذي (ص ٣٠٤) برقم (١٧٨٣).

(٤) (ص ١١٣٢) برقم (٥٧٨٧).

عباس عليه السلام قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»^(١).

خامساً: تعريض الملبوس للنجاسة والقذر، والمؤمن مأمور باجتنباب النجاسات، والبعد عنها، قال تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ أَوْ بِهْوَاشٍ أَوْ غَسَقِيعٍ أَوْ فَرَاشٍ فَلَا تَمْنَعُوا غِيَابَتِكُمْ﴾ [المدثر]. ولهذا أمر عمر رضي الله عنه الرجل الذي زاره وهو على فراش الموت برفع إزاره، وقال له: هو أنقى لثوبك، وأتقى لربك^(٢).

سادساً: تعريض عبادته لعدم القبول، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء، فليس من الله في حل ولا حرام»^{(٣)(٤)}.

(١) (ص ١١٤٧) برقم (٥٨٨٥).

(٢) صحيح البخاري (ص ٧٠٧) برقم (٣٧٠٠).

(٣) قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: أي في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة، وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال، ولا له احترام عند الله تعالى. عون المعبود (٢/٢٤٠).

(٤) ص (٩١) برقم (٦٣٧). قال أبو داود: روى هذا جماعة عن عاصم موقوفاً على ابن مسعود، منهم: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو الأحوص، وأبو معاوية، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦) برقم (٥٩٥). وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره إذ قال له رسول الله ﷺ: (اذهب فتوضاً، فذهب فتوضاً، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضاً، فذهب فتوضاً، ثم جاء، فقال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضاً، ثم سكت عنه؟ فقال: إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره)، قال المنذري في مختصره: في إسناده أبو جعفر، وهو رجل من أهل المدينة، قال النووي في رياض الصالحين بعد إيراده لهذا =

سابعاً: أن الإسبال من الكبائر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»، قال: فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(١)، قال الشيخ بكر أبو زيد: «فلهذه الوجوه السابقة»^(٢)، ورد النهي مطلقاً عن الإسبال في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين إن كان لخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرم مذموم»، وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «إياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة»^(٣).

والله لا يحب المخيلة، وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس ذلك، إضافة إلى أن النبي ﷺ أنكر على المسبل إسباله دون النظر في قصده الخيلاء أم لا، فقد أنكر على ابن عمر، وجابر بن سليم، وعلى عمرو الأنصاري، فرفعوا أزهرهم إلى أنصاف سوقهم، وهذا يدل بوضوح على أن الوصف بالخيلاء، وتقييد النهي به في بعض الأحاديث إنما خرج مخرج الغالب، والقيد إذا خرج مخرج الأغلب، فإنه لا مفهوم له عند عامة الأصوليين كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْكُمْ أَنتَ فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ويستثنى من هذا الأصل ثلاث حالات:

= الحديث: رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم، (ص ٩١) برقم (٦٣٨).

(١) (ص ٦٩) برقم (١٠٦).

(٢) ما تقدم مأخوذ من رسالة (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) للشيخ بكر أبو زيد (بتصرف).

(٣) (٦٤/٥).

الحالة الأولى: من لم يقصد الإسبال لعارض من نسيان أو استرخاء مع تعاهد له برفعه، كما جاء في حديث أبي بكر المشهور.

الحالة الثانية: من أسبل لمرض في قدميه، وللضرورة أحكامها.

الحالة الثالثة: النساء فقد رخص النبي ﷺ لهن بإرخاء ذيول ثيابهن لستر القدمين، وهما من عورة النساء^(١).

ومما سبق يتبين أن الإسبال في حق الرجال منهي عنه مطلقاً، وأنه في ذاته خيلاء، وإن المسبل مرتكب لمحرّم وكبيرة من كبائر الذنوب، معرض نفسه لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن النسائي (ص ٥٤١) برقم (٥٣٣٦).

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر أبو زيد (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) (ص ٢٢ - ٢٤) (بتصرف).

الكلمة المائة وأربع وثلاثون

فوائد من حديث خبيب بن عدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة، وهو بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم قريباً من مائتي رجل، كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلمهم تمرأ تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم، فلما رأهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدغد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري، وابن دثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة، يريد القتلى، وجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى، فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن

عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها، فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حتى أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إنه لرزق من الله رزقه خبيباً، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها، اللهم أحصهم عدداً:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يُعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً^(١).

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة، ذكر كثيراً منها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري^(٢).

أولاً: جاء في الحديث أن عاصم بن ثابت قد قتل عظيماً من

(١) (ص ٥٨٢ - ٥٨٣) برقم (٣٠٤٥). (٢) (٧/ ٣٨٤).

عظمائهم يوم بدر، قال ابن حجر: لعله عقبة بن أبي معيط، وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً»، وفي رواية أنه قال: «إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي»، فأرسل الله هذه الزنابير أو النحل فحمته من المشركين. قال عمر رضي الله عنه لما بلغه خبره: «يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته».

ثانياً: أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالعزيمة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

ثالثاً: الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله.

رابعاً: الدعاء على المشركين بالعموم، والصلاة عند القتل، وفي الحديث أن خبيب بن عدي أول من سن صلاة الركعتين عند القتل.

خامساً: فيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل، ودلالة على قوة يقين خبيب وشدة في دينه.

سادساً: أن الله تعالى يبتلي عبده المسلم بما شاء، كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠٢﴾ [العنكبوت].

سابعاً: فيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حياً وميتاً، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه.

ثامناً: فيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

تاسعاً: فيه أن الغدر والخيانة من صفات الكفار، فقد قتلوا عبد الله بن طارق، وباعوا زيداً وخبيباً على قريش، من أجل دراهم معدودة.

عاشراً: كرامة الله لأوليائه في الدنيا والآخرة، فإن خبيباً قد رزقه الله العنب وما بمكة من ثمرة، وهو موثق بالحديد عند عدوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وغير ذلك من الفوائد والعبر عند التأمل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وخمس وثلاثون

تحريم التصوير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المنكرات التي انتشرت بين الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين التصوير، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح، آدمياً كان أو غيره، وهتك الستور التي فيها الصور، والأمر بطمس الصور، ولعن المصورين، وبيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي زرعة قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة، فرأى أعلاها مصوراً يصور، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة»^(١).

وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»^(٣).

(١) البخاري (ص ١١٥٥) برقم (٥٩٥٣)، ومسلم (ص ٨٧٦) برقم (٢١١١).

(٢) البخاري (ص ١١٥٥) برقم (٥٩٥٠)، ومسلم (ص ٨٧٥) برقم (٢١٠٩).

(٣) البخاري (ص ١١٥٥) برقم (٥٩٥١)، ومسلم (ص ٨٧٥) برقم (٢١٠٨).

وفي الصحيحين من حديث القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: «أنها أخبرته أنها اشترت ثمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية، فقالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه الثمرقة؟ فقالت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم أحيوا ما خلقتم، وقال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج الأسدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وهذه الأحاديث وما في معناها دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهي لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل ولا غيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره، بل لعن المصور وأخبر أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك، ولم يستثن شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا نَنْكُمُ عَنْهُ فَاتَّهَوْا﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) البخاري (ص ١١٥٦) برقم (٥٩٦١)، ومسلم (ص ٨٧٥) برقم (٢١٠٧).

(٢) (ص ٣٧٤) برقم (٩٦٩).

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: ٦٣﴾^(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ولا يجوز للمسلم أن يقتني الصور في بيته، ولا يحتفظ بها، إلا الصور الضرورية التي يحتاجها، كصورة حفيظة النفوس، وجواز السفر، وإثبات الشخصية، فهذه أصبحت ضرورية، وهي لا تتخذ من باب محبة التصوير، وإنما تتخذ للضرورة والحاجة، أما ما عدا ذلك من الصور فلا يجوز الاحتفاظ بها للذكريات، ولا الاطلاع عليها، وما أشبه ذلك، ويجب على الإنسان أن يتلف الصور، وأن يخلي بيته منها مهما أمكنه ذلك، وإذا كان في منزل صور معلقة على الحيطان، أو منصوبة، سواء كانت تماثيل أو كانت رسوماً على أوراق من صور ذوات الأرواح، كالبهائم والطيور والآدميين، وكل ما فيه روح، فإنه يجب إزالته، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى ستراً وضعته عائشة على الجدار فيه تصاوير. اهـ^(٢).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني وهو يرد على من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير باليد: وقريب من هذا تفريق بعضهم بين الرسم باليد، وبين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان! وليس من عمله فيه إلا إمساك الظل فقط، كذا زعموا، أما ذلك الجهد الجبار الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى استطاع أن يصور في لحظة ما لا يستطيعه بدونها في ساعات فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء! وكذلك توجيه المصور للآلة وتسديدها نحو الهدف المراد تصويره، وقبيل ذلك تركيب ما يسمونه بالفللم، ثم بعد ذلك تحميضه، وغير ذلك

(١) رسالة للشيخ بعنوان (الجواب المفيد في حكم التصوير) (ص ١٣).

(٢) فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/ ١٩٣).

مما لا أعرفه، فهذا أيضاً ليس من عمل الإنسان عند أولئك أيضاً! ^(١)
ومن مفسد الصور:

أولاً: فيها مضاهاة لخلق الله، وادعاء المشاركة لله في خلقه،
الذي اختص به، فإنه هو الخالق الباري المصور، له الأسماء الحسنى
والصفات العلى.

ثانياً: أن التصوير وسيلة من وسائل الشرك، فأول ما حدث
الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، لما صور قوم نوح رجالاً
صالحين ماتوا في عام واحد، فتأسفوا عليهم، فجاء الشيطان وألقى
إليهم أن يصوروا تصاويرهم، وينصبوها على مجالسهم حتى يتذكروا بها
العبادة، ففعلوا ذلك، ولما مات هذا الجيل جاء الشيطان إلى من
بعدهم وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليستقوا بها المطر،
وليعبدوها، فعبدوها من دون الله ﷻ، ومن ثم حدث الشرك في
الأرض بسبب التصوير.

ثالثاً: أنه سبب في فساد الأخلاق، وذلك إذا صورت الفتيات في
المجلات والصحف، والقنوات الفضائية، أو صورت للذكريات، أو ما
أشبه ذلك، فإن هذا يجر إلى الافتتان بتلك الصور، وبالتالي يوقع في
القلب المرض والشهوة، ولهذا اتخذ المفسدون التصوير مطية ووسيلة
لإفساد الأخلاق بتصوير النساء في الأفلام والمجلات، والأدوات
المنزلية، والدعايات، وغيرها ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) آداب الزفاف (ص ١٩٢).

(٢) انظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان (١٩٢/٢ - ١٩٣).

الكلمة المائة وست وثلاثون

الموت وعظاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن المنهمك في الدنيا المكب على شهواتها وملذاتها يغفل قلبه عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِينَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

وأما العارف بربه، فإنه يذكر الموت دائماً، أخذاً بوصية رسول الله ﷺ عندما قال: «أكثرُوا ذكرَ هَادمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت»^(١).

وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر أنه قال: جاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً»، قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس»^(٢).

(١) سنن الترمذي (ص ٣٨١) برقم (٢٣٠٧).

(٢) (ص ٤٥٩) برقم (٤٢٥٩).

ولكنّا إذا متنا بُعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



قال الحسن البصري رحمته الله: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحاً، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها».

قال الشاعر:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم
وقال عمر بن عبد العزيز: إذا غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة
فسد، وقال بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل
التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة
أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والكسل في العبادة.

والموت له سكرات وكربات، وهي تعتري كل مخلوق، وقد
يهونها الله على بعض عباده، كالشهداء؛ لأن الشهيد كفى ببارقة
السيوف على رأسه فتنة، كما في الحديث الصحيح^(١).

وقد تشدد هذه السكرات على بعض العباد تخفيفاً من الذنوب،
ورحمة وزيادة في الدرجات، كالأنبياء عليهم السلام، وفي مقدمتهم خاتمهم
محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فإنه قد لقي من الموت
شدة، وهو أحب الخلق إلى الله.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان
بين يديه ركوة، أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح
بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»، ثم نصب
يده، فجعل يقول: «اللهم في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده^(٢).

وحينما ثقل النبي صلوات الله عليه جعل يتغشاه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب

(١) سنن النسائي (ص ٢٣٠) برقم (٢٠٥٣).

(٢) (ص ٨٤١) برقم (٤٤٤٩).

أباه، فقال لها: «ليس على أهلك كرب بعد اليوم»^(١).

حتى إنه من شدة كربته قال: «هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس»^(٢).

وكان كلما اغتسل عليه الصلاة والسلام، وهم بالصلاة مع الناس يغمى عليه - ثلاث مرات -^(٣).

وتقول عائشة: مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقتي^(٤) وذائتي^(٥) فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ^(٦).

وتشدد هذه السكرات على الكفار، وكذلك على عصاة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «وإن العبد الكافر - وفي رواية الفاجر - إذا كان في

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٢).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري (ص ٨٤١) برقم (٤٤٤٦).

(٣) صحيح مسلم (ص ١٧٨) برقم (٤١٨).

(٤) قال ابن الأثير: الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الخلف، النهاية في غريب الحديث (١/٦٤).

(٥) قال ابن الأثير: الذائنة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر، النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٢).

(٦) صحيح البخاري (ص ٨٤٠) برقم (٤٤٤٦).

الكلمة المائة وسبع وثلاثون

مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرأً وأحداً والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولم يفارق النبي ﷺ لا في حضر ولا سفر، ولد بعد حادثة الفيل بسنتين وستة أشهر، صلى بالناس إماماً في مرض النبي ﷺ الذي مات فيه، وهو من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وقد تزوج النبي ﷺ ابنته، وهو أول من أسلم من الرجال، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو رفيق النبي ﷺ في الغار، وقد نال شرف صحبته في ذلك، وقد أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَنُكْرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَائِفَ أُنْثَى إِذْ هُمْ فِي الْفَكْرِ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال عمر بن الخطاب: «لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه». إنه صديق هذه الأمة أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو القرشي، وقد أجمعت الأمة على تسميته

انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة - غلاظ شداد - سود الوجوه، معهم المسوح^(١) من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود - الكثير الشعب - من الصوف المبلول - فتقطع معها العروق والعصب^(٢).. الحديث.

ولا يجوز للمؤمن أن يتمنى الموت مهما اشتد به البلاء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم الفضل، أن النبي ﷺ دخل على العباس وهو يشتكي، فتمنى الموت، فقال: «يا عباس، يا عم رسول الله، لا تتمن الموت، إن كنت محسناً تزداد إحساناً إلى حسناتك خير لك، وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعيب خير لك، فلا تتمن الموت»، قال يونس: وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعيب من إساءتك خير لك^(٣).

وروى الشيخان من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»^(٤).

وحق على كل إنسان أن يستعد للموت قبل نزوله، وذلك

(١) المسوح: وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للبدن.

(٢) (٢٨٧/٤ - ٢٨٨)، وصححه الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، وجميع زيادات الحديث (ص ١٩٨ - ٢٠٢).

(٣) (٣٣٩/٦).

(٤) البخاري (ص ١٢٢١) برقم (٦٣٥١)، ومسلم (ص ١٠٧٦) برقم (٢٦٨٠).

بالمبادرة بالعمل الصالح قبل حلول الأجل .

لقد حثنا ربنا ﷺ أعظم الحث، ودعا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه، وقد حيل بينه وبينه، قال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾﴾ [المنافقون].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: أخذ النبي ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(١).

وفي رواية للترمذي: «وعد نفسك من أهل القبور، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدًا»^(٢).

قال الشاعر:

يا من بدنياء اشتغل
الموت يأتي بغتة
وغرة طول الأمل
والقبر صندوق العمل

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت غاية كل حي

(١) (ص ١٢٣٢) برقم (٦٤١٦). (٢) (ص ٣٨٤) برقم (٢٣٣٣).

بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، وقد وصفته ابنته عائشة فقالت: «كان أبي أبيض نحيفاً خفيف العارضين، منحني الظهر قليلاً، غائر العينين.

وقد وردت أحاديث تدل على فضله ومكانته، وأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم من حديث عائشة في مرضه الذي مات فيه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فأني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(١).

قال العلماء: وفي هذا الحديث دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بإمامة المسلمين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن أمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقيين في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعتني مال أحد قط ما نفعتني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»^(٣).

(١) (ص ٩٧٢) برقم (٢٣٨٧).

(٢) البخاري (ص ٧٤١) برقم (٣٩٠٤)، ومسلم (ص ٩٧١) برقم (٢٣٨٢).

(٣) (ص ٥٧٤) برقم (٣٦٦١).

وقد أنفق ﷺ بعد إسلامه أربعون ألفاً على الصدقات، وإعناق العبيد من المسلمين.

روى الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الدرجات العلى ليраهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «هذان سيذا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»^(٣).

وقد تولى الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وكانت خلافته سنتان وسبعة أشهر، وعندما ارتدت العرب وأشرأب النفاق، وانحازت الأنصار، قالت عائشة رضي الله عنها: «فلو نزل بالجمال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها»، وقال كلمته المشهورة: «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»^(٤).

(١) (ص ٥٧٥) برقم (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) (ص ٥٧٣) برقم (٣٦٥٨). (٣) (ص ٥٧٤) برقم (٣٦٦٤).

(٤) (ص ٤٣) برقم (٢٠).

يقول العلماء: حفظ الله الدين، برجلين: أبو بكر في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة الجهمية.

وجمع القرآن في عهده، يقول علي بن أبي طالب: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر.

تقول عائشة رضي الله عنها: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، ودخل عليه الصحابة في مرضه، فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال: قد نظر إلي، فقالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد، تقول عائشة رضي الله عنها: لما ثقل أبي تمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال: ليس ذلك يا بنية، ولكن قلبي: ﴿وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق]، ثم قال: انظروا ثوبي
هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من
الميت، وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، فلما توفي جعل
رأسه عند كتف رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ.

رضي الله عن أبي بكر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير
الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وثمان وثلاثون

مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، تقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، قال فيه النبي ﷺ في الحديث المخرج في مسند الإمام أحمد: «إن الله جعل الحق على لسانه وقلبه»^(١).

وقال عنه ﷺ كما في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»^(٢).

كان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، تزوج النبي ﷺ من ابنته، وهو أحد

(١) (٥٣/٢) من حديث ابن عمر.

(٢) البخاري (ص ٦٣٠) برقم (٣٢٩٤)، ومسلم (ص ٩٧٦) برقم (٢٣٩٦).

العشرة المبشرين بالجنة، وفي عهده سقطت دولتي فارس والروم، قال عنه عبد الله بن مسعود: «ما عبد الله جهرة حتى أسلم هذا الرجل».

إنه فاروق هذه الأمة، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، كان إسلامه ﷺ قد تحقق ببشارة النبي ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»، قال: وكان أحبهما إليه عمر^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود ﷺ أنه قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»^(٢).

قال ابن عباس: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً جداً، ومن طوله إنه إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، ومع طوله فإنه كان ضخماً عريض المنكبين، مقتول الساعدين، ابيض مشرباً بالحمرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته، فمن ذلك ما رواه الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»^(٣)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «بيننا أنا نائم، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبراً»، قال أبو هريرة: فبكى عمر بن الخطاب، ثم قال: أعليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله أغار؟^(٤)

(١) (ص ٥٧٦) برقم (٣٦٨١). (٢) (ص ٧٠٣) برقم (٣٦٨٤).

(٣) (ص ٥٧٧) برقم (٣٦٨٦).

(٤) البخاري (ص ١٣٤٢) برقم (٧٠٢٣)، ومسلم (ص ٩٧٥) برقم (٢٣٩٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بيننا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين»^(١).

وقد كان ﷺ رجلاً ملهماً، نزل القرآن الكريم في موافقته في عدد من آرائه، ففي الصحيحين من حديث عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، فنزلت هذه الآية^(٢).

وكذلك وافقه في أسارى بدر، وفي ترك الصلاة على المنافقين، وفي غيرها من المواضع، وكان ﷺ من أعلم الصحابة وأفقههم، قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح بهم علم عمر، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم.

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان تقياً ورعاً زاهداً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كثرت الفتوحات في عهده، وسقطت دولتي فارس والروم، وكانت هذه

(١) البخاري (ص ٧٠٤ - ٧٠٥) برقم (٣٦٩١)، ومسلم (ص ٩٧٤) برقم (٢٣٩٠).

(٢) البخاري (ص ١٠٠) برقم (٤٠٢)، ومسلم (ص ٩٧٦) برقم (٢٣٩٩).

من أعظم الإنجازات في عهده، وأصيب الناس في إحدى سنوات عهده بمجاعة شديدة، أجذبت الأرض، واسودت، وانقطع المطر، وسمي ذلك العام عام الرمادة، فكان يأكل الخبز والزيت، ويقول: لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين، وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأنصاري أنه قال: «شهدت عمر قبل موته بأيام وهو يقول: لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، فما أتت عليه رابعة إلا وأصيب»^(١). وقد أكرمه الله بالشهادة، فكان قتله على يد الغادر الشقي أبي لؤلؤة المجوسي في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو يؤم الناس لصلاة الفجر، طعنه بسكين ذات شقين.

روى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين حفصة أنه كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك»^(٢). فاستجاب الله لدعوته الصالحة.

رضي الله عن عمر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ٧٠٧) برقم (٣٧٠٠).

(٢) (ص ٣٥٩) برقم (١٨٩٠).

الكلمة المائة وتسع وثلاثون

النهي عن البدع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْمَصَّ ۖ كَتَبْتُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»^(١).

والبدعة هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل، قال النبي ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»^(٢).

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٣).

قال ابن رجب في شرح هذا الحديث: «وهو أصل عظيم من

(١) البخاري (ص ٥١٤) برقم (٢٦٩٧)، ومسلم (ص ٧١٤) برقم (١٧١٨).

(٢) سنن النسائي (ص ١٨٦) برقم (١٥٧٨).

(٣) صحيح مسلم (ص ٧١٤) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث «إنما الأعمال بالنيات»^(١) ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء^(٢).

وقال ابن حجر: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»^(٣).

وقال النووي: «وهذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك»^(٤).

وقال الطرقي: «هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع»^(٥).

وقال ابن القيم: «القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن»^(٦).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم الجمعة: «فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(٧).

(١) صحيح البخاري (ص ٢١) برقم (١)، وصحيح مسلم (ص ٧٩٢) برقم (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦).

(٣)(٤)(٥) فتح الباري (٥/٣٠٢ - ٣٠٣).

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢١٣).

(٧) (ص ٣٣٥) برقم (٨٦٧).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع، والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع، والمنفرة منها^(١). اهـ.

ومر ابن مسعود رضي الله عنه على أناس في المسجد ينتظرون الصلاة وهم حلق، وفي كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، ورجل يقول لهم: سبحوا مائة، فيسبحون، كبروا مائة فيكبرون، هلّلوا مائة فيهلّلون، فقال لهم عدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيئاً، ويحكم يا أمة محمد ﷺ ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتحو باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير! قال: وكم من مريد للخير لم يصبه^(٢).

وقال أهل العلم: إن كل عمل يتقرب به المسلم إلى ربه ﷻ لا بد له من شرطين:

(١) رسالة للشيخ بعنوان: التحذير من البدع (ص ١١).

(٢) معجم الطبراني الكبير (٩/ ١٢٧) رقم (٨٦٣٦)، وروي بألفاظ كثيرة.

الأول: الإخلاص لله ﷻ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ، وهذه المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

١ - السبب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي مردودة على صاحبها، مثالها: رجل يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ فالتهجّد عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً، وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة، ومن الأمثلة كذلك: بدعة المولد، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما أحدثته الدولة العبيدية الرافضية، لما حكمت مصر في القرن العاشر.

٢ - الجنس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة، ومثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام - الإبل، والبقر، والغنم -.

٣ - القدر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب

(١) البخاري (ص ٢١) برقم (١)، ومسلم (ص ٧٩٢) برقم (١٩٠٧).

أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

٤ - الكيفية: فلو أن رجلاً توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوءك باطل، لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

٥ - الزمان: فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وبعض الناس في شهر رمضان يتقرب إلى الله بذبح الأغنام، وهذا عمل بدعة لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي، والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر كالذبح في عيد الأضحية فبدعة، وأما الذبح لأجل الأكل جائز.

٦ - المكان: فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد، فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان^(١).

ومن الأمثلة: لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق، ووجد ما حوله قد ضاق، فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه، لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: رسالة (الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع)، للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (ص ٢٠ - ٢٣).

الكلمة المائة وأربعون

قدرة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يتأمل في آيات الله الدالة على كمال قدرته، ليعظمه حق تعظيمه، ويقدره حق قدره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله - أي ابن مسعود - قال: «جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجره تصديقا لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١)».

(١) البخاري (ص ٩٤١) برقم (٤٨١١)، ومسلم (ص ١١٢١) برقم (٢٧٨٦).

ومن الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته خلق السماوات، والأرض، والجبال، والدواب في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في لمحة بصر، ولكن كان ذلك لحكمة إلهية منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّا مِنْ لُغُوبٍ ۚ﴾ [ق].

ومنها: أن الله تعالى خلق آدم من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يستقر في قرار مكين، في مكان لا يعتريه شمس ولا هواء، ولا حر ولا برد، في ظلمات ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الغشاء، أربعون يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، فإذا تمت هذه الأيام، وهي أربعة أشهر، أرسل الله تعالى إليه الملك الموكل بالأجنة، فنفخ فيه الروح، فأصبح إنساناً بعد أن كان جماداً، فتبارك الله أحسن الخالقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون].

ومنها: أن الله خلق عيسى من أم بلا أب، وأنطقه الله تعالى في المهد وهو صبي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلاً قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً ۝ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْوً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيّاً ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۝﴾ [مريم].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حوادث كثيرة تدل على قدرته على إحياء الموتى في هذه الدنيا .

ومنها: قصة بني إسرائيل حين قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فعاقبهم الله تعالى، فأخذتهم الصاعقة، فماتوا، ثم بعثهم الله تعالى من بعد موتهم، وفي هذا يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٥١].

ومنها: قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قد تهدم بناؤها، ويست أشجارها فاستبعد أن تعود على ما كانت عليه من العمران والسكان، فأراه الله تعالى آية في نفسه تدل على قدرته، فأماته الله مائة سنة، وكان معه حمار وطعام وشراب، فمات الحمار، وتمزقت أوصاله، ولاحت عظامه، وبقي الطعام والشراب لم يتغير واحد منهما بنقص ولا طعم ولا لون ولا رائحة، مائة سنة والشمس تصهره، والرياح تتعاقب عليه، ثم بعث الله ﷻ ذلك الرجل وأراه الحمار، فنظر إلى عظامه المتفرقة في الأرض يركب بعضها بعضاً، كل عظم في محله، ثم يكسوها الله لحماً، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَةٌ إِذْ قَالَ لِرَبِّي عَلَيَّ غُرُوسُهَا قَالَ أَنَّىٰ يُعْجِبُ هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَا قَالَ كَيْفَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْسَ بِمِائَةِ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ عِظَامِكَ كَيْفَ نَشَرْنَاهَا ثُمَّ نُكْسُوهُمَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومنها: قصة إبراهيم الخليل حين سأل ربه أن يريه كيف يحيي

الموتى، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاء
 فيفرقها على الجبال التي حوله، على كل جبل جزء من هذه الطيور، ثم
 يناديهن، وحينئذ تلتئم هذه الأجزاء المتفرقة في الجبال بعضها إلى بعض،
 ويأتين إلى إبراهيم عليه السلام مشياً لا طيراناً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَعْلَمَنَ قَلْبِي
 قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
 ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

فهذه الأمثلة من إحياء الله تعالى الموتى في الدنيا دليل على قدرته
 سبحانه على البعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
 يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا
 بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا
 كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسبحانه من إله عظيم قادر، لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا
 كَانَتْ لَآلِهَ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا
 قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المائة وإحدى وأربعون

علامات حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر]، في هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمناً بربه، راضياً بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بخواتيمها»^(١).

وأن من علامات حسن الخاتمة:

الاستشهاد في سبيل الله، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ

(١) البخاري (ص ١٢٤٥) برقم (٦٤٩٣)، ومسلم (ص ١٠٦٣) برقم (٢٦٥١).

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران]،
 روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «ما
 أحد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من
 شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات لما يرى
 من الكرامة»^(١).

وترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه، ولو لم يتيسر له
 الاستشهاد في المعركة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة
 أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء
 وإن مات على فراشه»^(٢).

ومنها: أن يوفق المحتضر للنطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»،
 روى أبو داود في سننه من حديث معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من
 كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣).

قال بعض أهل العلم: «لأنها شهادة شهد بها عند موته، وقد
 ماتت شهواته، وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت، وذهب
 حرصه ورغبته، وسكنت أخلاقه السيئة، وذل وانقاد لربه، فاستوى
 ظاهره وباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقه».

ومنها: الموت بعرق الجبين:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ
 عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن يموت بعرق الجبين»^(٤).

قال السندي: قيل: هو لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه

(١) البخاري (ص ٥٤٤) برقم (٢٨١٧)، ومسلم (ص ٧٨٣) برقم (١٨٧٧).

(٢) (ص ٧٩٢) برقم (١٩٠٩). (٣) (ص ٣٥٣) برقم (٣١١٦).

(٤) (٦٣ - ٦٢/٣٨).

بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، فإنه إذا جاءتة البشرية مع ما كان قد اقترف من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله تعالى، فعرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جعلت لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه.

ومنها: وفاة المسلم بالطاعون، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم»^(١).

ومنها: الموت بداء البطن، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من مات في البطن فهو شهيد»^(٢). وذكر بعض الشراح أن المبطون من أصابه إسهال، أو استسقاء، أو وجع بطن.

ومنها: الموت بالحرق أو الغرق أو الهدم أو الطاعون أو ذات الجنب، أو موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عتيك أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «غلبنا عليك يا أبا الربيع»، فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «دعهن فإذا وجب فلا تبكين باكية»، قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «الموت»، قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً فإنك كنت

(١) البخاري (ص ٥٤٦) برقم (٢٨٣٠)، ومسلم (ص ٧٩٤ - ٧٩٥) برقم (١٩١٦).

(٢) قطعة من حديث (ص ٧٩٤) برقم (١٩١٥).

(٣) البخاري (ص ١٤٠) برقم (٦٥٣)، ومسلم (ص ٧٩٤) برقم (١٩١٤).

قد قضيت جهازك، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ قد أوقع أجره على قدر نيته، وما تعدون الشهادة»، قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمع شهيد»^(١).

وذاة الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.
والمرأة تموت بجمع، أي تموت وفي بطنها ولد، أو تموت من الولادة، كذا قاله المناوي^(٢) ﷺ.

ومنها: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس والمال، روى أبو داود في سننه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (ص ٣٥٢) برقم (٣١١١)، وصححه الألباني في كتابه أحكام الجنائز ويدعها، (ص ٥٤ - ٥٥).

(٢) فيض القدير (٤/ ١٧٩). (٣) (ص ٥٢٠) برقم (٤٧٧٢).

(٤) (ص ٨٠) برقم (١٤٠).

الكلمة المائة واثنان وأربعون

وفاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر الصديق، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا^(١).

ففي هذا الحديث إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، وإلى عزوفه عليه الصلاة والسلام عن الدنيا، واشتياقه إلى الرفيق الأعلى.

وقال بعض أهل العلم: إن الله جمع لنبيه بين النبوة والشهادة، ويستدلون على ذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»^(٢).

(١) (ص ١١٠) برقم (٤٦٦).

(٢) (ص ٨٣٨) برقم (٤٤٢٨).

قال شراح الحديث: الأبهـر عرق بالظهر متصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه، وهو يشير بذلك إلى ما حصل له في غزوة خيبر عندما جاءتـه امرأة يهودية، يقال لها: زينب بنت الحارث بشاة مسمومة، وقدمتها للنبي ﷺ فوضع لقمـة في فمه، فلم يستسغها، فرمى بها، ومكث عليه الصلاة والسلام من السنة السابعة إلى السنة الحادية عشرة وهو يعاني من آثار السم الذي يعاوده فترة بعد أخرى^(١).

قال ابن عبد البر: «ثم لما دنت وفاته ﷺ، أخذه وجعه في بيت ميمونة، فخرج إلى أحد، فصلى عليهم صلاة الميت، ودعا لهم، وكان ذلك بعد ثماني سنوات من استشهادهـم»^(٢). اهـ، وكان أول ما يشكو في علته الآلام الشديدة في رأسه، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت: وارأساه يا نبي الله، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك، وأدعو لك»، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك، لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه»^(٣).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء^(٤).

تقول عائشة رضي الله عنها، وهي تحكي مشهد احتضاره ﷺ: «كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما

(١) صحيح البخاري (ص ١١٣١) برقم (٥٧٧٧).

(٢) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (١/٢٦٩).

(٣) صحيح البخاري (ص ١٣٧٧) برقم (٧٢١٧).

(٤) البخاري (ص ٨٤٢) برقم (٤٤٥٠)، ومسلم (ص ٩٩٠) برقم (٢٤٤٣).

وجهه يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «اللهم في الرفيق الأعلى» حتى قبض، ومالت يده^(١). تقول عائشة رضي الله عنها: مات النبي ﷺ، وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ^(٢)، وتقول أيضاً: «ما رأيت أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ»^(٣)، وقال بعض أهل العلم إن النبي ﷺ شدد عليه في سكرات الموت، رفعة لدرجاته، وإلا فهو المغفور له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، ثم بدأت الحمى الشديدة تنتشر في جسده عليه الصلاة والسلام، فيقول: «هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن»، فيوضع في مخضب ثم يصب عليه الماء من تلك القرب، حتى أشار إليهم أن حسبكم^(٤).

وكانت فاطمة بجوار النبي ﷺ، وقد رآته وهو يعاني من هذه السكرات العظيمة، فقالت: واكرب أباه. فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»^(٥).

ولما هم بالصلاة مع الناس أغمي عليه ثلاث مرات^(٦)، ثم أفاق، ولكنه لا يزال يحمل هم الدعوة إلى الله، فيقول وهو في آخر رمق من حياته: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(٧)، لعنة الله على

(١) صحيح البخاري (ص ٨٤١) برقم (٤٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري (ص ٨٤٠) برقم (٤٤٤٦).

(٣) صحيح البخاري (ص ١١٠٩) برقم (٥٦٤٦).

(٤) صحيح البخاري (ص ٨٤١) برقم (٤٤٤٢).

(٥) صحيح البخاري (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٢).

(٦) صحيح مسلم (ص ١٧٨) برقم (٤١٨).

(٧) سنن ابن ماجه (ص ٢٩٤) برقم (٢٦٩٧).

اليهود والنصارى، اتخذوا قبور انبيائهم مساجد^(١)، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك^(٢).

تقول عائشة رضي الله عنها: لما نزل به - أي الموت - ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق، ثم شخص بصره إلى سقف البيت، وقد أخبرنا قبل ذلك أنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، فيخير بين الدنيا وبين ما عند الله، فعرفت أنه لا يختارنا، وأنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، ثم رفع بصره إلى السماء، وجعل يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً: اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»، فكانت آخر كلمة تكلم بها حتى قبض^(٣)، ومالت يده الشريفة.

قالت فاطمة رضي الله عنها: يا ابتاه، أجب رباً دعاه، يا أبتاه، إلى جبريل نعا^(٤).

قال الحافظ ابن كثير: وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام سنة إحدى عشرة من الهجرة في الثاني عشر من ربيع الأول، الموافق يوم الإثنين، ومكث بقية الإثنين ويوم الثلاثاء بكماه، ودفن ليلة الأربعاء، وهو المشهور عند الجمهور^(٥).

(١) صحيح البخاري (ص ١٠٥) برقم (٤٣٥)، وصحيح مسلم (ص ٢١٤) برقم (٥٣١).

(٢) صحيح مسلم (ص ٢١٤) برقم (٥٣٢).

(٣) صحيح البخاري (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٣)، ويرقم (٤٤٣٥) و(٤٤٤٠)، وصحيح مسلم (ص ٩٩١) برقم (٢٤٤٤).

(٤) صحيح البخاري (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٢).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢).

ومن الدروس والعبر المستفادة من وفاته عليه الصلاة والسلام:

١ - أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائناً من كان سيخلد في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ﴾ [الزمر].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران].

٢ - زهده عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورغبته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة^(١).

بل إنه عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير^(٢).

٣ - أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها من أعظم المصائب»^(٣) ليكون ذلك تسلياً له في مصيبته.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل

(١) (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦١).

(٢) صحيح البخاري (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٧).

(٣) (٥٣/١) برقم (٨٥).

شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»^(١).

وقالت فاطمة رضي الله عنها لأنس بعدما دفن النبي ﷺ: «يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»^(٢).

قال الشاعر:

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد^(٣)
اللهم احشرنا في زمرة، وأوردنا حوضه، واجعلنا من أتباعه..
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (ص ٥٦٨) برقم (٣٦١٨)، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٢) صحيح البخاري (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٢).

(٣) انظر: مرض النبي ﷺ ووفاته، وأثر ذلك على الأمة، للشيخ خالد أبو صالح.

الكلمة المائة وثلاث وأربعون

أسباب النصر على الأعداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان يبتلى فيها المؤمنون بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتم جراح، وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي ندبل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة^(١).

وعداوة الكفار للمؤمنين عداوة أزلية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يَرْفِقُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

(١) تفسير ابن كثير (٤٠٨/١).

والنصر على الأعداء له أسباب كثيرة، أذكر منها:

أولاً: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ [النور].

ثانياً: الإخلاص والصدق في نصر دين الله، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝﴾ [الحج].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفْ أَقْدَامَكُمْ ۝﴾ [محمد].

ثالثاً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُ ۚ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّن بَعْدِهِ ۚ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ [التوبة].

الكلمة المائة وأربع وأربعون

فضل أيام عشر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ بِخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الفصص].

ومن هذه الأزمنة الفاضلة، التي فضلها الله على غيرها أيام عشر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾ [الفجر]. والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظمته، قال ابن عباس والزيبر ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف: «إنها عشر ذي الحجة»، قال ابن كثير رحمته الله: «وهو الصحيح»^(١).

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ﴾ [الحج].

قال ابن عباس: «الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة»^(٢). وقد أخبر النبي ﷺ أنها من أفضل الأيام، وأن العمل الصالح فيها أعظم من غيرها، روى البخاري والترمذي من حديث ابن

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٠٥). (٢) صحيح البخاري (ص ١٩٣).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»^(١).

رابعاً: الثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»^(٢).

خامساً: الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، واليقين أن الأجل لا يقدمه إقدام، ولا يؤخره إحجام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُيُوسِكُمْ لَرَزَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الشاعر:

تأخرتُ أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
وكان النبي ﷺ أشجع الناس، وأقواهم قلباً عند لقاء العدو، روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - يعني النبي ﷺ^(٣).

(١) (ص ٥٩٧) برقم (٣١٢٣).

(٢) البخاري (ص ٥٤٤) برقم (٢٩٦٦)، ومسلم (ص ٧٢٣) برقم (١٧٤٢).

(٣) (ص ٧٣٨) برقم (١٧٧٦).

سادساً: كثرة الذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَيْسَتْ فِيكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].
وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، كما في معركة بدر وغيرها، وكان من دعائه: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»^(١).

سابعاً: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله، والحذر من المعاصي والتنازع، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

ثامناً: لزوم طاعة الأمير، والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»^(٣).

تاسعاً: الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(١) صحيح مسلم (ص ٧٢٣) برقم (١٧٤٢).

(٢) (١٢٣/٩) برقم (٥١١٤).

(٣) البخاري (ص ١٣٦٢) برقم (٧١٣٧)، ومسلم (ص ٧٦٧) برقم (١٨٣٥).

عباس عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر»، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن، من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن التهليل والتكبير والتحميد»^(٢).

وفي هذه الأيام العشر يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، وهي من أعظم الأيام عند الله، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم الأيام عند الله تعالى يوم النحر، ثم يوم القر»^{(٣)(٤)}.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»^(٥).

فهو يوم المغفرة والعتق، وصومه يكفر سنتين، روى مسلم والترمذي من حديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة إنني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله»^(٦).

(١) صحيح البخاري (ص ١٩٣) برقم (٩٦٩)، وسنن الترمذي (ص ١٤٤) برقم (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) (٣٢٣ - ٣٢٤) برقم (٥٤٤٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٤) (ص ٢٠٦) برقم (١٧٦٥). (٥) (ص ٥٣٣) برقم (١٣٤٨).

(٦) مسلم (٨١٩/٢) برقم (١١٦٢)، والترمذي (ص ١٤٣) برقم (٧٤٩) واللفظ له.

وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال له: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»^(١).

عاشراً: الإخلاص لله، فلا يكون المقاتل مجاهداً في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٢).

الحادي عشر: الأخذ بأسباب القوة، والإعداد لذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُهْبُوتُ بِهِ عِزُّ اللَّهِ وَعِزُّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا

(١) (١٩/٥) برقم (٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) البخاري (ص ٥٤٣) برقم (٢٨١٠)، ومسلم (ص ٧٩١) برقم (١٩٠٤).

إِن الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِن الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِن الْقُوَّةَ الرَّمِي^(١).

ومن أعظم أسباب الخذلان المعاصي والذنوب، فإنها تخون العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنكُم يَوْمَ التَّفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا أَسْرَأَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قال ابن حجر: والذي يظهر أنها مكان لاجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الصلاة، الصيام، الصدقة، الحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها^(١)، وقال ابن رجب: لما كان الله ﷻ قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة، في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في كل عام قدر في العشر على عمل يعمل في بيته يكون أفضل من الجهاد^(٢). اهـ.

ولا خلاف في تفضيل أيام العشر على بقية أيام السنة، لقوة النصوص في ذلك، والخلاف في الليالي، فقليل إن ليالي رمضان أفضل، وممن رجع ذلك ابن القيم، فقال: وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان، إنما فضلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه، إذ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية^(٣).

وينبغي لمن وفقه الله لمعرفة فضل هذه الأيام، وأمد له في عمره، أن يجتهد فيها بكثرة الأعمال الصالحة، فما هي إلا أيام معدودة ثم تنقضي، وكان السلف الصالح يجتهدون فيها، وكان سعيد بن المسيب يجتهد فيها اجتهداً عظيماً، حتى ما يكاد يقدر عليه.

ومن الأعمال الصالحة في أيام العشر:

حج بيت الله الحرام، وهو من أفضل الأعمال والقربات، قال

(١) فتح الباري (٢/٤٦٠).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص ٣١٠).

(٣) زاد المعاد (١/٥٧).

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول: إن عبداً أصححت له جسمه، ووسعت عليه في معيشته، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحرور»^(٢).

ومنها: الصيام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقال تعالى بعدما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه من النار سبعين خريفاً»^(٣).

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»^(٤).

(١) البخاري (ص ٢٥) برقم (٨)، ومسلم (ص ٣٩) برقم (١٦).

(٢) (١٦/٩) برقم (٣٧٠٣).

(٣) البخاري (ص ٥٤٨) برقم (٢٨٤٠)، ومسلم (ص ٤٤٥) برقم (١١٥٣).

(٤) البخاري (ص ٣٦١) برقم (١٨٩٦)، ومسلم (ص ٤٤٤) برقم (١١٥٢).

ومنها: الصدقة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِآيِلٍ
وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ
قال: «ما نقصت صدقة من مال»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»^(٢).

ومنها: ذكر الله. قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِهِمْ رَسَّاتٍ مِّنْهُ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ
قال: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير
منهم»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها،
لكفى بها فضلاً وشرفاً»^(٤).

والذكر عموماً، والتكبير خصوصاً من شعائر هذه الأيام، قال

(١) (ص ١٠٤٢) برقم (٢٥٨٨).

(٢) (ص ٤٢٥) برقم (٢٦١٦).

(٣) البخاري (ص ١٤١١) برقم (٧٤٠٥)، مسلم (ص ١٠٧٥) برقم (٢٦٧٥).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وتقدم حديث: «فاكثروا فيهن التهليل والتكبير والتحميد»، وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر، يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما^(١).

وكان السلف يحرصون على إحياء هذه الشعيرة في أيام العشر، وصفة التكبير: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر والله الحمد».

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري (ص ١٩٣).

الكلمة المائة وخمس وأربعون

طلب العلم الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل العبادات، وأجل الطاعات التي حث عليها الشرع طلب العلم الشرعي، والمقصود بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إمران: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد به خيراً»، وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل

(١) البخاري (ص ٣٩) برقم (٧١)، ومسلم (ص ٣٩٩) برقم (١٠٣٧).

العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر^(١).

قال الأوزاعي: «الناس عندنا هم أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب».

ومن فضائل هذا العلم: أنه يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

ومنها: أن أهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»^(٣)، روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عن هذه الطائفة: «إن لم يكونوا من أهل الحديث فلا أدري من هم».

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة»^(٤).

(١) (ص ٤٠٣) برقم (٣٦٤١). (٢) (ص ٦٧٠) برقم (١٦٣١).

(٣) صحيح مسلم (ص ٧٩٦) برقم (١٠٣٧)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ٦٩٥) برقم (٣٦٤١).

(٤) (ص ١٠٨٢) برقم (٢٦٩٩).

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة، فقال: لا. فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة»^(١).

ومنها: أن الله تعالى يقذف لأهل العلم الريانيين هيبة ومحبة، وتقديراً في قلوب الناس، فتجد الألسن تتابع في الثناء عليهم، والقلوب تتفق على احترامهم وتقديرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم].

ومنها: أن طلب العلم خير للمرء من متاع الدنيا، روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد، فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ، خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»^(٢).

ووسائل طلب العلم كثيرة، كحضور الدروس العلمية للعلماء والمشايخ، والمحاضرات العامة، والكلمات في المساجد، وقراءة

(١) صحيح مسلم (ص ١٠٧) برقم (٢٧٦٦)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ٦٦٨ - ٦٦٩) برقم (٣٤٧٠).

(٢) (ص ٣١٤) برقم (٨٠٣).

الكتب النافعة، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وسؤال أهل العلم عما أشكل، وحفظ كتاب الله فهو رأس العلوم كلها.

وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا»^(١).

وكان النبي ﷺ يستعيز بالله من علم لا ينفع، روى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الأربع من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع»^(٢).

وروى ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع»^(٣).

ويجب على المسلم أن يطلب العلم الشرعي خالصاً لوجه الله، لا من أجل منصب، أو مال، أو عرض من الدنيا، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»، يعني ربحها^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث

(١) البخاري (ص ٤٥) برقم (١٠٠)، ومسلم (ص ١٠٧٣) برقم (٢٦٧٣).

(٢) (ص ٥٥٥) برقم (٥٤٦٧). (٣) (ص ٤١١) برقم (٣٨٤٣).

(٤) (ص ٤٠٥) برقم (٣٦٦٤).

الكثير، أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (ص٤١) برقم (٧٩)، ومسلم (ص٩٣٨) برقم (٢٢٨٢).

الكلمة المائة وست وأربعون

معنى لا إله إلا الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كلمة الإخلاص هي كلمة (لا إله إلا الله)؛ لأنها تعني إخلاص العبادة لله تعالى، وإفراده بها؛ لأن معناها: لا معبود حقاً إلا الله، وهي كلمة عظيمة، من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفي سبيل تحقيقها أمر الله المؤمنين بالجهاد، وجردت السيوف ورُكبت الجياد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١]. وكان كل رسول أول ما يدعو قومه إليها، فيقول كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقد كان الكفار الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بأنه لا خالق إلا الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُفْكُونَ﴾ [الزخرف: ١٧]، غير أن هذا الإقرار لا يكفي في تحقيق التوحيد، إذ لا بد من المعرفة والعلم المستلزم لإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهذا ما أراده ربنا ﷻ، إذ يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولقد فهم كفار قريش وغيرهم أن هذا هو المعنى الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة، فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ومن المسلمين من يقول هذه الكلمة، ويصلي ويصوم ويحج ويتصدق ومع ذلك يصرف شيئاً من

أنواع العبادة لغير الله تعالى، كالأستغاثة بالأولياء والصالحين، أو النذر لهم، أو دعائهم من دون الله، فهؤلاء لم يحققوا معنى لا إله إلا الله، وأنه إفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواعها له، وأن من صرف شيئاً منها لغيره فهو مشرك، وإن قال لا إله إلا الله، وصلى، وصام، وزعم أنه مسلم، فإن العبد لا يكون مسلماً حقاً، ولا ينجو من الخلود في نار جهنم إلا بالإيمان الخالص الذي لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ومن عبد الله، وعبد معه غيره لم تنفعه تلك العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٢٥]، وقد ذكر أهل العلم أن معنى لا إله إلا الله يتضمن شروطاً لا يتم إلا بها.

وشروط هذه الكلمة ثمانية:

أولاً: العلم بمعناها، المراد منها، وما تنفيه، وما تثبت، قال تعالى: ﴿قَاعَلِمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

وكثير من الناس ينطق بها بلسانه، ولا يعلم شيئاً من معناها، ولهذا يقع في الشرك.

ثانياً: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها متيقناً بما تدل عليه، فإذا كان في قلبه شك بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»^(١).

ثالثاً: الإخلاص المنافي للشرك، فلا يقولها رياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه»^(٢).

رابعاً: الصدق المنافي للكذب، فيقول لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [١] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ [المنكوت: ١-٢]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صادقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار»^(٣)، فاشتراط الصدق في هذا الحديث.

خامساً: المحبة المنافية للبغض، فيحب هذه الكلمة، وما تدل عليه، وأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادساً: الانقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، فيجب الانقياد لما تدل عليه لا إله إلا الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، والاستسلام هو الانقياد لأوامر الله.

(١) (ص ٤٥) برقم (٢٦).

(٢) (ص ١٢٥٦) برقم (٦٥٧٠).

(٣) البخاري (ص ٥٠) برقم (١٢٨)، ومسلم (ص ٤٧) برقم (٣٢).

سابعاً: القبول المنافي للرد، فيجب القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فمن قالها، ولم يقبل ذلك ويلتزم به، كان ممن قال فيهم سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات].

ثامناً: الكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت، وإثبات العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»^(١).

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة:

أولاً: أنه يفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»^(٢).

ثانياً: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها

(١) (ص ٤٣) رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم (ص ٤٥) برقم (٢٨)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ٦٦٢) برقم (٣٤٣٥).

من قال لا إله إلا الله»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله نفعت يوماً من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه»^(٢).

ثالثاً: أن من قالها قبل أن يموت، فمات عليها، دخل الجنة، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (ص ٤٤٣٢) برقم (٧٥١٠)، ومسلم (ص ١٠٨) برقم (١٩٢).

(٢) (٢٧٤/٦) برقم (٦٣٩٦) وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٩٨/٢) برقم (٦٤٣٤).

(٣) (ص ٣٥٣) برقم (٣١١٦).

الكلمة المائة وسبع وأربعون

تفسير سورة الفلق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر، سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [الفلق].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»^(٢).

(١) البخاري (ص ٩٩٦ - ٩٩٧) برقم (٥٠١٦)، ومسلم (ص ٩٠٢) برقم (٢١٩٢).

(٢) (ص ٩٩٧) برقم (٥٠١٧).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم يُر مثلهن قط؟» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١).
قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

أي ألجأ وألوذ وأعتصم برب الفلق، أي الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك؛ لأن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح والنوى والحب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].
قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

أي من شر جميع المخلوقات، حتى من شر النفس؛ لأن النفس أماراة بالسوء وفي الحديث: ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن شر ما خلق يشمل شياطين الإنس والجن، والهوام، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ :
الغاسق، قيل إنه الليل، وقيل إنه القمر، والصحيح أنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والليل تكثر فيه الهوام والوحوش؛ فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي الليل، وأما القمر فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث عائشة أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: «استعيذ بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق»^(٢).

(١) (ص ٣١٧) برقم (٨١٤). (٢) (ص ٥٣٣) برقم (٣٣٦٦).

لأن سلطانه يكون في الليل، وإذا وقب: أي إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾:

هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنث بقراءة مطلسمه فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنث، ثم تعقد ثم تنث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفائين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنساء، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له (لبيد بن الأعصم)، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخیل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم دعا ثم دعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟^(١)، قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة^(٢)، قال: وجف

(١) أي: سحره.

(٢) قوله: مشط ومشاطة: قال ابن حجر: أما المشط فهو بضم الميم، ويجوز كسرهما، أثبت أبو عبيدة، وأنكره أبو زيد، وبالسكون فيها، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، وهو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

طلعة ذكر^(١)، قال: فأين هو؟ قال: في بئر أروان»، قالت: فأناها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ثم قال: «يا عائشة، والله لكان ماءها نقاعة الحناء، ولكان نخلها رؤوس الشياطين»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أحرقتة؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمر بها فدفت»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾:

الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فيحسده. والحساد نوعان: نوع يحسده ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد، ولهذا قال ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المعان؛ لأنها لا تصدر غالباً إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، والعين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين»^(٣).

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر»^(٤).

(١) قوله: جف طلعة ذكر: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر في قوله: طلعة ذكر، وهو بالإضافة. اهـ. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

(٢) صحيح مسلم (ص ٩٠٠) برقم (٢١٨٩)، واللفظ له، وصحيح البخاري (ص ٦٢٦) برقم (٣٢٦٨).

(٣) (ص ٩٠٠) برقم (٢١٨٨).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: =

قال المناوي: أي تقتله فيدفن في القبر، وتدخل الجمل القدر، أي إذا أصابته، أو أشرف على الموت ذبحه مالكه، وطبخه في القدر، وهذا يعني أن العين داء، والداء يقتل، فينبغي للعائن أن يبادر إلى معالجته بالبركة، فتكون رقية منه^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «نعم»، قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك^(٢).

وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفياً، وعلى المؤمن أن يعلق قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل عليه، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء السحرة والحساد، وغيرهم^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



= حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير (٧٦١/٢) برقم (٤١٤٤).

(١) فيض القدير (٣٩٧/٤).

(٢) (ص ٩٠٠) برقم (٢١٨٦).

(٣) انظر: تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين ﷺ (ص ٣٥٢ - ٣٥٤).

الكلمة المائة وثمان وأربعون

آداب الطعام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أسرار عظمة هذا الدين أنه ما ترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبيان والإيضاح، ومن هذه الجوانب التي تناولها هذا الدين آداب الطعام، ومن تلك الآداب:

أولاً: التسمية قبل البدء بالطعام أو الشراب، روى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن سلمة أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»^(١).

وإذا نسي أن يسمي عند أول الطعام فليسم إذا ذكر، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: باسم الله أوله وآخره»^(٢).

ثانياً: الأكل والشرب باليمين، فلا يجوز للمسلم أن يأكل أو يشرب بشماله، روى مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال النبي ﷺ «كل بيمينك»،

(١) البخاري (ص ١٠٦٤) برقم (٥٣٧٦)، ومسلم (ص ٨٣٨) برقم (٢٠٢٢).

(٢) (ص ٤١٥) برقم (٣٧٦٧).

فقال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكبير، قال: فما رفعها إلى فيه^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»^(٢).

ثالثاً: الأكل بثلاثة أصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك أنه حدثهم: «أن رسول الله ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها»^(٣).

رابعاً: لعق الأصابع وصحفة الطعام، فإذا أكل الإنسان الطعام، وبقي شيء يسير منه، لا يضره تناوله، أو بقي أثر للطعام في الصحفة، فالسنة أن يلعقها، لأن الإنسان لا يدري أين البركة، وكذلك السنة لعق الأصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها»^(٤)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر: أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرُونَ في أيه البركة»^(٥).

خامساً: أكل ما تنثر من الطعام:

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»^(٦).

(١) (ص ٨٣٨) برقم (٢٠٢١).

(٢) (ص ٨٣٧) برقم (٢٠٢٠).

(٣) (ص ٨٤١) برقم (٢٠٣٢).

(٤) (ص ٨٤١) برقم (٢٠٣٢).

(٥) (ص ٨٤١) برقم (٢٠٣٣).

(٦) (ص ٨٤١) برقم (٢٠٣٣).

سادساً: الأكل مع الغير من زوجة، أو أولاد أو غيرهم:

روى أبو داود في سننه من حديث وحشي بن حرب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: «يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال: «فلعلكم تفترقون؟» قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه»^(١).

سابعاً: النهي عن التنفس في الإناء:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»^(٢).

ومثله النفخ في الطعام والشراب، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري قال: نهى النبي ﷺ أن يتنفس في الإناء، أو ينفخ فيه^(٣).

ثامناً: النهي عن الأكل من أعلى الصفحة، أو أوسطها: وينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون الطعام واحد بمعنى أن الذي في الصفحة طعام من نوع واحد، فالسنة أن يأكل مما يليه، لقول النبي ﷺ في الحديث السابق: «وكل مما يليك»^(٤)، ولقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «البركة تنزل في وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»^(٥).

(١) (ص ٤١٥) برقم (٣٧٦٤). (٢) (ص ٥٥) برقم (١٥٣).

(٣) (ص ٤١١) برقم (٣٧٢٨).

(٤) صحيح البخاري (ص ١٠٦٤) برقم (٥٣٧٦)، وصحيح مسلم (ص ٨٣٨) برقم (٢٠٢٢).

(٥) (ص ٣٠٨) برقم (١٨٠٥)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

ورواه الشافعي عن مالك بن أنس، ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(١).

وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان^(٢).

ثالثاً: الترغيب في الجهاد، والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٣).

رابعاً: فضل الجهاد ومكانته العظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة»^(٤).

خامساً: أن فيها تسلياً للأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة، روى البخاري في صحيحه أن

(١) (٤٦٠/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٧/١).

(٣) (ص ٧٩٢) برقم (١٩٠٩).

(٤) (ص ٥٣٩) برقم (٢٧٩٠).

الثاني: أن يكون الطعام أنواعاً، فلا بأس بالأكل من أعلى الصحيفة، وجوانبها، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك قال: «رأيت النبي ﷺ يتبع الدباء من حوالي الصحيفة»^(١).

تاسعاً: النهي عن الشرب قائماً:

لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يشربن أحد منكم قائماً، فمن نسي فليستقئ»^(٢).

عاشراً: الاقتصاد في أكل الطعام:

روى الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (ص ٣٩٥) برقم (٢٠٩٢)، ومسلم (ص ٨٤٦) برقم (٢٠٤١).

(٢) (ص ٨٣٩) برقم (٢٠٢٦).

(٣) (ص ٣٩٠) برقم (٢٣٨٠)، وقال حديث حسن صحيح.

الكلمة المائة وتسع وأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا

بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿أَمْوَاتًا﴾ أي لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواتها، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ويرزقون بأنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم. اهـ^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ

(١) تفسير ابن سعد (ص ١٢٤).

أم حارثة بنت سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قُتل يوم بدر - أصابه سهم غرب^(١) - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»^(٢).

سادساً: أن هذا الفضل الوارد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٣).

أما من قاتل تحت راية عمية ينصر قومية، أو وطنية، أو حرية، أو غيرها من الشعارات الزائفة فهو كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «من قاتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتله جاهلية»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي طائش لا يعرف من رماه.

(٢) (ص ٥٤٣) برقم (٢٨٠٩).

(٣) البخاري (ص ٥٤٣) برقم (٢٨١٠)، مسلم (ص ٧٩١) برقم (١٩٠٤).

(٤) (ص ٧٧٣) برقم (١٨٥٠).

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٩٦﴾ [آل عمران]، قال: «أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وإن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران]، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله، أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقنت رسول الله ﷺ

(١) (ص ٧٨٥) برقم (١٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري (ص ٥٤٤) برقم (٢٨١٧)، وصحيح مسلم (ص ٧٨٣) برقم (١٨٧٧)، واللفظ له.

يدعو على الذين قتلوهم، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رفع، «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا، وأرضانا»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، أي يهنئ بعضهم بعضاً بأعظم شيء، وهو نعمة ربهم وفضله وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، بل ينميهِ ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الشهداء على بارق»^(٢) نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»^(٣).

قال ابن كثير: وكأن الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم، وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن، بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النظرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي،

(١) البخاري (ص ٧٧٧) برقم (٤٠٩٠)، ومسلم (ص ٢٦٦) برقم (٦٧٧).

(٢) بارق: أي على جانب نهر، الفتح الرباني للبنا رحمهم الله (٢٨/١٣).

(٣) (٢٢٠/٤) برقم (٢٣٩٠)، قال ابن كثير في تفسيره (١/١٤٢): وهو إسناد

الكلمة المائة وخمسون

تفسير سورة الفاتحة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من سور القرآن العظيم التي نقرؤها في كل صلاة فرضاً ونفلاً: سورة الفاتحة، وهي أعظم سور القرآن، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم، الذي أوتيته^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، وإنما سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»^(٢).

(٢) (ص ٤٦٠) برقم (٢٨٧٥).

(١) (ص ٨٤٥) برقم (٤٤٧٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم فقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته^(١).

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد هو الشاء، على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المتولي جميع العالمين، وهو الذي أوجد الخلق من العدم، وأنعم عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَكْمُنُ مِنْ فَحْمٍ فَجِنَّ اللَّهُ﴾ [النحل: ٥٣].

والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، تقول: رب الدار، ولا تقول الرب على غير الله.

قوله: ﴿الْكَافِرِ الْزَجَرِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها الله للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جته أحد»^(١).

قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي هو المتصرف في ذلك اليوم، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، فهو مالك الدنيا والآخرة، وإنما أضيف الملك إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ثم ما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٧﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنفطار]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [غافر].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا فاطمة بنت رسول الله، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٢).

قال ابن عباس: «لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا، قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه»، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين.

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالعبادة كمال المحبة، وكمال الخضوع، والخوف والذل، وقدم المفعول - وهو إياك -

(١) (ص ١١٠٢) برقم (٢٧٥٥).

(٢) البخاري (ص ٥٣٠) برقم (٢٧٥٣)، ومسلم (ص ١١٣) برقم (٢٠٤).

وكرر للاهتمام والحرص، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، ولذلك قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالأول التبرؤ من الشرك، والثاني: التبرؤ من الحول والقوة. بل إن الصلاة لا تصح لمن لم يقرأ بهذه السورة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١).

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

والهداية ههنا التوفيق والإرشاد، فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع، والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقي الله. و﴿الصِّرَاطَ﴾ هو الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم، وعليك من الفرائض أن تصدق الله أن طريقه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوج، وهذه أول

(١) البخاري (ص ١٥٧) برقم (٧٥٦)، ومسلم (ص ١٦٩) برقم (٣٩٤).

الواجبات من هذه الآية، واعتقاد ذلك بالقلب، وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا وتركه مفصلًا، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم، وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله^(١).

ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين، ومعناها: اللهم استجب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا آمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

اللهم اجعل هذا القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، واجعله شافعاً وحجة لنا يوم القيامة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسير سورة الفاتحة (ص ١٨ - ٢٧).

(٢) البخاري (ص ١٦١) برقم (٧٨٠)، ومسلم (ص ١٧٥) برقم (٤١٠).

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢١١	٥ - الولاء والبراء	٧٦٣	١ - طلب العلم الشرعي
٢٥١	٦ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج	٣٨١	٢ - وصايا لطلبة العلم
	خطر الشرك	٦٤٥	٣ - كلمة توجيهية للمدرسين
١١٥	١ - التحذير من الشرك		أ - (قسم العقيدة)
٢٣٩	٢ - نواقض الإسلام العشرة		توحيد الربوبية
	التحذير من النفاق	٧٩١	١ - تفسير سورة الفاتحة
٦٩١	١ - خطر النفاق	٥٦٩	٢ - تفسير آية الكرسي
٢٦١	٢ - مبطلات الأعمال	٧٣٧	٣ - قدرة الله
٣٢٥	٣ - خطورة الاستهزاء بالدين	٥٤١	٤ - نعمة الهداية
	توحيد الأسماء والصفات	٣٥٥	٥ - أسباب الثبات على الدين
	١ - شرح اسم من أسماء الله العزيز	٢٦٧	٦ - الأجل والرزق
٤٦٧	٢ - شرح اسم من أسماء الله الشافي	٤٩٥	٧ - الأسباب الجالبة لمحبة الله ..
٥٠٧	٣ - شرح اسم من أسماء الله الحكيم		توحيد العبادة
٥٣٥		٧	١ - الإخلاص
		٧٦٩	٢ - معنى لا إله إلا الله
		١٥٩	٣ - أصل الدين وقاعدته
		٢٥٥	٤ - التوكل

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

علامات الساعة

١ - فتنة الدجال ٥٢٩

الإيمان باليوم الآخر

١ - عذاب القبر ونعيمه ٣٠٧

٢ - حوض النبي ﷺ ٥٠١

ب - التفسير

سورة الفاتحة ٧٩١

سورة البقرة

١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ﴾ ١٩٧

٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنْ

تُبْدُوا الْقَبْدَقَاتِ﴾ ٢٠٥

سورة آل عمران

١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ

النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ٣٦٣

٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿قُلِ

اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ ١٣١

٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ١٧٩

٤ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ... ٥٦٩

٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٧٨٥

سورة الكهف

١ - فوائد من قوله تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ١٦٣

سورة مريم

١ - وقفة مع قوله تعالى:

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ النَّصْرَةِ﴾ ١٤٧

٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلِنْ

تُفَكِّرُمْ إِلَّا وَأَرَدَهَا﴾ ٦١٥

سورة طه

١ - وقفة مع آيات من كتاب الله

﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ١٧٥

سورة يس

١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنْ

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ ٤٥١

سورة الزخرف

١ - دروس وعبر من قوله تعالى:

﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ١٦٧

سورة الطور

١ - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ

يَاْمِنُونَ﴾ ٤٥٧

سورة الصف

١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ ١٢٥

سورة التحريم

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ٢٢٧

جزء عم

١ - سورة التكاثر ١٨٩

٢ - سورة العصر ٣٤١

٣ - سورة الماعون ٦٤١

٤ - سورة الإخلاص ١٩٣

٥ - سورة الفلق ٧٧٥

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
ج - الحديث		٨ - سنن صلاة العيد	٩٩
١ - شرح حديث السبعة الذين		٩ - فضل العشر الأواخر من	
يظلمهم الله	١١	رمضان	٨٥
٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	٤١	١٠ - الاستخارة	٤٤٧
٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف		الزكاة	
بين يدي الساعة	١٨٣	١ - الزكاة	٥٤٧
٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي		٢ - زكاة الفطر	٣٣٧
طالب	٢٠١	الصيام	
٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل		١ - فضل الصيام	٥٧
إلى النبي ﷺ فقال: عش ما		٢ - فضل رمضان	٥٣
شئت	٣٣١	٣ - مخالفات تقع من بعض	
٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة	٣٩٩	الصائمين	٨١
٧ - فوائد من حديث خبيب بن		الحج	
عدي	٧٠٩	١ - وجوبه وفضله	٢٣٥
٨ - شاب نشأ في عبادة الله	١٠٩	٢ - مخالفات تقع من بعض	
٩ - الأجل والرزق	٢٦٧	الحجاج	٣٨٩
١٠ - شرح حديث «من أصبح		الوصايا	
آمناً في سره...» الحديث ..	٥٦٣	١ - كتابة الوصية	٣١
الفقه		البدع	
الطهارة والصلاة		١ - النهي عن البدع	٧٣١
١ - أخطاء في الطهارة	٦٨١	الأدعية والأذكار	
٢ - أخطاء في الصلاة	٦٨٥	١ - الدعاء آدابه وموانعه	٦٩
٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	٢٨٥	٢ - الاستغفار	٤٦١
٤ - صلاة الجماعة	٥٥١	الطعام	
٥ - الخشوع في الصلاة	٢٧٣	١ - آداب الطعام	٧٨١
٦ - فضل صلاة الفجر	٥١٩		
٧ - فضل قيام الليل	٦٣		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٩	٤ - التقوى		المحرمات
٤٧٧	٥ - الورع		المال
٥٧٥	٦ - حفظ اللسان	١٧١	١ - أكل المال الحرام
٥٨١	٧ - المحور العين	٦٠٩	٢ - التحذير من الربا
٥٨٧	٨ - الابتلاء	٢٢١	٣ - النهي عن الإسراف
٥٩١	٩ - الزهد في الدنيا	١٤١	٤ - النهي عن المسألة
٦٥١	١٠ - غض البصر	٦٧٧	٥ - ذم الترف
٢٤٥	١١ - سوء الخاتمة		صيانة الأعراض
٦٧٧	١٢ - ذم الترف	٤٤١	١ - تحريم الزنا وأسبابه
٧٤١	١٣ - علامات حسن الخاتمة	٦٥١	٢ - غض البصر
٧١٧	١٤ - الموت وعظاته	٤٣٥	٣ - تحريم الغناء
	١٥ - الوقت وخطر السفر إلى	٥١٣	٤ - خطورة الدش
٢٥١	الخارج	٦٧١	٥ - خطورة التلفاز
٣٤٩	١٦ - لذة العبادة		اللباس
٩٥	١٧ - المواظبة على العبادة	٧٠٣	١ - تحريم الإسبال
٢٧	١٨ - العجلة		الزينة
٤٥	١٩ - طول الأمل	٦٥٧	١ - تحريم حلق اللحية
٣٩٥	٢٠ - التوبة		محرمات عامة
	الفضائل	٦١٩	١ - تحريم الدخان
	الأذكار	٧١٣	٢ - تحريم التصوير
٤٩	١ - فضل القرآن وقراءته	٤١٧	٣ - الحسد
٨٩	٢ - فضل الذكر	٦٩٧	٤ - الظلم وعواقبه الوخيمة
٤٦١	٣ - الاستغفار		المواعظ والرفائق
	الصلاة	٢٣١	١ - آفة السهر
٤٠٣	١ - فضل التذكير إلى الصلاة	٤١١	٢ - كفارات الذنوب
٥١٩	٢ - فضل صلاة الفجر	٤٢٣	٣ - المعاصي وعقوباتها
٦٢٣	٣ - فضل يوم الجمعة		

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
٤ - فضل قيام الليل	٦٣	٦ - صلة الأرحام	٦٣٥
٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان	٨٥	١ - قصة نبي الله أيوب عليه السلام	٤٨٩
١ - فضل الصيام	٥٧	٢ - سيرة أبي بكر الصديق	٧٢٣
٢ - فضل رمضان	٥٣	٣ - سيرة عمر بن الخطاب	٧٢٧
١ - الحج وجوبه وفضله	٢٣٥	٤ - سيرة علي بن أبي طالب	٢٩٥
عشر ذي الحجة		٥ - سيرة سعد بن أبي وقاص	٢١٥
١ - فضل العشر من ذي الحجة ..	٧٥٧	٦ - سيرة سعد بن معاذ	١٥١
فضائل عامة		٧ - سيرة خالد بن الوليد	٢٩١
١ - فضل الدعوة إلى الله	٣١٣	١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٧٩
٢ - فضل الصدقة	٧٥	٢ - مفسد العنوسة	٣٧٣
موضوعات تُهم المرأة		٣ - الطلاق	٣٤٥
١ - مكانة المرأة في الإسلام	٦٠٣	٤ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح	٥٥٧
٢ - كلمة توجيهية للمرأة	٦٦٣	٥ - تربية الأبناء	٣١٩
٣ - مفسد العنوسة	٣٧٣	٦ - خطر التلفاز	٦٧١
٤ - تربية الأبناء	٣١٩	٧ - خطر الدش	٥١٣
٥ - خطورة التلفاز	٦٧١	٨ - صلاة الجماعة	٥٥١
٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح	٥٥٧	٩ - صلة الأرحام	٦٣٥
الأخلاق		١٠ - الحسد	٤١٧
١ - حسن الخلق	٢٣	١١ - النكت	٣٧٧
٢ - الحياء	١٢١	١٢ - آفة السهر	٢٣١
٣ - القناعة	١٣٧	١٣ - علاج الهموم والغموم	٤٨٣
٤ - الصبر	٣٠١	توجيهات عامة	
٥ - الأمانة	٦٢٩	١ - التوفيق	١٩
		٢ - العجلة	٢٧

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٥٢٥	٩ - السعادة	٣٥	٣ - البركة
٧٤٥	١٠ - وفاته عليه الصلاة والسلام .	١٠٣	٤ - الرؤيا
٧٥١	١١ - أسباب النصر على الأعداء	٣٦٩	٥ - نصائح عامة
٥٩٧	١٢ - العافية	٤٠٧	٦ - أسباب انشراح الصدر
٤٧٧	١٣ - الورع	٤٧٣	٧ - شكر النعم
		٤٨٣	٨ - علاج الهموم والغموم

الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
١ - الإخلاص	٧
٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله	١١
٣ - التوفيق	١٩
٤ - حسن الخلق	٢٣
٥ - العجلة	٢٧
٦ - كتابة الوصية	٣١
٧ - البركة	٣٥
٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه	٤١
٩ - طول الأمل	٤٥
١٠ - فضل القرآن وقراءته	٤٩
١١ - فضل رمضان	٥٣
١٢ - فضل الصيام	٥٧
١٣ - فضل قيام الليل	٦٣
١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه	٦٩
١٥ - فضل الصدقة	٧٥
١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين	٨١
١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان	٨٥
١٨ - فضل الذكر	٨٩
١٩ - المواظبة على العبادة	٩٥

الصفحة

الموضوع

- ٢٠ - سنن العيد ٩٩
- ٢١ - الرؤيا ١٠٣
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ١٠٩
- ٢٣ - التحذير من الشرك ١١٥
- ٢٤ - الحياء ١٢١
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ١٢٥
- ٢٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ ١٣١
- ٢٧ - القناعة ١٣٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ١٤١
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْمَصْرَةِ﴾ ١٤٧
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٥١

الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ١٥٩
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ١٦٣
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ١٦٧
- ٣٤ - أكل المال الحرام ١٧١
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله تعالى ﴿قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا...﴾ ١٧٥
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ ١٧٩
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة ١٨٣
- ٣٨ - سورة التكاثر ١٨٩
- ٣٩ - سورة الإخلاص ١٩٣
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ١٩٧
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٠١
- ٤٢ - وقفة مع آية: ﴿إِن تُبَدُّوْا أَلْبَدَقَتِي فَنِعْمًا مِنِّي﴾ ٢٠٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ٢١١
- ٤٤ - سيرة سعد بن أبي وقاص ٢١٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ٢٢١
- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ٢٢٧

الموضوع	الصفحة
٤٧ - آفة السهر	٢٣١
٤٨ - الحج: وجوبه وفضله	٢٣٥
٤٩ - نواقض الإسلام العشرة	٢٣٩
٥٠ - سوء الخاتمة	٢٤٥
٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج	٢٥١
٥٢ - التوكل	٢٥٥
٥٣ - مبطلات الأعمال	٢٦١
٥٤ - الأجل والرزق	٢٦٧
٥٥ - الخشوع في الصلاة	٢٧٣
٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٧٩
٥٧ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	٢٨٥
٥٨ - سيرة خالد بن الوليد	٢٩١
٥٩ - سيرة علي بن أبي طالب	٢٩٥
٦٠ - الصبر	٣٠١
٦١ - عذاب القبر ونعيمه	٣٠٧
٦٢ - فضل الدعوة إلى الله	٣١٣
٦٣ - تربية الأبناء	٣١٩
٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين	٣٢٥
٦٥ - وقفة مع حديث شريف	٣٣١
٦٦ - زكاة الفطر	٣٣٧
٦٧ - سورة العصر	٣٤١
٦٨ - الطلاق	٣٤٥
٦٩ - لذة العبادة	٣٤٩
٧٠ - أسباب الثبات على الدين	٣٥٥

الجزء الثالث

٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾	٣٦٣
٧٢ - نصائح عامة	٣٦٩
٧٣ - مفاصد العنوسة	٣٧٣

الصفحة

الموضوع

٣٧٧	٧٤ - النكت
٣٨١	٧٥ - وصايا لطلبة العلم
٣٨٩	٧٦ - مخالفات يقع فيها بعض الحجاج
٣٩٥	٧٧ - التوبة
٣٩٩	٧٨ - شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)
٤٠٣	٧٩ - فضل التذكير إلى الصلاة
٤٠٧	٨٠ - أسباب انشراح الصدر
٤١١	٨١ - كفارات الذنوب
٤١٧	٨٢ - الحسد
٤٢٣	٨٣ - المعاصي وعقوباتها
٤٢٩	٨٤ - التقوى
٤٣٥	٨٥ - تحريم الغناء
٤٤١	٨٦ - تحريم الزنا وأسبابه
٤٤٧	٨٧ - الاستخارة
٤٥١	٨٨ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَسْحَدَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فُتْكُهُونَ﴾
٤٥٧	٨٩ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾
٤٦١	٩٠ - الاستغفار
٤٦٧	٩١ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)
٤٧٣	٩٢ - شكر النعم
٤٧٧	٩٣ - الورع
٤٨٣	٩٤ - علاج الهموم والغموم
٤٨٩	٩٥ - قصة نبي الله أيوب عليه السلام
٤٩٥	٩٦ - الأسباب الجالبة لمحبة الله
٥٠١	٩٧ - حوض النبي ﷺ
٥٠٧	٩٨ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی)
٥١٣	٩٩ - خطورة الدش
٥١٩	١٠٠ - فضل صلاة الفجر
٥٢٥	١٠١ - السعادة

١٠٢	- فتنة الدجال	٥٢٩
١٠٣	- شرح اسم من أسماء الله الحسنی (الحکیم)	٥٣٥
١٠٤	- نعمة الهداية	٥٤١
١٠٥	- الزكاة	٥٤٧
١٠٦	- صلاة الجماعة	٥٥١
١٠٧	- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح	٥٥٧
١٠٨	- شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)	٥٦٣
١٠٩	- تفسير آية الكرسي	٥٦٩
١١٠	- حفظ اللسان	٥٧٥
١١١	- الحور العين	٥٨١
١١٢	- الابتلاء	٥٨٧
١١٣	- الزهد في الدنيا	٥٩١
١١٤	- العافية	٥٩٧
١١٥	- مكانة المرأة في الإسلام	٦٠٣
١١٦	- التحذير من الربا	٦٠٩
١١٧	- وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا وَأَرْدَهَا﴾	٦١٥
١١٨	- تحريم الدخان	٦١٩
١١٩	- الجمعة ومكانتها والسنن التي تعمل في ذلك اليوم	٦٢٣
١٢٠	- الأمانة	٦٢٩
١٢١	- صلة الأرحام	٦٣٥
١٢٢	- وقفة مع سورة الماعون	٦٤١
١٢٣	- كلمة توجيهية للمدرسين	٦٤٥
١٢٤	- غض البصر	٦٥١
١٢٥	- تحريم حلق اللحية	٦٥٧
١٢٦	- كلمة توجيهية للمرأة	٦٦٣
١٢٧	- خطورة التلفاز	٦٧١
١٢٨	- ذم الترف	٦٧٧
١٢٩	- أخطاء في الطهارة	٦٨١

- ١٣٠ - أخطاء في الصلاة ٦٨٥
- ١٣١ - خطر النفاق ٦٩١
- ١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة ٦٩٧
- ١٣٣ - تحريم الإسبال ٧٠٣
- ١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي ٧٠٩
- ١٣٥ - تحريم التصوير ٧١٣
- ١٣٦ - الموت وعظاته ٧١٧
- ١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق ٧٢٣
- ١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب ٧٢٧
- ١٣٩ - النهي عن البدع ٧٣١
- ١٤٠ - قدرة الله ٧٣٧
- ١٤١ - علامات حسن الخاتمة ٧٤١
- ١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام ٧٤٥
- ١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء ٧٥١
- ١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة ٧٥٧
- ١٤٥ - طلب العلم الشرعي ٧٦٣
- ١٤٦ - معنى لا إله إلا الله ٧٦٩
- ١٤٧ - تفسير سورة الفلق ٧٧٥
- ١٤٨ - آداب الطعام ٧٨١
- ١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ ٧٨٥
- ١٥٠ - تفسير سورة الفاتحة ٧٩١